
الأعتراف الأخير
لعنة العهد
رواية
ساحر الكتب
أحمد شوقي مبارك

لعنة العهد

info@darak-egy.com



27251915 24832669-010 02



51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.

لعنة العهد

أحمد شوقي مبارك

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2019/4723

الترقيم الدولي: 978-977-6634-22-0

الطبعة الأولى: 2019

أحمد شوقي مبارك

لعنة العهد

رواية



إهداء إلى..

زوجتي!

لولاكِ ماكانت!

- 0 -

سجد محمد أمام الكعبة الشريفة باكيًا متألمًا حزينًا لما حدث، أخذ يتمتم بكلمات نادمة عمّا بدرَ منه قبل عدة شهور، كان يعتذر تارة ويطلب المغفرة تارة أخرى وقد يتطرق أحيانًا إلى وضع تفسيرات عما حدث، كان يبحث عن المغفرة في تلك الزيارة الشريفة التي دفع فيها كل ما كان يملكه من أموال زهيدة، داعبته ذكرى صرختها وهي تطلب رحمتهم، وهي تتوسل لهم ألا يقوموا بالاعتداء عليها، ولكنهم كانوا مغيبين جميعًا، تذكر شكل النيران وهي تأكل كل شيء في البيت قبل أن يهب الجميع مهرولين في ذعرٍ متداركين قبح ما فعلوه، ولكن الوقت كان قد تأخر كثيرًا وأصبحت الفتاة جثة هامدة بين أيديهم..

- لم أفعل شيئًا!، هم من فعلوا.. ارحم أرواحنا أرجوك!

رفع رأسه من موضع السجود فنزلت دمعة الندم من عينه على الأرض، رفع حدقتيه نحو السماء متضرعًا باكيًا بحدة أكثر، طالبًا السماح والسلام والرحمة، قام

بالتسليم وإنهاء الصلاة وظلَّ مكانه يبكي بحُرقة وداعبته ذكرى أخرى حينما كانوا أمام الكنسية، يومها جاءه مينا يخبره فيها أن هناك مَن يتبعهم، هناك من يعلم حقيقتهم ويود الانتقام منهم.

- ذلك المجنون.. ريتشارد!، ريتشارد قتل كريم والآن يسعى خلفنا للانتقام منَّا، ريتشارد كان يحبها كثيرًا والآن لا يتطلع ولا يرى سوى الانتقام، المجنون يظن أننا تعمدنا ذلك، يوم أن دخلنا البيت كنا نعلم أنه خالٍ تمامًا من البشر وهي مَن عادت مع أمها بصورة فجائية، حتى إنها لم تتمهل وتتركنا لنرحل، جعلت الأمر يتفاقم حتى أسقطناها جثة هامدة بين أيدينا.

اندهش محمد لما يسمعه من مينا، طالما كان يشك أن مقتل كريم -شريكهما الثالث- في تلك الجريمة غير المقصودة متعلقٌ بشكلٍ أو بآخر بذلك المجنون ريتشارد، حاول البحث عن أي كلماتٍ لقولها فشعر بطاقة غضب شديدة تعصف به وهو يحاول الابتعاد عن مينا ويشرع في المغادرة.

- هذا هو ذنبكم!، أنا لم أفعل شيئًا أبدًا.. قرار السرقة والتسلل إلى البيت كان فكرتكم، حتى القتل والاعتداء على المسكينة كان منكم، أنا لم أفعل أي شيء على الإطلاق، أنا راحلٌ لأصلي لعله يغفر لي..

أوقفه مينا ممسكًا به من ذراعيه وأخذ يعنفه قائلاً:

- لم يعد هذا مهمًا الآن، يجب أن نضع حدًّا لذلك المجنون وليرحل كلٌّ منها بعدها في طريقه، الأمر تأزم كثيرًا ولم يعد هناك أي أوقات نضيعها في تصرفات صبيانية وهروب أحمق من الأمر، يجب أن نعترف أننا تسببنا في قتل إحدى الفتيات والآن عشيقها يتتبعنا في كل مكان للانتقام، لا مجال للهروب يا محمد لا مجال للهرب أبدًا..

تساءل محمد بلسان مرتعش مذعور..

- أسنقتله هو الآخر؟!

صمت مينا عاجزًا عن الرد فصاح محمد:

- إذًا أنت تنوي قتلَه بالفعل!، ألم تكتفِ من إزهاق الأرواح وإسالة الدماء في كل مكان؟!، لن أشترك معك في ذلك الأمر مهما كانت النتائج والعواقب..

لكمَ مينا صديقه في أحد كتفيه قائلاً:

- قُلت لك كفى تصرفات صيبانية، لن أسمح لك بالهروب من الموقف كما تفعل دومًا، يجب أن نتوحد إن كنت تريد أن تنجو..

قال محمد بيأس:

- ومَن أخبرك أنني أخشى الموت؟!، ومن أخبرك أن هناك سبيلاً للنجاة؟!، مَن قتلَ يُقتَل هذا قانون الحياة ونحن قتلنا بالفعل..

- لا أتعجب من حديثك، فلا يخشى الحياة سوى يائسٍ بائس مكتئب مثلك!

- ماذا تريد مني أن أفعل؟!

شرد ذهن مينا قليلاً قبل أن يجيب..

- لا أعلم، ولكنني أعلم أن ريتشارد سيتتبعني إلى الكنسية اليوم حاول أن تكون بجانبي حتى ننهي ذلك الأمر، تذكَّر دومًا إن لم تساعدني سيتخلص ذلك المجنون منِّي وبعدها سيسعى خلفك ولن يرحمك أحدٌ من يده، حتى إن كنت لا تخشى الموت فتأكد أنه لن يدعك ترحل في سلامٍ، سيكون موتًا بطيئًا ومؤلمًا..

تلاشت الذكرى وجاءت أخرى تذكَّر فيها الصراع الذي حدثَ أمام تمثال العذراء بين مينا وريتشارد وكل منهم يهبط بقبضاته على وجه الآخر، وحينما كان الشجار في مراحله الأخيرة ويتقرب ريتشارد من وضع نهاية حاسمة لصالحه تدخَّل محمد وضرب ريتشارد بعصا على رأسه فسقط الأخير فاقدًا وعيه، لم ينقذ محمد من حصار ذكرياته سوى قدوم ذلك الغريب المتابع لبكائه وصيحات ندمه الشديدة، اقترب منه وقال محاولاً تخفيف حدة الأمر..

- لا تقلق!، سيسامحك، دومًا يفعل..

نظر محمد إلى الغريب وشرد ذهنه داخل ثنايا ذكرياته الأليمة فسقطت دمعة جديدة من عينه وهمهمَ بصوت يكاد لا يُسمع:

- ما فعلته لا يُغتفَر أبدًا.. لا يمكن أن يغتفر.

قال الرجل إلى محمد بثقة قبل أن يعود إلى مسبحته واستغراقه في التسبيح..

- لا تقلق دومًا يفعل يا أخي..

اهتز الهاتف في جيب محمد، أخرجه فكانت رسالة من رقم مجهول، قام بفتحها فوجدها لا تحتوي سوى على مقطع صوتي بعنوان: هل سمعت الشيطان يغني؟!

وضع السماعات في أذنيه وأخذ ينصت إلى المقطع الغريب، بدأت موسيقى شديدة الإبداع تنساب نحو أذنيه وأخذت السعادة تتدفق في أوردته كشلالات عاصفة بكل أحزانه، نسي كل ما كان يغضبه وصار يبتسم تدريجيًا، تذكّر لحظات النشوى وهو يعتدي على الفتاة قبل موتها على أيديهم، كأن عقله صار لا

يعلم إلى الحزن طريقًا، أخذت تتحول الابتسامة إلى ضحكة يحاول كتمها لحرمة المكان المتواجد فيه، ولكنه يفشل فيبدأ بالضحك بصوت مرتفع صاخب، تنجذب الأنظار إليه فينظر محمد لهم عاجزًا عن تبرير حالة النشوى التي تصيبه، أزال الغريب السماعات عن أذنيه، ولكن قد فات الأوان وفعلت معزوفة الشيطان فعلتها به ووصلت هرمونات السعادة في جسده إلى مستوياتها القصوى، المستويات التي يصبح فيها المريض عاجزًا كليًا عن وصف حالته النفسية إن كانت شديدة السعادة أو شديدة الذعر، بدأ يشعر أن كل مَن حوله يتربص له، الكل يتطلع إلى قتله، يضحك وقلبه خائف، حالة ينقسم فيها بالعقل بين حالات متغيرة من المشاعر تعصف به يمينًا ويسارًا، ينهض من مكانه يبتعد عن الناس، ولكنه يجدهم في كل مكان ينظرون له، يخيل له أنَّ كل المحيطين يحملون خناجرَ قديمة تتساقط الدماء منها، ويراهم جميعًا نسخةً من ريتشارد، يهرول في المكان بحالةٍ من الجنون وكلما يحاول أحدهم التدخل لتهدئته يدفعه محمد بخوفٍ حتى يصل إلى الطابق العلوي ينظر للجميع ويعلم

داخله أن لا مفر منهم سوى بالموت فبدون تردُّد يجري ناحية السور ويلقي بنفسه مودعًا الحياة ضائعًا بين حالة من النشوى والذعر.. السعادة والخوف.

***

انتحار أحد المجهولين أمام الحجر الأسود في الحرم المكي!

معزوفة الشيطان

عذرًا أيها العجوز، كلانا اصطنع العظمة!

- 1 -

نظر ريتشارد إلى الكاهن وتأمَّل تجاعيد وجهه وقلبه يعتصر ألمًا على ما حدث مؤخرًا، يفكر المسكين الضائع في صياغة كلماته القادمة، يعلم أن الأمور تأزمت كثيرًا ولم يعد هناك حلولٌ متاحة لإصلاح ما حدث، اقترب الكاهن من ريتشارد الحزين وربَّت على كتفه برفقٍ قائلاً..

- لا عليك يا بني، سيكون كل شيء على ما يرام.

شرد ذهن ريتشارد لحظات وهو يتذكر كل ما مضى وهمهمَ..

- أبونا، أنت لا تفهم أي شيء على الإطلاق..

ساد الصمت بين الطرفين، صمتٌ قطعته كلمات ريتشارد..

- أبونا، إليك اعترافي الأخير!

- حسنًا.. قُل ما لديك يا بني، لعلَّ روحك تجد السلام أخيرًا.

- سأبدأ لك من البداية.. أو قبلها، سأحكي لك كل شيء.. الحكاية بدأت حينما كنت طفلاً صغيرًا يتطلع إلى العظمة، يتطلع إلى المجد..

***

هرول ريتشارد إلى خارج بيته والفزع يتملك كل أنحاء جسده، تسارعت أنفاسه واعتصر قلبه ألمًا وغضبًا، أُغلِق الباب خلفه من تلقاء نفسه فجلس الفتى يستند إلى الباب وهو يقترب بأذنه حتى يتابع ما يحدث بالداخل، كانت الأحداث في البيت شديدة الارتباك، صرخات وصيحات تنطلق من أمه وهي تتلقى الصفعة تلو الأخرى، تتبع أحد ثقوب الباب وأخذ يختلس النظرات نحو الداخل فوجد أباه يصفع والدته بقوة ثم أطفأ سيجارته في رقبتها والأخيرة تصرخ من الألم، لم يتحمل ريتشارد متابعة الأمر أكثر من ذلك فلم يعد ينظر نحو الاشتباك وعاد يستند إلى الحائط والدموع

تنهال من عينيه، يومها اقتربت منه فتاة جميلة تصغره ببضعة أشهر، مسحت دمعته وسألته:

- ما اسمك؟!

مسح ريتشارد باقي دموعه وقال محاولاً اصطناع الثبات:

- أنا ريتشارد..

تعالت الصيحات في تلك اللحظات وسمع كلا الطفلين أصوات تهشم زجاج، فتساءلت الصغيرة:

- ما الذي يحدث في الداخل؟!

حاول ريتشارد التهرب من الإجابة ولكنه لم يجد مفرًّا، فأجابها بألم:

- إنهما أبي وأمي يتشاجران ككل ليلة.

اقتربت الصغيرة وأخذت تنظر من الثقب ذاته عمَّا يحدث في الداخل، ففزعت من المشهد وعادت تنظر

إلى ريتشارد وهي تحاول بلع لعابها بصعوبة، كانت ملامح الحزن قد تلاشت من على وجه الصبي وحلت محلها تعبيرات أكثر غضبًا وقوة، فسألته الصغيرة:

- هل أنت غاضب منه؟!

نظر لها ريتشارد قائلاً:

- كم أتمنى أن يرحل ولا يعود مجددًا، كم أود أن تتساقط جميع البنايات على رأسه وأراه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

***

قال ريتشارد إلى الكاهن وعقله ما زال هائمًا بين ذكريات الطفولة الحزينة:

- وبعدها حدث الزلزال المدمر ولفظ أبي أنفاسه الأخيرة تحت الأنقاض.

نظر الكاهن إلى ريتشارد وقال بعدم فهمٍ:

- حسنًا؟!.. إنها صدفة بكل تأكيد.

قال ريتشارد بعصبية وصوت حادٍ:

- أنا أيضًا قُلت ذلك حينذاك، ولكن تلك الواقعة كانت فقط مجرد بداية.

***

تأزمت الحياة في قرية طاحب النائية بعد أحداث الزلزال المدمر، وعانى الكثير من أهلها في إعادة الحياة من جديد لها، مرت سنوات قليلة وتلاقى الصغير والصغيرة من جديد، يومها تهلَّل وجه ريتشارد لرؤيتها من جديدٍ وقال بصوت صاخب سعيد:

- حسبتك مُتَّ في اليوم المشئوم!

يومها شرد ذهن الفتاة لحظات وقالت:

- لا، سافرنا إلى الإسكندرية بعد الزلزال.. كانت الحياة هنا مستحيلة كما تعلم، أتمنى لا يحدث لنا ذلك من جديد، أرجوك يا ريتشارد لا تطلب منه ذلك مرة أخرى!

قال ريتشارد وهو يمسك يدها:

- أنا سعيد أنك ما زلتِ على قيد الحياة.

- ولكنك لم تطلب موتي من الله!

لم يفهمها ريتشارد حينذالك، فتساءل عن تفسير لكلماتها فأردفت:

- كأن الرب سمعك!

فهم ريتشارد أن الصغيرة تلمح أن الزلزال لم يكن سوى استجابة الله لكلمات ريتشارد الغاضبة حينما تمنى مقتل والده أسفل حطام البيوت، وكعادة المراهقين أحب الظهور بتلك الصورة الخارقة أمامها فقال بثقة:

- إنه بالفعل سمعني، مستحيل أن أتمنى لك الشر.. أنت جميلة.

قالت الفتاة في حيرة:

- ألا تندم على موت أبيك أسفل حطام البنيان كما تمنيت مؤخرًا؟!

ردَّ ريتشارد بدون أن ينظر لها:

- كيف أعترض على كلمات الله، إن لم أكن محقًا لمَ استجاب لي.

نادت الأم ابنتها، فقالت الصغيرة وهي تشرع في الرحيل:

- رحم الله والدك يا ريتشارد.. لعل روحه تجد طريقها إلى السلام.

همهمَ ريتشارد ولكنها لم تسمعه:

- لا أظن ذلك!

***

قال الكاهن معقبًا كلمات الاعتراف:

- مشاعرك تجاه والدك مخيفة!

- كنت أكرهه!

نظر الكاهن إلى ريتشارد فأضاف الأخير:

- وبالتأكيد أنت تعلم ما حدث في تلك الأرض بعد ذلك!

لم يفهم الكاهن كلمات المعترف فكاد أن يتساءل، ولكن ريتشارد أجابه:

- الساقية المهجورة!، الضحايا..

أومأ الكاهن في تفهم قائلاً:

- أنت تقصد الفتاة التي تم اختطافها وقتلها والضحايا الأربع (1)

- يوم اختلطت المفاهيم لدينا فصرنا لا نعلم الفارق بين القصاص والانتقام، العدالة والظلم، الخير والشر، لم أكن أدرك أن منتهى الخير هو أشرُّ الشرور!

تنهَّد الكاهن وقال مُغيرًا دفة الحديث..

- حسنًا وماذا حدث بعد ذلك؟!

- رأيتها من جديد، ولكن الأحداث لم تكن على ما يرام حينذاكٍ.

***

مرت الصغيرة بفترة حرجة في حياتها حيث فقدت أمها بالسرطان، تألمت الصغيرة وانشغل الأب في عمله فلم تجد سوى ريتشارد رفيقًا لها في تلك المحنة والوحدة، توطدت علاقة الصغيرين فيما بعد ومرَّ عقد ونص من الزمان أخذت علاقتهما تنتقل بين مستويات مختلفة بينهما؛ فالأخوة تحولت زمالة وسرعان ما أصبحت الزمالة صداقة وأخيرًا قالت الفتاة إلى ريتشارد: "أحبك!" وردَّ ريتشارد بالكلمة ذاتها لتبدأ رحلة جديدة بينهم، انتشر خبر حادثة اختفاء الممرضة بالقرية وتم تضييق الخناق على الجميع أكثر ما كان، يومها كان ريتشارد يقف قربَ المنطقة المهجورة

منتظرًا الصغيرة تأتي، ولكنها تأخرت كثيرًا كاد أن يرحل متوقعًا عدم قدومها وإلا صعقته بصوت مبتهج:

- كيف حالك يا عظيم؟!

انتفض جسد ريتشارد فزعًا، وزفر زفيرًا طويلاً بيما أخذت الفتاة تضحك، قال ريتشارد مغيِّرًا دفة الحديث:

- كم أنت جميلة اليوم!

جلست الفتاة جوار ريتشارد تراقب سكون المياه الراكدة، وقالت بثقة:

- أعلم..

انتظرت كلمات ريتشارد الغزلية المعتادة، ولكنها تأخرت هذه المرة، قالت وهي تنظر له:

- ما يشغل بالك يا ريتشارد؟!

أجابها كذبًا..

- لا شيء..

فلم تحاول الإلحاح عليه أكثر وقالت وهي تشرع في الرحيل عنه:

- يجب أن أرحل، الأحداث الأخيرة جنت جنون أبي، ما هي تخيلاتك عما حدث هناك في تلك الليلة، أين تظن اختفت الفتاة؟!، سمعتهم يقولون إنها من المحتمل هربت من هنا، طالما تمنت الفتاة العيش بالإسكندرية، ومن لا يتمنى ذلك.. قضيت هناك بضعة أشهر أيام الزلزال وما زال قلبي متعلقًا بها.

قال ريتشارد:

- لا أظنها على قيد الحياة!

قالت الفتاة وهي تشرع في الرحيل:

- محتمل تكون النداهة يا عظيم، نسيت أن النداهة لا تنادي سوى الراجل لذلك خذ بالك على حالك يا صغيري.

أومأ ريتشارد باسمًا ورحلت الفتاة..

***

قال الكاهن:

- مسكينة الصغيرة!

أومأ ريتشارد وأكمل اعترافه..

***

ريتشارد والفتاة من جديد بالمنطقة النائية، يومها بدت الصغيرة في كرب شديد، سألها ريتشارد عدة مرات عما بها فحاولت التهرب كثيرًا ولكنها اعترفت في النهاية:

- أبي يريدني ألا أراك مرة أخرى!

تساءل ريتشارد بدهشة:

- لماذا؟!

- يريدني أن أتزوج ابن عمي.

فتساءل ريتشارد من جديد..

- وماذا عني؟!

- يقول إن طريقَك طويلٌ، ولا يجب عليّ انتظارك!

فسألها بيأس:

- وماذا عنكِ؟!

أجابته بالصوت المتألم ذاته:

- لا أعلم..

***

في اللقاء الأخير الذي جمعهم، بصوت حاد قالت الفتاة إلى ريتشارد:

- قالوا إنك سترحل عن القرية قريبًا!

كاد ريتشارد أن يرد ، ولكن الفتاة سمعت قدوم أحدهم فهرولت مبتعدة عن المكان.

***

قال الكاهن:

- لم تتحمل فقدانها ورحلت عن القرية.

شرد ذهن ريتشارد كأنه يتذكر شيئًا ما لحظات ثم ردَّ:

- تركت طاحب ولعنتها وفي أرض القاهرة تصادمت مع لعنة جديدة، لا أعلم أنك ستذكر ذلك أم لا، ذلك الصحفي الذي لقيّ مصرعه جراء معزوفة الشيطان.. معزوفة تارتيني أتذكر؟!(2)

أومأ الكاهن فبدأ ريتشارد بسرد ذلك الجانب من حياته.

***

قال مدير تحرير الجريدة التي عمل بها المعترف وهو يحملق في عيون ريتشارد بغضبٍ:

- يجب أن تتوقف عمَّا تفعله يا ريتشارد، الجريدة لن تتحمل قضايا أخرى.

ابتسم ريتشارد في هدوء فتساءل مدير التحرير في عصبية شديدة:

- أتضحك؟!

ردَّ ريتشارد ساخرًا:

- نعم، اضحك.. هل العاهرات الآن هن مَن يقدمن البلاغات ضدنا؟!

- أنت تتهم عفاف الزيني بممارسة الشذوذ الجنسي ولا تتوقع أن تقدم البلاغات في الجريدة، أين كان عقلك حينما قمت بصياغة كلماتك تلك، ألا تعلم مَن يكون زوجها؟!

- الفيلم المصوَّر لقُبلتها الشاذة شاهده الملايين عبر المواقع الإباحية.

- شاهدها الجميع ونحن من سنتحمل القضية الآن بسبب تصرف متهور منك، حسبتك تملك شيئًا من الخبرة يجعلك تحسن التصرف وتزن الأمور بعقلك جيدًا.

- ولكنك وافقت على المقال!

- ما وجد في مقالك مجرد تلميحات، ولم أكن أعلم أنها تلميحات صادقة حسبتك تريد إثارة البلبلة عبر الإنترنت لا أكثر..

أثارت كلمات مدير التحرير غضبَ ريتشارد، فردَّ بصوت عصبي:

- ومنذ متى وأنا أفعل ذلك؟!، أتحسبني نور الدين؟!.. أتحسبني أريد جذب الأضواء لي مثله؟!، أتحبني أن أخبر الجميع غدًا أننا داخل... ماذا كان يقول ذلك

المختل؟!.. نعم نعم، داخل دائرة من الطقوس الشيطانية، أهذا ما تسعى له؟!

همهم مدير التحرير..

- نور الدين.. نور الدين..

لمعت عيناه ونظر إلى ريتشارد وأردف:

- حسنًا هذا جيد سيتم نقلك لقسم الحوادث..

حاول ريتشارد الاعتراض..

- ولكن..

قاطعه مدير التحرير بنبرة حادة:

- ريتشارد، لا نقاش، لولا أنني أعلم موهبتك ومقدرتك وأحترم متابعينك لما اكتفيت بتغيير صفحتك.

***

قال ريتشادر إلى الكاهن:

- وفور انتقالي إلى قسم الأحداث كنت المسئول عن قضية موت رمضان عبد الواحد، في تلك الأثناء لم يكن هناك أي شكوك في تثبت وجود أي شبهات جنائية في رحيله، كان الجميع يظن أنه رحلَ بهبوط حاد في الدورة الدموية ولكنني كنت أعلم أكثر منهم بكثير.. ولكن مدير التحرير كان جبانًا!

***

اقتحم ريتشارد مكتب مدير التحرير بدون استئذان وألقى بجريدة على المكتب وتساءل في غضبٍ شديدٍ:

- لماذا لم يتم نشر مقالي؟!

أجابه مدير التحرير وهو ينظر إلى شاشة حاسوبه بصوت هادئ بدون أن ينظر له..

- إنها أوامر سيادية بني!

قال ريتشارد في غضبٍ:

- سحقًا لكم..

ترك الرجل حاسوبه ونظر إلى ريتشارد قائلاً:

- بني، يجب أن تتوقف عن متابعة أحداث مقتل الصحفي رمضان عبد الواحد، الطب الشرعي أعلن أن لا شبهة جنائية في الأمر، والأمر كله تم بسبب هبوط حاد في الدورة الدموية لا أكثر، توقف عن متابعة نور الدين ومحاولة التماشي مع توجهاته وكلماته عبر الإنترنت..

لم يرد ريتشارد وهرول منسحبًا من المكان في عصيبة وأضاف مدير التحرير:

- ريتشارد..

توقف ريتشارد ونظر إلى مدير التحرير وجدَه يُمسك بطاقة في يده، أخذها ريتشارد وقال مدير التحرير:

- أريدك أن تذهب إلى ذلك السمسار سيأتي لك بشقة قريبة منَّا حتى تتوقف عن التأخير كل يوم وسنتحمل نحن التكلفة.

أومأ ريتشارد وغادر المكتب في غضبٍ..

***

قال ريتشارد إلى الكاهن:

- كلماتي كانت مؤثرة في الإعلام جدًّا، فكانت لي فقرة مكررة في البرامج الإعلامية لسبابي وشتمي واتهامي بالجنون وإثارة البلبلة، ولكنها أيضًا كانت كافية لإقناع ابنه آدم ليبدأ في البحث معي عن قاتل أبيه الحقيقي.

***

مصدر بالطب الشرعي: لا صحةَ حول ما يثار في وسائل السوشيال ميديا عن وجود شبهات جنائية خلف رحيل الكاتب والإعلامي رمضان عبد الواحد..

جريدة الحقيقة..

***

مازن الحسيني ينعي رحيل الصحفي رمضان عبد الواحد

جريدة الحقيقة

***

قال الكاهن إلى ريتشارد:

- مازن هو من دفعَ لقيس الشامي حتى يقتلوا رمضان حتى لا يكشف أمر تجارتهم في الآثار، أذكر أنك من أسقطهم جميعًا.

ابتسم ريتشارد وهو يتذكر تلك الأحداث المثيرة في حياته.

- نعم، أنا من ألقى بمازن الحسيني خلف القضبان لأنه قاتل ويبيع الآثار.

***

القبض على مازن الحسيني بتهمة الإتجار في الآثار والدفع لأحد القتلة المأجورين من أجل القتل العمد للصحفي رمضان عبد الواحد ورجل الأعمال الشاب أسعد نجيب المحلاوي.

جريدة الحقيقة..

***

قال ريتشارد:

- وكل الصفحات الإخبارية تبحث عن قيس الذي تلاشى بكل بساطة.

***

قالت إحدى الإعلاميات/ شاهي صابر..

- هذه هي صورة القاتل أعزائي المشاهدين، إن شاهده أحدكم يجب الإبلاغ عنه فورًا، ما زالت طريقته في الاغتيالات غير مفهومة من قِبَل الطب الشرعي لذلك يرجى توخي الحذر في التعامل معه.. أعزائي المشاهدين في كل مكان داخل مصر يجب أن يتم القبض على قيس في غضون ساعات قليلة، يجب أن تُحرَّر بلادنا من تلك النماذج الشيطانية، وكل عام وأنتم بخير لبداية العام الجديد لعله الأفضل لنا جميعًا،

بعد الفاصل لقاء خاص وحصري مع عاملة الفلك السيدة عون.

***

قال الكاهن:

- حكايتك مثيرة يا فتى، ولكنني لا أجد فيها أيَّ خطايا لا أراك سوى شخص مميز يبحث عن العدالة، لا أرى في كلماتك سوى أنك عظيم، ما رأيك أن تحكي لي اعترافك وخطاياك..

قال ريتشارد..

- تلك هي الخطيئة، أنني عظيم!، كل ما قُلته لك مجرد أوهام لا أكثر.

- لا أفهمك ماذا تقصد؟!

- سأخبرك بكل شيء.

صمت ريتشارد لحظات وبعدها قال:

- سأبدأ منذ اختفى آدم وظهرت أخته على الإنترنت تستغيث بالجميع.

***

فيديو على الإنترنت من السيدة ريم رمضان عبد الواحد تتحدث عن اختفاء أخيها آدم في ظروف غامضة!، وتشعل الرأى العام عن تجاهل السلطات لها..

- أنا متأكد أن مازن الحسيني دفع إلى قيس حتى يقوم بجريمة أخيرة.. أنا على يقين أن أخي تم اختطافه أو محتمل قتله بواسطة الإرهابي قيس.

***

- أتعلم يا أبونا أنهم ألقوا بي داخل مستشفى الأمراض العقلية عدة أسابيع وقالوا عني إنني أحمل مرض جنون العظمة وكهرباء زائدة قد تصل بي قريبًا إلى نوبات صرع وأخيرًا الفصام!.. أبونا، انسَ كل ما قيل وأنصت لي الآن جيدًا؛ لأن ما سأحكيه لك سيدمر كل حقيقة آمن بها كلانا!، اعتقد إسحق يعقوب أنه المميز

الوحيد فأنكرت عليه ذلك وظننت أنني أتشارك معه في عظمة وحل أسرار الله ولكن.. لا أعلم، لذلك جئت أعترف للمرة الأخيرة!



- 2 -

المختار

ابتسم الطبيب بافتعال شديد وقال لي بودٍّ مصطنع وأنا ألاحظ حركة حدقتي عينيه ترمق شاشة هاتفه متابعة لأحداث المباراة التي جنت جنون البشر كلهم.

- كيف حالك يا بني؟!، أعلم أنها فترة قاسية.. ما أقسى كشف الحقائق، أعلم أنك مررت بالكثير ورغم أن رحلتك كانت ممتلئة بالخيال إلا أنني متأكد أنها كشفت لك جوانب كثيرة عن الحياة وأعلم أنها منحتك الكثير من الإجابات.

صمتُّ لحظات أفكر في الإجابة؛ فلا أريد أن تخرج من بين شفتي أي أحاديث قد لا يفهمها ذلك الطبيب، فقد مكثت أسابيع طويلة وأنا أحاول تخيُّل كافة الأسئلة التي قد يسألها ذلك الأحمق وكيفية منحه إجابة يتفهمها هو، كنت لا أريد أي تقارير طبية جديدة تحمل اتهامات بجنون العظمة كما حدث قبل أمد بعيدٍ.

- لا أعلم إن كانت رحلتي منحتنى إجاباتٍ أم أزادت من الأسئلة والحيرة!، أنا لا أثق أن هناك مجالاً للعيش الساكن الهادئ في ذلك العالم، طالما نحيا سيتطلع عقلنا المتمرد الثائر العاصي إلى طرح مزيد من التساؤلات.. التساؤلات حيث لا إجابات لها، أخشى أنها سُنَّة الحياة يا طبيب.

أظنني أخطأت!، لم يفهم أي شيء من حديثي والآن سيحاول جاهدًا مَنحي أي رد فلسفي مصطنع كعادته، أتمنى أن أنجح في كتم ضحكاتي داخلي وأنا أسمعه وأصطنع جدية تكفي لمنحني تقريرٍ يُخرجني من هنا بدون أي كلمات تعيق عودتي للعمل في الصحافة.

- إنها الحياة بني!، دائرة لا تنتهي من التساؤلات، كثرة التساؤلات تدل على عمق وجودك، كن ممتنًا إلى الخاتم حتى ولو كان مجرد وهمٍ، وتيقن أن رحلته معك انتهت وأنك أخيرًا تحررت منه، لم يكن خاتم يسوع يا فتى بل خاتم عقلك الباحث عن العظمة في كل شيء حوله، محتمل أنك عظيم حقًا كما تراك كل

خلايا جسدك ولكن أنا متأكد أن ليس للخاتم دور في ذلك الأمر..

لم أتوقع أنه سينتقل سريعًا للحديث عن الخاتم، واضح أنه أخذ يشعر بالسأم مني، أو أنه يخشى أن أعلم عنه أكثر من اللازم كما يخشى الجميع الحديث معي!، أجبته بشكل مختصر:

- كنت أحمقَ!

أعجبته الإجابة كثيرًا، تلك هي الكلمات التي كان يود فعلاً أن يسمعها مني، ظهرت ابتسامته لثوانٍ ولكنه سرعان ما تدارك الموقف وأخذ يستدعي الجدية مرة أخرى..

- لا عليك!، دعنا نبدأ من جديد وننسى ما حدث..

يا ليته ممكنٌ أيها الأحمق.. لم أنطق بذلك كتمتها داخلي ومنحته ما يريد..

- حسنًا، أظنني سأحاول جاهدًا..

ربت على يدي وقال:

- ستفعل بني.. حتمًا ستفعل..

ضرب بيده الأخرى على صدره مرتين ثم أشار بسبابته نحو قلبه قائلاً:

- اجعل هذا هو من يقود الرحلة مؤقتًا بدلاً من عقلك.

حرَّك يده ناحية رأسه وأشار بسبابته نحو عقله وأردف:

- لهذا لا يمكن أن نحيا بدون عقلٍ أو قلبٍ، يمرض أحدهم يحمل الآخر الراية عنه، اجعل مشاعرك هي من تقودك ليس أفكارك.

كان الطبيب أحمقَ لا يعلم أن عقلي وقلبي كليهما مجتمعان على الإيمان بالخاتم واصطفاء الرب لي، فسحبت يدي وأخذت أنطلق معه مستأنفًا تلك المسرحية السخيفة التي ألعب أنا فيها دور المجنون كي أمنحه دور بطولة مصطنع، فسألته مدعيًا القلق:

- ماذا إن راودتني تلك الهمهمات في أذني مرة ثانية؟!

نظر لي بعينٍ تصطنع العمق وأخذ لحظات يفكر وهو يعيد سؤالي بصوتٍ منخفضٍ كأنه يحلل كل ما درسه ذات يومٍ باحثًا عن إجابة، ثم لمعت عيناه وأجابني بثقة:

- أغمِض عينيك وقم بالعد حتى العاشرة.. افتح عينيك لن تجد أيّ همهماتٍ حولك، لن تجد سوى الحقيقة، قم بالغوص داخل مشاعرك وأحاسيسك، ابحث عن الحقيقة وتذكَّر الماضي الجميل..

حقًا؟!، أقم بالعد حتى العاشرة ستتلاشى كلمات الإنشاد من أذني؟!، كم أنت أحمقَ بحق كل البشارات السماوية، كتمت الحديث داخلي من جديد وأردفت:

- ماذا إن كانت ذكريات الماضي لا تحمل سوى الألم.. الألم فقط يا طبيب..!

قال الطبيب:

- حسنًا، من أجل هذا خُلِقَ المستقبل، ألم أخبرك دومًا هناك قطبان يعتل أحدهم فنتبع الآخر.

قُلت له:

- حدَّثَني أحد الأطباء عن وجود بعض الخلل في كيمياء عقلي.. خلل يولد داخل رأسي الكثير من الأفكار الحمقاء عن العظمة والجنون، وأخشى أيضًا أنه أحيانًا يتلاعب بذاكرتي..

فقال الطبيب:

- نعم، ولكن هذا غير مُقلِق.. هناك نشاط زائد أنصحك أن تبعد عن أي اضطراب أو صدمات وإلا ستتعرض إلى نوبات صرَعٍ مُحتمَلة، ولكن بالانتظام على تناول الأدوية في مواعيدها أؤكد لك أننا لن نصل إلى تلك المرحلة أبدًا.

كأن الصدمات تستأذن قبل القدوم، حاولت كتمتها ولكنني لم أرَ فيها ما سوف يضر الموقف هنا بيني وبين ذلك الطبيب الأحمق، فردَّ متحمسًا:

- لا عليك، أخبرتك أن تلك الأدوية ستساعدك كثيرًا على تجنُّب تلك النوبات، والآن سأكتب لك تصريح خروج من هنا، ولكنك يجب عليك المتابعة معنا أسبوعيًّا حتى نتأكد أن كل شيء يتحرك نحو الصواب، وإذا شعرت في أي لحظة أن الخاتم يقترب منك أو أنك تُصدِّق ما يحدث حولك أو أي ميول نحو إيذاء نفسك أو حتى صداع نصفي يعصف بك أو إن اشتدت عليك حدة الكوابيس، تأتي إلينا فورًا، أرجوك بني لا تستهن بالأمر، فقط تعالَ إلينا..

آتي إليك في حالة إن شعرت الخاتم يقترب مني؟!، حقًا؟! أتريدني أن أهرب من اصطفاء الرب وآتي إليك أيها المسكين الأحمق، أخفيت كل هذا داخلي وقُلت:

- حسنًا، لا تقلق يا دكتور سيكون كل شيء على ما يرام.. أنا متأكد.

قام بتوقيع تصريح الخروج ثم منحه لي حتى يراه رجال الأمن على البوابات وقال وهو يتابع الشريط الإخباري على شاشة التليفزيون:

- حسنًا.. أتمنى ذلك، إلى اللقاء بني!، الاكتئاب صار يدفع بالجميع نحو الخلاص، صاروا يقتلون أنفسهم حتى أمام دور العبادة.

أخذت التصريح وهرولت نحو الخارج..

- إلى اللقاء دكتور سميح.

***

في الخارج قمت بطلب سيارة أخرى التابعة لإحدى الشركات الخاصة، أخرجت هاتفي وأخذت أتصفح الإنترنت باحثًا عن خبر موت محمد بمكة المكرمة، التائب المتسارع لنيل مغفرة كاملة عمّا فعله، ولكنني أخشى أنه نال راحةً أبدية الآن بعدما قمت بإرسال معزوفة الشيطان له؛ سلاح قيس المثير، وجدت فيديو لإحدى القنوات الفضائية تتحدث عن الخبر قُمت بتشغيله فنطقت المذيعة بصوت مرتفع كثيرًا:

"انتحار أحد المجهولين أمام الحجر الأسود في الحرم المكي!

قطع الحديث خلوتي وتركيزي بكلماته السخيفة:

- صار العالم يعتج بالجنون!، الانتحار أمام المسجد الحرام.. أي جنون هذا؟!

أجبته:

- إنها العدالة يا شيخنا.. العدالة ولكنك لا تعلم شيئًا.

لم يفهم السائق العجوز كلماتي بكل تأكيد، فقال:

- لا أفهمك..

توقعت ذلك!، فقُلت له:

- لا عليك!.. طوال حياتي لم يفهمني أحدٌ على الإطلاق..

تساءل السائق في فضولٍ:

- اعذرني على التدخل، هل كنت داخل المشفى في زيارة أحدهم؟!

أجبته بملل:

- لا.. أنا من كان بالداخل، كانوا يظنون أنني مريضٌ..

استمر السائق في بث فضوله وأخذ في طرح المزيد من الأسئلة السخيفة التي لا أعلم فيما ستفيده تلك المعلومات في حياته.

- وما هو تشخيصك؟!

فكرت لحظات في سؤاله وأجبته بعقل متشتت حائر بين كل الكلمات التي سمعتها طوال حياتي عن حالتي الطبية:

- أخشى أنه جنون العظمة!.. أو اكتئاب.. فصام.. لا أعلم تحديدًا، أعتقد أن الأطباء يظنون أنني أحمل كل جينات الجنون داخلي.

وهنا حاصرتني مئات الأفكار القديمة والذكريات، تذكرت قريتي القديمة وساقيتها المهجورة، تلك الفتاة التي أحبتني ولم يشأ الرب أن نخبر بعضنا بنذور

الزواج فكانت بين لحظة والأخرى مع رجل آخر وبالتأكيد لم أنسَ مشهدنا الحزين أمام القطار نتبادل نظرات الوداع رحلت الذكرى وجاءت أخرى حينما هبطت على أرض القاهرة وبدأت مسيرتي الصحفية في تتبُّع أخبار المشاهير وسرعان ما كانت تتلاحق القضايا على الجريدة فكان لا بُدَّ من نقلي إلى قسمٍ آخر، قسمٍ لا يقرأه أحدٌ فأخذت في تدوين أسماء الوفيات كلَّ يومٍ حتى بدأت في وضع علامات تعجبية بجانب بعض الأسماء وسرعان ما دونت عدة مقالات عن حلولٍ مُفترَضة ونظريات لبعض القضايا المسجلة ضد مجهول ومرت عدة أشهر حتى أصبح باب الوفيات هو الأكثر قراءة في الجريدة، إلا عندما ظهرت تلك القضية المثيرة عن رحيل أحد الإعلاميين وهو "رمضان عبد الواحد" الذي أعلن على الإنترنت أنه سيقدم الحلقة الأخيرة من مسيرته الإعلامية ليرحل بعدها في صمت فتتلاشى الإعلانات من على الشبكة العنكبوتية وسرعان ما يعلن الطب الشرعي أن سبب الوفاة هبوطٌ حادٌ في الدورة الدموية، كنت أعلم أن هناك لغزًا ما في الأمر فأخذت أتتبعه هنا وهناك، ولكن

الجريدة قررت إيقاف نشر المقالات بأوامر سيادية رغم أنني جلبت لهم أدلة دامغة عن رحيل الإعلامي متعلق بشكل أو بآخر بذلك العازف المجهول الذي طالما ارتبط وجوده بجثث راحلة بهبوط حاد في الدورة الدموية، منحتني الجريدة فرصة للإجازة وساعدتني في الحصول على إحدى الشقق بحوار القاهرة وهنا بدأت رحلتي الجديدة مع مذكرات الكاهن إسحق يعقوب، أخذ الكاهن يخبرنا عن اعترافات الفتاة التي اختارها الرب لتقتص لإحدى الفتايات التي تم اغتصابها وقتلها بدم بارد. أخذ الكاهن يحكي لنا مشاعره وتناقضات أفكاره عن صدق الفتاة أو كذبها.. بينما ظلت الصغيرة تتبع القتلة بكل حزم في كل مكان حتى تسقطهم جثثًا هامدة وحينما وجدت الفصل الأخير من مذكرات الكاهن ينقصه عددٌ من الصفحات قررت العودة إلى طاحب من جديد والتحدث معه شخصيًا؛ فمنحني الكاهن الخاتم وأخبرني أنني يجب أن أكمل المسيرة من بعد الفتاة.. تغيرت الأحداث وتم قتل جارتي، وداخل أحلامي رأيت البشارة من الكاهن فعلمت أنه عليّ تتبُّع القتلة في كل مكانٍ للاقتصاص

للراحلة ولم أنجح سوى في تخليص العالم من اثنين أولهما كان كريم؛ جعلته أشلاءً تحت عجلات القطار، والثاني كان محمد الراحل بنغمات معزوفة الشيطان التي تحفز هرمونات السعادة إلى الحد الأقصى.. الحد القاتل!

لاحقًا نجحت في فتح قضية الصحفي رمضان عبد الواحد من جديد، الراحل زورًا بهبوطٍ حادٍّ في الدورة الدموية، وأخذت أتتبع عازف الكمان من جديد وساعدني في ذلك آدم ابن الراحل وقد كان، بالفعل كشفنا كل تفاصيل القضية بالكامل وقمنا بالإثبات أن الإعلامي بالفعل لم يَمُت بسبب الهبوط الحاد كما كنا نظن بل رحل عندما سمع معزوفة الشيطان فقرَّر آدم الانتقام من العازف، ولكنني لم أساعده في الأمر لكنني كنت غائبًا عن الوعي أسيرًا داخل المستشفى النفسية، سحبني السائق من ذكرياتي قائلاً:

- لا أرى فيك ما يدعو للتباهي، حتى إنني لا أظن أنك تحمل أي ذكريات مختلفة تحفز داخلك جنونًا.

مرت أمام عينيّ ومضات مختلفة سريعة للماضي، رأيت فتى مصلوبًا في طاحب ثم رأيت الكاهن على فراش الموت وهو يمنحني الخاتم ثم رأيت عازف الكمان وهو يلحن بأوتار الشيطان معزوفتة القاتلة أمام رمضان عبد الواحد، وأخيرًا رأيتني أقيد كريم على قضبان القطار حتى أقتص لجارتي. واستمرت الومضات خلف بعضها البعض فقُلت بنبرة ساخرة لم يلاحظها السائق:

- أنت مُحِقٌّ، طالما كانت حياتي عادية.

- 3 -

عازف الكمان

داخل إحدى الخيام بمعسكر الدساس، بعد فترة من الأحاديث التي دارت بيني وبين عمي الملعون، الدساس نفسه، يومها أخبرني أنه يتوعد لي بالقتل لما بفعلته في الماضي، ما زال عمي يطاردني لأنني قتلت أبي قبل عقدين من الزمان، عمي كان يعلم أن أبي أحمق!، شهواني تطلَّع إلى حبيبتي وتزوجها، طالما كنت أراقبه وهو يضاجعها.. بل يعذبها، كنت لا أتحمل رؤيتها في تلك الهيئة المتدنية بين يديه فكان لا بُدَّ لي من التدخل ووضع حد لما يحدث ولم يفت الكثير حتى كنت قد نحرت عنقه وهربت!

وجدني الملعون وقام بخطفي مع الهاكر الشهير آدم ابن الإعلامي الراحل رمضان عبد الواحد، والآن يحاول منحني فرصةً للحياة من جديدٍ، ولكنها حياة تحت إمرته، حياة سأكون فيها قاتلاً مأجورًا له..

قال الدساس:

- لن نطلب منك سوى ما تجيد فعله، ستعزف لحن الشيطان عدة مرات أخرى، ومكافأتك هي أننا سنخبرك بمكان حبيبتك القديمة، أنا على يقينٍ من أنك ما زلت تتطلّع إلى إخبارها، عشقتها وهي ابنة الرابعة عشر ألا يتحمس شهواني مثلك إليها وهي صارت في منتصف الثلاثينيات، أنت تعلم كم هي عظيمة المرأة في ثلاثينيات عمرها..

هكذا إذًا!، الأمر كان لا يتعلق بأبي ولا بالثأر مني، عمي كان لا يهتم بتلك التفاصيل التافهة بالنسبة له، فكان من الواضح أنه يطارد بعض الأناس ويريد التخلص منهم ولا سبيل لرجاله الأغبياء من فعلها، فهو يريد قاتلاً محترفًا، قاتلاً كيميائيًا مثلي، فلم أتردد بقولي:

- أنا أرفض..

تساءل الدساس مندهشًا من قراري:

- هل أنت متأكد بني؟!، حياتك تعتمد على ذلك القرار..

أجبته بحماس غريب..

- لن أعمل لصالحك مهما كان الثمن يا عمي..

أومأ عمي وأشار إلى رجاله وهو يرحل عن الخيمة..

- اقتلوهم..

تقدَّم ثلاثة ملثمين وأخرَج كُلٌّ منهم مسدسًا وصوَّب الجميع ناحيتي بينما تقدَّم رابعهم مصوِّبًا سلاحه إلى رأس آدم المقيد جواري، ظلَّ الدساس يتحرك مغادرًا الخيمة، وكنت أعلم لو سمحت للدساس بأن يخطو خطواته الأخيرة إلى الخارج فلا سبيل لي للنجاة، ولوهلة وجدت نفسي أصرخ بذعر:

- حسنًا توقفوا!، سأفعل ولكن مكان الفتاة ليس كافيًا، أنت لا تفهم، أنا لا أهتم حقًا بتلك الفتاة أو السيدة ولا أشتاق لها ولا أهتم لرؤية انحاءات جسدها الجديدة، مكان الفتاة سيكون هدية منكِ ولكنَّ ثمن لحن الشيطان سيكون أمرًا آخر..

توقف الدساس عند مدخل الخيمة وظلّ الملثمون كُلٌّ منهم على وضعية الاستعداد ذاتها، تساءل بدون أن يستدير:

- توقعت هذا، حسنًا ماذا تريد يا ابن أخي؟!

نظرت إلى الملثمين برهبة شديدة وبصعوبة ابتلعت لعابي وقُلت..

- ما يحتاجه كُلُّ قاتلٍ مأجورٍ أموال!.. أموال كثيرة يا عمي، أموال تجعلني لا أستخدم الكمان مرة من بعدها، سَئِمت الشيطان وألحانه..

استدار الدسّاس وعاد يتحرك ناحيتي وهو ينظر لي، ثم ضحك وهو يُهبِط يدَ أحد الملثمين حاملي السلاح وقال بلسانٍ مُنتعشٍ سعيدٍ:

- لك ما تريد يا ابن أخي، كنت أعلم أنك ذكي!

أخفض جميع الملثمين أسلحتهم بما فيهم المواجِه لآدم الغائب عن الوعي تمامًا في تلك اللحظات الحرجة

من حياتنا فنظرت إليهم في حذرٍ فسألت الدساس:

- وماذا عن ذلك الهاكر؟!

أجابني الدساس:

- أظنه ملحدًا، هيئته وأفكاره لا تتوافق مع توجهاتنا حقًا، ولكننا نحتاجه.

قُلت بحماسٍ:

- ولكنه خطيرٌ، يجب أن نقتله على الفور..

قال الدساس بثقة هو ينظر إلى آدم:

- لذلك فهو مهم.. ولكن علينا تصحيح بعض الأوضاع، أوّلُها نخبره بالحقيقة الغائبة عنه

كنت لا أفهم إلى ماذا يرمي الدساس بحديثه هذا، فأردف:

- حقيقة مقتل رمضان عبد الواحد، الإعلامي والد الهاكر، أظن أن هذا السبب الذي يسعى من أجله آدم لقتلك؟!

أومات في تفهم وأجبتُه:

- حقيقة مقتل رمضان عبد الواحد ضائعة، ولكنَّ الهاكر على يقين أنني من قتلت أباه.

- ولكنك لم تفعل، ولكنك أيضًا لم تنفِ الأمر بشكل قاطع!

- رغم أنني كنت على يقينٍ من أن مازن الحسيني سيطلب منِّي عند لحظة ذلك الأمر، إلا أنه لم يفعل، يا ليتني أفهم ما حدث في تلك الليلة، نفيت الأمر ولكنه لم يسمعني أبدًا.

شرد ذهني في تلك الذكرى التي جمعتني بالهاكر قبل اختطافنا من جماعة الدساس، يومها صرخ في آدم وهو يصوب مسدسه إلى رأسي متسائلاً عن السبب الذي دفعني لقتل والده فقُلت له حينذاك.

***

- ريتشارد كان يعلم أنك قتلت أبي!

- ريتشارد كان غبيًا يا أخي، أبوك مات لأنه كان قارئًا ومُطلعًا أكثر من اللازم، وأنا لا أقتل سوى المنصتين، ولكن أعلم أنك لن تصدقني..

معزوفة الشيطان..

***

قطع الدساس حبل ذكرياتي وتساءل:

- مَن أرسل للإعلامي معزوفة شيطانك؟!، غريب أن يموت رمضان بألحانك بالرغم أنك لم ترسلها له على الإطلاق!، مَن يعرف سرك يا ابن أخي..

فكرت لحظات قبل أن أجيبه:

- أنا لم أرسل المعزوفة إلى رمضان عبد الواحد فعلاً، ولكن الراسل ليست المشكلة الوحيدة، هناك حلقة ما

زالت مفقودة، ولكن مهلاً من أين لكم بكل تلك المعلومات يا قوم؟!

أجابني الدساس وهو يغادر الخيمة مؤقتًا..

- نحن نعلم الكثير يا ابن أخي.. نعلم الكثير، محتمل نعلم أكثر منك، ولكن كما قُلت أنت هناك حلقة مفقودة، حلقة لن يأتي بها سوى قاتلٍ مأجورٍ وهاكر سويًّا!

- 4 -

الهاكر

في أحلامي أخبرَني أبي بضرورة تجنب اتباع الفضول، أخبرني أنه رحلَ عني ولم يعد هناك أيُّ نفوذ ستنقذني من شرور أعمالي، أخبرني أن أتجاهل كل شيء وأهرب ولكن حينما عدت إلى وعيي وجدت أنه لا مجال للهرب، كنت أسيرًا لدى جماعة إرهابية ما وفوهة بندقية تتجه نحو رأسي، كانت الصورة ما زالت مشوشة ولساني عاجزًا عن الحديث، أي مخدِّر منحوه لي هؤلاء الهمج!

- مهلاً مهلاً يا فتى ماذا تفعل فقط دعنا نتفاوض مؤكد سنصل لحل افضل من طلقات الرصاص

ضحك حامل السلاح وخفض سلاحه وقال موجهًا حديثه إلى قيس المقيد بجانبي:

- أخبرتك أنه سيستغيث ويطلب التفاوض..

قال قيس ساخرًا موجهًا حديثه إلى الرجل ولكنه كان ينظر لي..

- حسنًا أنت تفوز، سأمنحك نسبة من كل عملياتي داخل الجماعة.

صاح حامل السلاح وقد أعاد التصويب مُجدَّدًا نحوي:

- قُل إنني سآخذ نصف غنائمك..

قال قيس معدلاً حديثه:

- حسنًا حسنًا يا أخي لك ما تشاء، فقط توقف عما تفعل، لو علم الدساس ما تفعله لن يحدث خيرٌ لك، أنت تعلم أنه ينتظر من آدم الكثير..

نظرت لهم ثم تساءلت:

- أين انا؟!، ومَن يكونوا هؤلاء وماذا ينتظرون مني؟!

أجاب قيس:

- إننا في بيت الشيطان، فقط لا تتعجل لأنك هنا سترى الكثير والكثير يا أخي..

***

مأدبة طعام واسعة تحمل أشهى أنواع الطعام وأجودها، جمعت الدساس برجاله الأعلى قيمة داخل معسكره، بالإضافة إلى قيس وآدم، كان يتناول الجميع الطعام بنهمٍ شديدٍ عدا الدساس الذي كان مكتفيًا باحتساء القهوة وآدم يراقب الأحداث ويدرس الموقف حوله باحثًا عن سبيل للهرب من ذلك المأزق، نظر الدساس إليّ وقطعَ حبل أفكاري وشرود ذهني قائلاً:

- أرى أنك لا تأكل مثل عازف الكمان، ألا يعجبك الطعام؟

قولت له مختصرًا أفكارًا كثيرة بداخله:

- أريد أن أرحل.

رشف الدساس من فنجان قهوته وقال..

- بعد العشاء سيكون لك مُطلَق الحرية في اختيارك، صدقني أنت لست بأسير عندنا.

نظرت إلى الجميع وتساءلت:

- مَن تكونون بحق الجحيم؟!

قال أحد رجال الدساس:

- أسرة صديقك قيس.. عازف الشيطان.

صحت بهم جميعًا:

- ذلك الوغد قتل أبي!، شتت أسرتنا بالكامل بحماقته ومعزوفته الملعونة.

صمت الجميع يتبادلون الأنظار، كاد أن يتحدث الدساس، ولكن قيس قطع ذلك قائلاً:

- حسنًا أنا لم أفعل!

قولت بإصرارٍ..

- كاذب، أبي مات عن طريق معزوفتك الملعونة.

قبل أن يرد قيس مبررًا الأمر قال الدساس:

- دعنا نضع بعض الأمور في نصابها، قيس محتمل أنه وغد وقاتل مأجور بلا شرف ولكنه بالفعل لم يقتل والدك، نعم أبوك قُتل بمعزوفة قيس ولكن ابن أخي لم يفعلها!

قال قيس:

- طالما أخبرتك أن أباك مات لأنه قرأ كلمات الشيطان، أخبرتك أن أباك كان مطلعًا وأنا لا أقتل سوى المنصتين.

شرد ذهني أتذكر كلمات قيس، فبدا الأمر يتضح أمامي، ولكن ما زال عقلي يحاول إنكار الحقيقة فقُلت:

- ما الذي تقولونه؟ ريتشارد كان يملك أدلة قوية أنك أنت من فعلتها.

قال قيس بسخرية:

- ريتشارد مجنون يا أخي!.. ريتشارد مجنون، وقاتل.. أخشى أنه متورط في دماء أبيك، ليس أبوك وحسب، ريتشارد متورط في قتل الكثير، لعنة الله على ابن قرية طاحب..

قال الدساس:

- لا أعلم مَن يكون ريتشارد ولكنني أعلم من قتل أباك، وإن كنت تريد القصاص سأمنحك فرصة لذلك، ولكنك يجب أن تفهم قليلاً ما يحدث حولك.

أخرج الدساس صورةً إلى فتاة صهباء تتميز بشعرها القصير وحدقتيها الزرقاوين المميزتين وألقى بالصورة أمامي وتساءل:

- أتعلم مَن تكون هذه؟!

أجبته:

- لا..

تدخل قيس في الحوار بعدما رمق الصورة في يدي:

- أنا أعلم، أنها غدير مقاتلة في جماعة أنخ...

قطع الدساس حديثَ قيس قائلًا:

- بالضبط يا ابن أخي، مقاتلة من أخوية أنخ.

تساءَلت بعدم فَهمٍ:

- وماذا تكون أخوية أنخ تلك؟!

شعر قيس بالملل من جهلي وقال:

- ألا تقرأ التاريخ يا أخي؟!، يا الله كيف لأحمق مثلك تمكّن من سرقة البنوك والاحتيال على كبار رجال الأعمال وهو لا يملك الحد الأدنى من المعلومات التاريخية، أنخ لا تختلف عنك كثيرًا، جماعة تفني حياتها في السرقة..

قال الدساس:

- أخوية مفتاح الحياة.

قُلت بعصبية:

- أعلم أن أنخ هو مفتاح الحياة، أقصد ما تكون تلك الجماعة.

- السعي خلف كل ما هو ثمين!

فرددت طالبًا المزيد من المعلومات:

- حسنًا؟!

- حاولنا مطاردة غدير وقُرب وقوعها أسيرة بين أيديهم، تناولت تلك بعضًا من تلك الأقراص فماتت في الحال.

قال قيس مفسرًا الواقعة:

- حسنًا، هذا سيناید سم فتاك.

أردف الدساس..

- وضاعت الحقيقة معها، كانت جميلة ولكنها غبية، ما كنت لأقتلها أبدًا محتمل كنت سأتزوجها..

قُلت بملل:

- وماذا تريد منا؟!

أخرج الدساس أربع صور جديدة من جيبه، إحداهن صورة تخص مازن الحسيني وألقى بها أمام آدم وقيس.

- شيئان؛ الأول حسب مصادرنا، ما زال يوجد على أرض مصر أربعة آخرون من جنود أخوية مفتاح الحياة، أريدهم قتلى.

- ما هذا الهراء؟!، هذا هو مازن الحسيني وهو مسجون الآن مُحتمل إعدامه قريبًا..

- لا تقلق تلك ليست مهتمك، كيف سأمنحها إلى هاكر سكير وأترك ذلك القاتل المأجور العبقري، لا تشغل بالك بالكثير من الأفكار..

لم أمنع فضولى وتساءلت:

- هل مازن أحد أعضاء تلك المؤسسة؟!

أجابني الدساس:

- حسنًا الأمر معقد قليلاً، مازن أحد رجالها الموثوق بهم، ولكنه ليس عضوًا داخلها، أخبرتك ألا تهتم بالأمر الآن وأن تركز في مهمتك أنت..

- حسنًا وماذا تريد مني إذًا؟

- أريدك أن تعلم عن ماذا يبحث هؤلاء وتأتي به لي في الحال..

- قيس يمكنه استجوابهم قبل قتلهم.

- لن يجد معهم أي شيء، هؤلاء داخل عقيدتهم الانتحار قبل الوقوع في أيدينا، يعتقدون أننا سنحرقهم أحياء.

تساءلت ساخرًا:

- ألن تفعلوا؟!

لم يرد الدساس فأردفت:

- ستحرقوهم أحياء؟!

أجابني الدساس:

- لا يهم الآن.. المهم أن نعلم عن ماذا يبحثون؟!، ما الشيء الثمين الذي صار متواجدًا في مصر والجميع يتصارع عليه بتلك الصورة؟

تساءلت من جديد:

- وكيف لي أن أعلم إن كنا لن نحصل على أي معلومات منهم؟!

- أبوك يا آدم.. هؤلاء قتلوا أباك بشكل أو بآخر إذًا إن رمضان عبد الواحد كان يعلم الكثير..

قُلت نافيًا:

- مستحيل، أبي تم قتله لأنه كاد أن يفضح مازن الحسيني ونجيب المحلاوي.

تدخل قيس في الحوار قائلاً:

- أخشى أن مازن عَلِمَ بتلك الأمور متأخر جدًّا، هناك سر آخر وراء مقتل والدك

صمتُّ وأنا غير مستوعب ما يقال حولي، عقلي متشتت تمامًا يحاول إعادة ترتيب الأفكار كلها من جديد، فقال الدساس وهو يراقب شرود عينيّ..

- أشعر أننا بدأنا في جذب انتباهك أخيرًا.

وألحّ السؤال القديم من جديدٍ: ما السر وراء قتلك يا رمضان عبد الواحد؟!

مَن قتلك يا أبي؟!

- 5 -

ابن الظلام

أصدقائي، أهلاً بكم!

أعلم أنني رحلت عنكم مدة طويلة، لا أعلم إن كان رحيلي السابق موفَّقًا، وأظن أنني لا أعلم أيضًا إن كان حضوري الآن لكم هو الصواب، لا أعلم أي شيء!، ولكنني دومًا ما كنت أتعامل معكم على أنكم أصدقائي وأسرتي!، أعلم أنني رحلت عنكم بشكل رسمي ومهني، ولكنني لطالما كنت بجانبكم بشكل أخوي، لم أرَكم ذات يوم أبدًا كمتابعين أو كجمهور، رحلت عنكم وقلبي يظن أن الابتعاد عن كل ما يخص عوالم ما وراء الطبيعة سيجعلني إنسانًا جديدًا، أصبحت طبيبًا صيدليًّا كما أرادوا، ولكن يؤسفني أن من ذلك الحين وحياتي كلها تدمرت بالكامل!، أخشى أنني مُقدّر لي فقط أن أحيا تلك الحياة بين الأشباح والجان وصراعات المَرَدة، لا عليكم سأقص كل شيء في وقته

دعوني فقط أشير لكم سبب عودتي الآن بشكل رسمي..

"أخشى أنه عادا".. ذلك هو العنوان المناسب للحقبة الزمنية الراهنة.

حسنًا عودة صديقنا أو عدونا القديم ليست محل النقاش الآن، سأركز على الحكاية نفسها؛ أمس بدأت لعنة جديدة بقرية طاحب الحزينة، أربع جثث جديدة معلَّقة على مفاتيح الحياة بالطريق الواصل للقرية مقطوعي الأيدي والأرجل!، مَن فعلَ هذا بحق الجحيم؟!

جديرٌ بالذِّكرِ أنها ليست الواقعة الأولى ومؤكد أنها لن تكون الأخيرة التي تظهر فيها الجثث معلَّقةً على مفاتيح الحياة..

مرفق بالمنشور صورةٌ حصرية من الواقعة..

انتظروني سأعود قريبًا لكم بتفاصيل دقيقة عن الحادثة وكشف ملابسات عديدة بالجرائم سواء

القديمة منها أو المتوقع حدوثها في القريب.

أخبرتكم قبل زمنٍ أننا نتوسط دائرة من الطقوس الشيطانية، ولكن الراحل رمضان عبد الواحد كان من أشد المستهزئين بي، كم كنت أتمنى أن يحيا بيننا الآن الفقيد لعله يدرك خطورة ما يحدث حولنا، رحم الله الراحل عنا..

ابن ظلام/ نورالدين

راجعت المنشور عدة مرات حتى أتأكد من أنه خالٍ من أي أخطاء كتابية وتأكدت من أن رابط الصورة يعمل بشكل صحيح ثم ضغطت على زِر النشر، لحظات وبدأت عشرات التعليقات والإعجابات تُنشَر على صفحتي الشخصية عبر موقع الفيس بوك، ولكنني أغلقت الحاسوب على الفور، لست متأكدًا أنني فعلت الصواب حتى الآن، دقائق وانتفض هاتفي ابتسمت أخيرًا متوقعًا لقاءً تلفزيونيًا كما كان الحال فى الماضي، ولكن المتصلة كانت زوجتي السابقة بسنت،

ترددتُ لحظات ولكنني استقبلت المكالمة على أي حال.

- كنت أعلم أنك لن تتوقف أبدًا.

صمت لحظات أفكر في كلماتها، كنت أعلم أنها تقصد عودتي إلى عالم الصحافة من جديدٍ، سبق وأن أقسمت لها إنني سألقي بكل ذلك عرض الحائط وسأبتعد عن كل ما هو غريبٌ، ولكنها لا تعلم كمّ الاضطرابات الحياتية التي عشتُها، لا تعلم أنني عشت ليالي طويلة لا أحمل في جيبي ما يكفي قوتَ يومي، لم أستطع ترك الصحافة نهائيًا ولا الاندماج من جديدٍ مع عملي كطبيب صيدلي.

- بسنت، صدقيني حاولت، ولكنَّ الحياة كانت شديدة القسوة، أنت رحلتِ، أنتِ تَعلمين أنكِ كنتِ الصديقة الوحيدة في حياتي، جربت الحياة من بعدك، ولكنها كانت شديدة الظلام، لا أصدقاءَ، لا حبيبةَ، لا أموال.. فقط الظلام، أتعلمين؟ لم أعد أحب اللقب القديم

كمطارد الظلام، كأن ما يكرر يقرر، لم أعد مطارِدًا للظلام بل أصبحت ابن الظلام فعلاً.

كأنها لم تسمعني على الإطلاق وقالت:

- ستنتهي حياتك يومًا ما جثة معلقة على الأشجار يا ابن الظلام..

مسحت دمعة انسالت على خدي وقُلت:

- يا ليت ذلك يحدث وتنتهي كل تلك المواجع، الحياة شديدة الألم، صرت لا أحيا ساعاتٍ إلا بمضادات الاكتئاب، أتعلمين أنني أتناولها بدون أي استشارات طبية، لا أذكر الكثير عن الصيدلة، ولكنني أعلم أن ذلك خطيرٌ، نعم نعم.. أيضًا أصبحت مدخِّنًا.. مدخِّنًا شرهًا، أنا أمقت الحياة، أي حياة يحياها المرء بدونك يا صغيرة..!

كالعادة كانت لا تسمعني..

- يا ليت الكثير..

همهمت بدون إرادة بكلمات تخفي داخلها الكثير من التوسل.

- بسنت، ألم يحن الوقت لإعادة كل شيء كما كان!، الوقت لم يتأخر كثيرًا، أعتقد أنه ما زال في عمرنا عدة أعوام قادمة يمكن أن نحيا فيها سويًا، حياة هادئة سالمة أعدك فيها أنني سأكون لك الطبيب أو أي شيء تريدينه، لا أشباح ولا عفاريت ولا أي شيء غريب..

قالت بسنت:

- نور، أنا أتصل بك لإخبارك أنني سأتزوج قريبًا..

صمتُّ وكتمت داخل صدري مقدارَ ألم لم أشعر به من قبل في حياتي كلها.

- ولكن كيف فعلتِ ذلك؟!، أعلم أنني فعلت الكثير، ولكنني مؤكد أستحق فرصة، لم أعد أنكر أخطائي كما كنت، أنت كنتِ محقة في ظنك، يومًا ما تعاهد مع الشيطان نفسه حتى يمنحني المجد ولكنني أقسم لكِ

إنني تحررت من ذلك العقد نهائيًا، ما زال أمامنا فرصة للعودة.

قالت بسنت وهي تصر على إظهار جانب عدم الاهتمام بحديثي..

- لا عليك، كنت قلقة، ولكنني فور ما رأيت منشورك وعلمت أنك عدت من جديد إلى عملك القذر هذا في تتبُّع الشياطين أدركت أنك ستكون بحال جيدة الآن، أنا مُقدِّرة حالتك منذ رحيل رمضان عبد الواحد وأنت لا تجد أي اهتمام بوجودك فلم تجد سبيلاً سوى.. ماذا تسميها أنت؟!.. نعم تذكرت العودة الرسمية.. العودة الرسمية لعبادة الشيطان..

قُلت بعصبية شديدة:

- لم أجد وظيفة أخرى!، لا أجيد سوى تلك الأشياء، تقدَّم بي العمر ولم يعد هناك أي مجال للبدء من جديد في طريق آخر، كيف لا تفهمين الأمر؟!، كيف لا تفهمين

التحدي؟!، أنا ضحيت وما زلت مستعدًا لتقديم الكثير من التضحيات في سبيلك.. أنتِ وحدكِ..

غضبت من صوتي العصبي وقالت بالنبرة ذاتها:

- منذ أن سجدت إلى الشيطان وهو يجيد التحكم في حياتك وإفشال خطتك لأي عملٍ شريفٍ كباقي البشر، أنت تعيش تحت سيطرته بالكامل، خسارة يا زوجي.. السابق..

قُلت لها:

- حسنًا أنت تعلمِ الآن أنني مجبرٌ على ما أفعل، أنتِ تعلمين أن الشيطان لا يتركني لحالي، ساعديني للانتصار عليه ويمكننا سويًّا الانتصار عليه ونحيا الحياة التي تتمنينها.

قالت بسنت:

- أنت من باع روحه يا طبيب، هذا هو ذنبك أنت، ذنبك وحدك ولكن دَعنا لا ننسى أنني دفعت الكثير..

كنت أعلم أن الأمر أصبح يضيع من يدي، وأنني أفقد مكانتي في المكالمة.

- دعينا فقط نتقابل ولو لمرة أخيرة، مقابلة بلا أي وعود من جانبكِ، فقط فرصة أخيرة محتمل أن يتغير بداخلكِ شيء.

قالت بسنت:

- لا أظنها ستكون فكرة جيدة، أنا سأتزوج وأتمنى لك حياة جيدة شريفة أو لا أعلم، أتمنى لك حياة تسعد فيها سواء إن كانت شريفة أو لا.. لا أتمنى أن أراك ذات يوم معلقًا على الأشجار مثل غرباء القرية.

همست متوسلاً ولكنها لم تسمعني قَطّ..

- بسنت.. أرجوكِ..

قالت بسنت وهي تنهي حديثها:

- إلى اللقاء يا مطارد الظلام أو ابنه لا يهم..

لم تكن بسنت بتلك القسوة من قبل، بعد عدة سنوات من زواجنا شِبه المستقر، حدَّثَتها أمها عن ضرورة بذل المزيد من الجهود للحصول على طفلٍ يُجدِّد من حياتنا ويقتل أوقات الملل بيننا، ولكن هيهات أن يستجيب لنا القدر، شهورٌ طويلة في التنقلات بين أشهَر الأطباء عن سبب تأخُّر قدوم ولي العهد، ولكن أي عهود سيتوالها ذلك الحزين لأبٍ صحفي يسبُّه الناس أكثر ما يمدحونه وأم صارخة غاضبة غارقة في عالمها المكتئب طوال الوقت. دامت رحلة الأطباء لسنوات والجميع يردد أن كل شيء على ما يرام ولا أي مشكلة صحية تمنع حدوث الحمل، حتى حينما أخبرنا الطبيب بإمكانية عملية بسيطة للتلقيح الصناعي طالما هناك إمكانية لدفع عشرات الآلاف، حاولتُ التهرب من الأمر ولكن بسنت أصرت على جمع ما لدينا من أموالٍ حتى يحدث الحمل المُنتظَر، ولكنه لم يستقر في رحمها سوى ستة أسابيع فغضبت ويئست وصرخت مقررة اتهامي بكوني الملعون هنا والسبب عن غضب الله علينا.

- كيف سيرزقنا الله بالذُّرية الصالحة وأنت تبيع نفسك للشيطان كل ليلة؟!، طلاسم وتعاويذ، شموع تنتصب نيرانها وهمهمات بينك وبين كائنات غريبة، لطالما أعاني كل ليلة برؤيتك تتحدث معهم أثناء نومك، أنت ملعون.

كانت ليلة مرهقة حقًّا، بعدما شرعت في الكتابة عدة أيام ولا أجد ما أكتبه.. أتجاهل كافة الاتصالات من مديرين التحرير لأني لا أملك أي حكايات جديدة من أجل النشر، تراكمت الفواتير، حتى سيارتي البائسة صارت مُعطَّلة ولا أجد أموالاً لإصلاحها، كما أنني تركت التدخين لسوء الأحوال المادية، صحت فيها بعصيبة والصداع يضرب رأسي:

- ما هذا الهراء؟!

أجابت بإصرار..

- أنا أعلم أن هناك جزءًا في عملك يعتمد على تحالُف ما أو عهد مشئوم بينك وبين أحد الكائنات من عالم

آخر، لماذا لم تخبرني من قبل عن حقيقة عملك؟!، لماذا لم تخبرني أن الشيطان اختارك كابنٍ له، لن يمنحنا الله الذرية الصالحة طالما أنك تعيش في ظلال إبليس.

كدتُ أن أجيبها بالنبرة الحادة ذاتها ولكن تملَّكَتْني نوبةٌ من السعال الشديد تطايرت معه قطرات دموية من فمي، تحركتُ وصببت كوبًا من الماء وشرعت في شُربِه وقُلت بصوتٍ أقل حدة عما كنت أرغب فيه:

- ألم تكوني إحدى المعجبات بعملي؟!، ألم تكوني من عُشّاق الطلاسم والتعاويذ والبيوت المسكونة، أتذكَّر أنَّ أول لقاء لنا كنتِ مجرد قارئة لأعمالي المنشورة على شبكة الإنترنت، أنتِ من حبَّبْتِني في كل هذا، لطالما أخبرتِني أنكِ تعشقين نجاحي، أنت من كنتِ تخبرينني أنَّ أفضل شيء من كياني هو الكتابة، الشهرة، الجمهور.. على يدك تحوَّلَتْ الكتابة من هواية إلى عملٍ ونجاحاتٍ وإبداع، تركت كل شيء وتفرغت تمامًا لصناعة النجاح الذي يرضيكِ، والآن أنا ملعونٌ!

قالت بسنت بغضب وهي تبكي:

- كنت أحسبك مؤلفًا ما يصنع الأساطير وليس يخلقها، يتحدث عن الجان للإثارة وجذب الانتباه والشهرة وليس مؤاخٍ أحدهم.

قُلت بعصيبة شديدة هذه المرة وأنا أكتم رغبتي في السعال مرة أخرى:

- أيُّ جانٍ أيتها الحمقاء.. أخبريني عن أي جانٍ تتحدثين، هيَّا أخبريني!

تقدمت ناحيتي في شكل عدائي وقالت بإصرار صارخة:

- كفى ادعاء للغباء أنا قرأت وعلمت كل شيء.. أنت كافرٌ ملعون.

لم أتحمل المزيد وصفعتها على وجهها دون أن أشعر، يومها عم الصمت المكان لمدة دقائق، كان كلانا يعلم أن تلك الصفعة جرس إنذارٍ خطيرٍ في حياتنا الزوجية،

يخبرنا بكم المنحنى الذي صار زواجنا يتخذه ولكن كل منا حاوَل تجاهل الأمر وادعاء أن كل شيء سيكون على ما يُرام وأن ما يحدث ونَمُرُّ به مجرد خلافات زوجية بسيطة، وأن تلك الخدوش التي أحدثَتْها صفعتي على وجه بسنت ستلتئم مع الوقت، ولكن لم يحدث ذلك مطلقًا، يومها قُمت بالاعتذار وأخذت أقدم الهدية تلو الأخرى، كانت كالقرابين بالنسبة لي، والقرابين في حياتي لم تكن بالشيء الغريب عني، طالما قدَّمتها لكل شخص وكل شيء، ولكن دومًا تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن.

في يومٍ لاحق للأحداث دفعَتْ بسنت باب غرفتي وأخذت تصرخ بقوة:

- كفى ما يحدث هنا!

كنت لا أفهم وقتها ماذا تقصد.. أو محتمل أكون فاهم ولكن ليس بيدي شيء سوى الإنكار:

- ماذا تقصدين؟!، لماذا تصرخين بتلك الصورة؟!

لكمتني في كتفي مرتين وهي تبكي قائلة:

- أنا أراهم!، أشعر بهم في كل مكان بالبيت، أسمع أنفاسهم.

تجاهلت النظر إلى عينيها حتى لا ينكشف أمري وتساءلت وأنا أعلم الإجابة:

- من يكونون؟!

أجابتني بصوت متلعثم:

- العفاريت..

سألتها من جديد:

- ماذا ترين بالضبط؟!

شعرت أنني أتهرب منها، أصطنع عدم علمي بكلماتها.

- أنت تعلم ماذا أرى!

تساءلت وأنا ما زلت أتجاهل النظر لها:

- وكيف لي أن أعلم؟!، أنت من رأيتِ..

تحركت ورفعَتْ رأسي ناحيتها ونظرَتْ في قاع عيني وقالت:

- لأنك أنت من جلبتهم إلى عالمنا، أنت من قررت السجود لهم!

أطحت بيدها وقُلت مبتعدًا عنها..

- أتقولين هذا الحديث مجددًا..

قالت بتوسل:

- أرجوك يا نور توقف عما تفعل، أنا أخشى عليك غضب الله..

قُلت بعصبية:

- أنا لا أفعل أيَّ شيءٍ، لا شيءَ على الإطلاق أنت تتوهمين الأمر.

قالت ساخرة منّي:

- أتوهم؟!

استفزتني سخريتُها فقُلت:

- نعم وأظنك في حاجة لزيارة أحد الأطباء النفسيين..

صمتت لحظات وهي تضحك بألم..

- نور..

- نعم!

- طلقني!

لم أكن أتخيل أن حياتنا الزوجية القصيرة ستنتهي بتلك الصورة غير المتوقعة، كانت أشبه بنهاية مملة لفيلم مثير، تحركت الأحداث سريعًا ووجَدْنَا أنفسنا بجوار قاضٍ ينصحنا بفرصة أخرى لعلّنا ننقذ الميثاق الغليظ بيننا كدت أن أنطق موافقًا كلامه، ولكنها قطعت الأحاديث كلها صارخة:

- لا يمكن أن أكمل حياتي مع كافر ملحد مثله.

قال القاضي:

- أستغفر الله يا ابنتي، أحقًا يا نور ما تدعيه زوجتك؟!

قُلت ناكرًا كل الأمور:

- لا بكل تأكيد، هي تختلق الأمور..

قالت بإصرار وغضب صارخة في الجميع:

- أقسم لكم جميعًا إنه كافر باع روحه للشيطان ذاته.

لم أتحمل نظرات الجميع فنهضت من مكاني صائحًا:

- أنتِ طالق!

وانسدل الستار عن ذلك الفصل من حياتي، أشهُر تمر وراء أشهر وأنا أحاول جذب زوجتي إلى الحياة مرة أخرى، تدهورت حياتي المهنية كثيرًا فاستغللت

الفرصة وأخبرتُها أنني تركت كل شيء من أجلها، ولكنها رفضت العودة.

- أخبرتك يا نور، يجب أن تتجاوز كل شيء.. أرجوك لا تتصل بي مرة أخرى.

لا أعلم لماذا أكتب كل هذا الآن؟ محتمل هو الاشتياق أو محتمل أنني أذكِّر نفسي بما حدث..

ولكنني لم أنسَ ما حدث قط!

أظن أنني أخرج ما بداخلي، أطرد الذكريات عن طريق الأوراق.

بسنت رغم ما حدث أشعر أنكِ لست بمخطئة.. هنيئًا لكِ حياتك الجديدة.

وليغفر الله لي ما سبق وأرجوه أن يساندني أمام ما هو آتٍ.

***

صباح اليوم جاءني هاتف من سيدة تدعى سامية..

- أريد كل ما لديك من معلومات تخص تلك القضية المشار له في منشورك على الإنترنت..

- مَن تكونين؟!

- أخبرتك، أنا سامية طارق الشناوي.

- أرجو الانتظار لحظة معي..

دوَّنت اسمها على الإنترنت لعله يخبرني من تكون تلك السيدة بحق الجحيم وقد كانت الصدمة، أخبرني الإنترنت أن سامية هي زوجة رجل الأعمال مازن الحسيني بجوار عدة عناوين أخرى منشورة في صحف غير رسامية عن كونها ماضيًا ممتلئًا بالعهر والفسق.

- نور، أما زِلت معي؟!

- نعم نعم، حسنًا، أعتقد أنني سأحدد لكِ موعد قريبًا.

- نور، أنت لا تفهم أيَّ شيءٍ على الإطلاق، سأمنحك كل شيء حلمت به.

- أخبرتك أنني سأحدثك لاحقًا، عذرًا أنا يجب أن أرحل.

- نورا!

- مع السلامة!

- أتمنى ألا تظهر على الشاشات قريبًا، أنت لا تعلم أيَّ شيءٍ عما تتعامل معه.. أنا الورقة الرابحة الوحيدة في تلك اللعبة، أنا البداية والنهاية لتلك الأحداث أرجو أن تنصت لي قبل فوات الأوان!

أغلقت الهاتف دون ردٍّ، يا ليتني أنصتُّ لها!..

- 6 -

المختار

يومٌ جديدٌ وما زالت روحي البائسة عالقة بجسدي الضعيف، فصلٌ آخر من حياتي أكتبه اليوم، أشعر بشكلٍ أو بآخر أن النهاية قد اقتربت، وأن دوري في تلك الدورة الحياتية قد ينتهي بين لحظة وأخرى، فما فائدة الحياة طالما ضللت الطريق وضاعت غايتي، أشعر أن الرب صار يتجاهل ندائي، إلهي أعلم أنك غاضبٌ منّي، أعلم أنك تراني أحمقَ ضعيفًا لا يقدر على تنفيذ أي وجهٍ من أوجه العدالة بأرضك، ولكنني أتطلع إلى كرمك وعطفك أن تمنحني فرصة أخيرة لتعديل ميزان العدل والاقتصاص ممن نكرههم، رغم رحيل الخاتم المقدس عني في الأحداث الماضية ولكنني ما زلت داخل اللعبة اقتصصت من محمد داخل بيتك الحرام كما سبق وفعلت مع كريم على قطبان القطار، دوري اقترب من الانتهاء لم يعد هنا سوى الشيطان الأكبر مينا، أعلم أنه تورّط بشكلٍ أو بآخر في سرقة

الخاتم، مينا يريد كبحَ جماحي عن تحقيق أي شكلٍ من أشكال العدالة، لم يكفِه ما فعله مع الملعونين الآخرين من اغتصاب وانتهاك جسد بريء داخل بيتها، أتذكر يا ربنا ما حدث في تلك الليلة؟!

ذلك المشهد وأنا نائمٌ وأرى حاملة الخاتم تلتف حولي احتفالاً بي بأنني صرتُ أحدَ جنودك أخيرًا وحاملاً للخاتم المقدس، يومها استقيظت على صراخٍ قادمٍ من الشقة المجاورة، ولكنَّ الوقتَ كان قد تأخَّر، فقد سبقَني الشياطين الثلاثة باغتصاب وسرقة وقتل ميريهان الجميلة، ولكنني استقبلت نداءك وأقسمت على تنفيذ العدالة كما سبق وتم تنفيذها داخل قرية طاحب المنسبة بأيدي الملاك المجهول حاملة الخاتم.

أقسم لك بك إنني سأجد مينا مهما طال الوقت وسأجعله يدفع الثمن، لا أعلم إن كان يجب الحديث عن ذلك الآن أم لا، ولكن أنا على يقين أن لا مجال للصدف في حياتنا، اليوم كثير من الوجهات الإعلامية لا حديث لها سوى على الخبر الذي يحمل توقيع الصحفي الملعون ابن الشيطان نور الدين، نعم ربنا لقد

عاد من جديد شيطان آخر مُعلِنًا عن جريمة قتل شنيعة، حامل السبق الصحفي ثلاث جثث معلَّقة على الصلبان، أتعلم أنني شككت للحظة أن الخاتم آل لأحد البارعين الذي تمكن من رسم ذلك المشهد الرائع على طرقات الواصلة بالقرية المثيرة المنسية، ولكن ماذا لو حامل آخر للخواتم المقدسة، ماذا لو كانوا ضحايا فعلاً؟!، وأن الشيطان صار يستغل ضياع الخاتم وأخذ يصنع مشاهد عبثية تخبرنا فيها عن قدراته القوية وسيطرته وهيمنته على تلك الأرض، أنا لا أعلم شيئًا ولكنني لا أنسى ماضي ابن الظلام الممتلئ بالأسئلة التي لا تحمل أيَّ إجاباتٍ قد تضع الصحفي الشهير بداخل البدلة الحمراء بمنتهى المنطقية، لا مجال للصدف يا إلهي.. لا مجال للصدف هذا ما أخبرتنا به في كل كتبك السماوية العظيمة، في كل العهود كنت تؤكد على أنه لا مجال للصدف، نور الدين، أعلم بشكلٍ أو بآخر أنه متورط في صنع ذلك المشهد العبثي على الطرقات ولكن لماذا؟!، ما الذي يجعل ابن الظلام يتورط في صلب ثلاث أو أربع جثث وقتلهم بتلك الطريقة؟!، أشك أنه أراد بداية قوية لعودته وبسبب

بطء حركته ووزنه الذي أصبح زائدًا لبُعده كثيرًا عن المشهد فقرر صنع بدايته بنفسه!، لا أعلم، محتمل أن أكون مخطئًا..

***

صراع داخلي وشكوك تعصف بي أحيانًا عن حقيقتي؟!، تساؤلات ماذا لو كان الأطباء محقين وأنا مجرد مجنون متعلِّق بالأوهام، وأن لا حقيقة للخاتم وأنني مجرد متطلع للعدالة وصنعت مجدًا عظيمًا للذات، هل هي فعلاً كما قال الأطباء الآن وقال أطباء زمان أنني أحمل بوادر جنون العظمة داخلي؟!، أعتذر عن تشكيكي يا إلهي ولكنَّ الصراع أصبح عظيمًا، ما زال الخاتم ضائعًا منِّي!، رمز الحقيقة، أتعلم أنها للمرة الأولى التي أدرك فيها لماذا صنعت يا عظيم رمزًا للعدالة، قبل احتدام ذلك الصراع فيما قبل أخبرَني صديقي محمود ذو اللسان المتلعثم عن سبب وجود خاتم للمختار من الرب، يومها أذكر جيدًا أنني عجزت عن الرد، ولكنني الآن صرت أحمل إجابة، الرمز هو

الهوية أنك موجود، أنك على حق، أنك لست مصابًا بجنون العظمة!

ولكن أين الخاتم؟!

ما زلت أحاول الوصول لآدم لعلّني أمنحه بعض الأموال فيجد لي بطرُقِه الخاصة الملعون مينا كما وجدَه من قبل، آدم ما زال اختفاؤه غريبًا حتى الآن وجميع أسرته يرتابون مما يحدث خاصة بعدما تهدمت الكثير من القمم المصرية جراء كتابي الإلكتروني الذي كشف الكثير من الحقائق الخفية التي تحدث داخل مصر والتي أطاحت بعدد من المسئولين أشرّهم وأشهرهم مازن الحسيني الذي صار يواجه عددًا لا بأس به من التهم التي ستكون كفيلة أن تصل برقبته إلى حبل المشنقة، أحيانًا يراودني تساؤل؛ ماذا لو كان يعلم مازن الحسيني مكان خاتمي؟!، أذكر تلك المرة التي تقابلنا فيها أنا ومازن للمرة الأخيرة، يومها كنت أتوقع أنني سأجده يائسًا بائسًا خلف القضبان، ولكنه بدا على العكس تمامًا كأنه هو من انتصر، يومها قال:

- أتظن أنها النهاية؟!

بصعوبة ابتلعت لعابي وكتمت شكوكي وأجبته:

- أعلم أنها النهاية..

ضحك بصوت مبالغ فيه وتساءل من جديد:

- وهل مجنون مثلك يمتلك علمًا بدون خاتمه العظيم؟!

كنت غاضبًا وقتها كثيرًا، وظننت بدون تفكير أن مازن له علاقة بضياع الخاتم مني، ولكن عندما استقرت حالتي أكثر بدأت في ترتيب بعض الحقائق أمام عيني وأدركت أنه من المحتمل أو الأكيد أن ذلك الملعون يعلم حكاية الخاتم من قيس قاتله المأجور الذي اقتحم بيتي خلسة، وعلم حقائق أكثر من اللازم.

أمحتمل أن يكون قيس القاتل المأجور قد غيَّر طريقته في القتل من التلاعب الكيميائي للاستعراضي وقام بصلب الجثث على طريق الصحراوي متأثرًا بحكاية قرية طاحب المنسية والجثة التي تم صلبها وحرقها

هناك؟!، ولكن إن كان ذلك صحيحًا كيف لنور الدين التواجُد في نفس الوقت ليقوم بتصوير الحدث..

محتمل أن يكون نور الدين قد صار يعمل مع قيس القاتل؟!

ما هذا الهراء؟!

عذرًا إلهي أنا فقط أفكر بقلمي، ولكنني أخشى أنني صرت أهذي، سأرحل الآن وأعود مرة أخرى لأكمل اعترافي الأخير

وأعتذر لعلني أجد السماح واليقين مرة أخرى وأخيرة.

***

إلهي، اليوم رأيت نور الدين على شاشة التلفاز ضيفًا في أحد البرامج الإعلامية يتحدث عن براعته وسيطرته وقوته التنبؤية في معرفة أماكن الحوادث منحنا العديد من التحليلات الحمقاء عن أسباب ما يحدث حولنا، توجهت له الإعلامية بسؤالها:

- ألا تظن أنه من انعدام المهنية نشر تلك الصورة على الإنترنت ونشر الذعر بين الناس.

اعتلى بقدمه على الأخرى وقال:

- انظري حولكِ، ألا ترين العالم كيف أصبح؟!، انعدام المهنية حقًّا؟!، إلى متى سنصور للناس أننا نعيش داخل مجتمع سوي، من المهنية أن يعلم الجميع أننا صرنا نعيش داخل درب من الجنون، أخبرتكم قبل زمن بعيد أن ما حدث داخل قرية طاحب من حالات قتل متسلسلة ستكون البذرة الأولى لسلسلة من الجرائم التي لن تنتهي أبدًا..

كادت أن تنطق المذيعة بشيء، ولكنها قررت الصمت والتوقفت. داعبت السماعة الموضوعة في أذنها للحظات وهي تتابع حديث ابن الظلام بحركة رأسها شبه المؤيدة، بعدها قالت:

- عذرًا أعزائي المشاهدين سنخرج إلى فاصل وسنعود بعد قليلاً مع برنامجكم صرخة في وجه الفساد

ابتسم نور الدين وهو يغيب تدريجيًّا عن الشاشة، حينما عاد نور الدين مرة أخرى على الشاشة وقد بدا أكثر توترًا عما كان، لا أعلم تحديدًا ما الأوامر التي صدرت تجاهه في فترة الانقطاع، ولكنَّ ملامح القلق كانت واضحة على وجهه هذه المرة، بدأت المذيعة تُطلِق الأسئلة من جديد من بين شفتيها كطلقات الرصاص.

- يجب أن تعترف أنك إن انتهكت الحقوق بنشرك لتلك الصور على الإنترنت، هذا يُعَد خدشًا للحياء ومشاعر الجميع، كيف لك أن تعرض تلك الصورة على الشعب، ألا تمتلك ذَرةً من الرحمة.

كنت مندهشًا حقًا من هجوم المذيعة الغريب وغير المفسر، لكن ما كان يدهشني أكثر توتر نورالدين، ردَّ ابن الظلام بنبرة تحمل القليل من القلق من الهجوم الشديد عليه:

- أعلم أنني من المحتمل أن أكون قد أخطأت، ولكنني قصدت أن ينظر الشعب لما صار يحدث حوله من

انعدام للا إنسانية لا أكثر، وإن كانت تلك الصورة تسبِّب كلَّ ذلك الذعر يمكنني حذفها نهائيًا.

قالت المذيعة وهي تداعب سماعة أذنيها من جديد:

- وماذا يفيد الحذف؟ فكل هاتف وجهاز كمبيوتر صار يحمل تلك الصورة الآن، معانا على الهاتف المحامي صبري عماد.

همهم نور الدين ساخرًا:

- لا بُدَّ منه!

انطلق صبري عماد المحامي صارخًا:

- إلى متى سنظل هكذا يا أستاذة شاهي!، إلى متى سنعطي مساحة إلى هؤلاء القتلة المجرمين للظهور على الشاشة وبث سمومهم على الجميع؟!

قاطعه نورالدين بعصبية:

- أي قتلٍ وإجرام اللذان تتحدث عنهما أيها المخبول؟!

قالت المذيعة شاهي مدافعة عن صديقها المحامي:

- لا يجب عليك أن تسبَّه، تلك جريمة أخرى محتمل أن يقاضيك بسببها.

تدخل المحامي مقاطعًا الجميع:

- يا أستاذة شاهي من يوم الأحد القادم سأكون أمام النائب العام ومعي مذكرة إدانة للمدعو نور الدين لما قام بنشره على وسائل الإعلام وشروعه في عرقلة سير تحقيقات العدالة وتلك جريمة عقوبتها قد تصل إلى عدة سنوات داخل السجن، رحمة الله على رمضان عبد الواحد هو من كان يجيد التعامل معه ومع أمثاله.

حرَّكَت المذيعة رأسها مؤيدة للحديث وهي تنظر إلى نور الدين بانتصارٍ كبيرٍ، كاد أن يتكلم نورالدين ولكنها قاطعته:

- معنا الصحفي الشهير ريتشارد أمير على الهاتف، لمن لا يعلم ريتشارد؛ إنه من استطاع محاربة الفساد بقلمه وإسقاط مازن الحسيني من على عرشه للإلقاء به

داخل السجن مواجهًا عددًا من الجرائم التي لن تخرجه من محسبه قبل خمسة وعشرين عامًا على أقل تقديرٍ، هذه هل الصحافة أعزائي المشاهدين وهذا هو دورُها في كشف الغطاء عن المجرمين وتسليط الضوء عليه كما نفعل نحن الآن ونسلط الضوء على مَن يشيعون في الأرض فسادًا، وليس مثل من يبث الجهل وحكايات العفاريت في نفوس المصريين.

كنت في شدة الاستمتاع وأنا أرى ملامح نور الدين التي تفشَّى بها الذعر حينما سمع اسمي، وكلما استمرت المذيعة بالحديث عنِّي أشعر برغبته الملحة في الهروب من المكان، كان يعلم أنني لن أرحمه الآن ولكنني كنت على حقٍّ، أنا لست كصبري عماد المحامي جاذب الأضواء له من قضايا الفنانين والصحفيين ولكني أمتلك نظرية قد تخيف نور الدين بعض الشيء.

- تفضَّل أستاذ ريتشارد، أنت على الهواء.

قُلت بعد الترحيب بهم:

- أليسَ من الغريب أن يتواجد نور الدين أمام ذلك المشهد الدرامي العبثي عن طريق الصدفة كما قال؟!، الصدفة تلعب في حياة ابن الظلام دورًا مثيرًا للاهتمام ولنا في منزل بلال خير دليل أليس كان الإيقاع به أيضًا من قبيل الصدفة!

قالت المذيعة باهتمام شديد وهي ترمق ملامح الفزع على وجه نور الدين:

- ماذا تقصد أستاذ ريتشارد؟!

قُلت بكلمات أوضح هذه المرة بعدما نجحت في جذب اهتمام الجميع الآن..

- كيف علمت يا نور الدين بالجريمة؟! من أخبرك بها؟!، أي صدفة تلقي بصحفي شهير بمتابعة قضايا القتل الغريبة وغير الشائعة، نحن أمام جريمة تجمع بين جثث معلقين على الصلبان أو مفاتيح الحياة حسب تعبيركم؟!، كيف كنت في المكان ذاته بالوقت المحدد،

بالتفكير المنطقي لا أجد سوى أنك كنت على عِلمٍ مُسبَق بما سيحدث هناك!

قال نور الدين بتردد:

- حسنًا ذلك البرنامج مؤامرة كان لا يجب الظهور على تلك الشاشة غير الحيادية.

قالت المذيعة متجاهلة اعتراض نور الدين:

- حدثنا أكثر يا ريتشارد ماذا تقصد من كلامك؟!

نهض نور الدين من على كرسيه وشرع في إزالة الميكرفون عن قميصه والخروج من الأستوديو. لم تحاول المذيعة إيقافه لأنها تعلم أنها أخيرًا حققت المراد من تلك الحلقة، أردفتُ أنا مكملاً حديثي:

- نور الدين يخفي عنا شيئًا ما!، أرجو التحقيق معه ليس لأنه قام بنشر الصور، ولكن لأنه يخفي أمرًا ما، أمرًا أخشى أنه يعيق العدالة، مَن أبلغَه بوجود ذلك

المشهد؟!، أو.. أو.. أو من صنع لنور الدين ذلك المشهد لكي يعود للأضواء مرة أخرى!

اتسعت حدقتا المذيعة شاهي لما قلته.

- هذا الحديث خطير أستاذ ريتشارد..

لم أرد عليها واكتفيت بإغلاق الهاتف والانسحاب من المشهد بعدما قمت بمنح الجميع بذرة حقيقة واقعية للتحقيق مع الصحفي اللص، سارق الأضواء والملطّخ بالدماء، لا أعلم كيف تلوثت بيده بالدماء ولكن منذ قضية بلال قبل زمن بعيد وأنا على يقين أن أيدي نورالدين ليست طاهرة كزميله المجرم!

***

إلهي أنا المختار منك لتحقيق العدالة في الأرض، ذهبت للشيطان اليوم وطلبت مقابلته مرة ثانية، بالتأكيد كلانا يعلم مَن الشيطان في دائرتنا الصغيرة، بالتأكيد هو مازن الحسيني تاجر الآثار والمتهَم بعدد

جرائم أقلها ستصل برقبته إلى حبل المشنقة سواء كان هو أو عازفه الهارب حتى الآن.

فور أن رآني مازن حاول اصطناع الثبات والقوة من جديد.

- ألم أخبرك أن النهاية لم تحن بعد..

ضحكت قائلاً:

- نهايتي؟ محتمل.. أما عنك، فلا أظن ذلك أيها الشيطان.

أومأ مبتسمًا في ثقة وقال:

- حسنًا حسنًا يا حامل خواتم المقدسة، ماذا تريد من الشيطان ذاته الآن؟!

اقتربت منه أكثر وسألته بشكل محدَّد ومختصر:

- أين الخاتم؟!

ضحك مازن بهدوء ونظر بثقة نحوي مشيرًا بسبابته نحو الأعلى وأضاف مستهزئًا:

- اسأل مَن منحك إياه!

أصابتني رعشة في مؤخرة رأسي بسبب تشكيكه في إيماني، وانتصبت شعيرات جسدي وانتفض جسدي بأكمله، تجاهلت مشاعري العاطفية المربكة المتداخلة وقُلت:

- كلانا يعلم أنك تعلم مكانه، سبق وأن أشرت لذلك في اللقاء الأخير لنا.

قال مازن الحسيني:

- صدقًا لا أعلم تحديدًا أين خاتمك!

قُلت له:

- أنت كاذب!، مَن أخبرك بحقيقة الخاتم؟!

تجاهل الإجابة ورد السؤال بآخر:

- وهل هذا سيفيدك كثيرًا؟!

صمت لحظات أفكر بعدها أجبته:

- لا أعلم، محتمل!

أجابني في النهاية..

- عازف الشيطان.. ولكنني على يقين أنه لا يملك خاتمك!

قُلت له متوسلاً:

- مازن، أرجوك، أين الخاتم؟!، أرجوك.. هذا الخاتم يعود لما هو أقوى مني ومنك، أنت لن تستطيع تحمُّل ما فيه من قوى وطاقة، أرجوك يا مازن فقط امنحني إياه.

نهض مازن للرحيل خارج الغرفة تاركًا إياي في حالة شرود عن ضياع الأمل الأخير لوجود الخاتم، ولكنه

توقف كالعادة ونظر لي مستمتعًا بضعفي وانكساري قائلاً:

- محتمل أن تجد إجابتك في كتاب الموتى!

سألته بلهفة:

- ماذا تقصد؟!

توقف لحظات ينظر لي ساخرًا بعدها قال وهو يتحرك خارج الغرفة:

- لا عليك، إنك فكرة حمقاء..

صرخت فيه متسائلًا:

- لا، توقف، ماذا تقصد؟!، ماذا تقصد بكتاب الموتى؟!

قال مازن راحلاً عن المكان:

- أراك بعد أسبوعين يا ابن الإله..

أعلم إنك غاضب يا إلهي من خضوعي للشيطان ذاته، ولكن انعدمت السُّبُل أمامي، صرت لا أعلم ماذا يجب أن أفعل الآن؟!، أتناسى أمرَ الخاتم كأنه لم يكن أم أكرِّس حياتي في البحث عنه، لا أعلم هل أنت تريدني الاستمرار في البحث عن التناسي والرحيل، أرجوك امنحني أي إشارة، أشعر أنني مثل المسكين عيسى المصري حينما قال في مذكراته "أنا العاجز عن البقاء والعاجز عن الرحيل!".

- 7 -

ابن الظلام

لماذا أصبح كل شيء ضدي بتلك الصورة؟!

كأن الحياة كلها ترفض وجودي بها، حتى حينما تأتي الفرصة لأظهر على الفضائيات كما كان الحال قبل أمدٍ بعيدٍ يظهر لي ذاك المجنون وهو يمنح الجميع مفتاحَ توجيه عددٍ لا بأس به من الاتهامات لي، ريتشارد من أين جئت يا مجنون وكيف عُدت مرة أخرى، لمَ تلك المرة الأولى ولا حتى الثانية التي تتعارض فيها مواقفنا سويًا، الصدام الأول قبل سنوات طويلة حينما لمع نجمي وصار اسمي يتردد في كل بيتٍ، كانت سهرة الخميس من كل أسبوع مخصصة لما سوف أقوم بعرضه على صفحتي الإلكترونية من مقالات تنتفض لها الأبدان ذعرًا وخوفًا، ويوم الاثنين من كل أسبوع كانت جميع العيون ترتقب مقالي في جريدة الحقيقة وجرعة أخرى لا تقل رعبًا عن الأولى، يومها كنت أمكث مع أحد المنتجين لكي أمنحه سيناريو دراميًا

مبنيًا على أحداث حقيقية وكان كل شيء يسير على ما يرام حتى اقتحمت أنت المشهد بغبائك وجنونك، تسبني وأنا لا أعلم مَن أنت بحق الجحيم!، تتهمني أمام الجميع أنني لص أسرق مقالاتك وأعيد صياغتها بنص آخر أكثر غموضًا، يومها نجحت في جذب كل العيون إلينا، الجميع يرمقني وأشكر الله أنه منحني الثبات والثقة حتى يمر هذا الموقف مرور الكرام، حقًا هناك مَن تحدَّث عنه في الإعلام ولكنه لم يلقَ جذب العيون لمدة طويلة، ومجرد أيام وكأن الموقف لم يكن.!.

تقاطعنا لثاني مرة كان هاتفيًا حينما حدَّثني ذلك المجنون مرة أخرى وهو كالعادة ينطلق في سبِّي ولَعني واتهامي بكوني لصًا سرقتُ مقالاً جديدًا له!، ولكن ثالث مرة كانت الأقوى بيننا يا صديقي القديم، أنت اليوم بدون أي تفكيرٍ أو تردُّد أو رحمة قررتَ أن تضعني أمام أي مسألة قانونية رغم ابتعادي عن المشهد الصحفي لمدة طويلة ما زالت تخشاني، تخشى عودتي.

انتهت الحلقة وغادرت الأستوديو سريعًا وقلبي تتسارع دقاته بقوة أكثر، قوة لم تحدث من قبل حتى عندما رأيت جسَّام للمرة الأولى قبل عودة ذلك الابن الضال للميدان مرة أخرى!، دلفت نحو سيارتي ودسست المفتاح فيها حتى زأرت واشتعلت أنوارها، أدرت عجلة القيادة بسرعة نحو اليمين ثم اليسار ودهست مكابح البنزين فانطلقت محدثة صوتًا لا بأس به في المكان، صوت ارتعد له كل المقربين، جاهلين أن ذلك الصوت هو اصطناعي ليواري خلفه الكثير من الخوف والحزن عما ستحمله لنا الأيام القادمة.

قمت بتوصيل الهاتف بسماعات السيارة ثم وضعت قائمة لا بأس بها من الأغاني في محاوَلة بائسة لتخفيف حدة ما يحدث حولنا واتخذت الطريقَ نحو وسط البلد حيث فندق عين حورس، قررت عدم السفر في تلك الليلة فلا مجال جديد لرؤية جثث مصلوبة على الطريق وأحمق آخر يتهمني بكوني القاتل..

عذرًا لم يكن هذا السبب الأصيل لتلك الفكرة، ولكن أشعر أنني صرت مرهقًا حقًا على السفر في تلك

الساعات المتأخرة ولكن انطلقت عبر السماعات العالية صوتُ رسالة قادمة من أحدهم اقتربت أكثر لكي أرمق الراسل؛ فكانت سامية بكل تأكيدٍ، كيف نسيتها بحق بالجحيم؟!

يجب أن تقابلني الآن!

لم أكن في مزاج يسمح لي بالحديث عن أي أعمال قادمة، حتى أنا أخذت أشك لو أنني سأتمكن من الاستمرار في تلك القضية التي تريد نشرها تلك السيدة في جريدتها، فقمت بتسجيل لها رسالة صوتية.

- لا أظن أن بعد ما حدث يمكنني تنفيذ ما طلبته!، قضية الجثث والصلبان أنا منسحب منها..

صدر صوت داخل أذني يخبرني:

- احذر!

نظرت سريعًا نحو الأمام فضرب ضوء قوي في عينيّ فتمكنت بصعوبة شديدة من تفادي السيارة القادمة نحوي، شهقت شهقة الحياة حيث كانت حياتي على مشارف الموت. وضعت الهاتف مكانه وأخذت أركز قليلاً في الطريق، جاءت رسالة جديدة من سامية.

- ليس هناك وقت، الخريف القادم ستتعالى الأمواج ولا مجال ولا حياة من أجل من يسبح وحده، آن الأوان لكي تجد لنفسك الحماية، وبعد ما حدث الآن لا أظن أن هناك اختيارات كثيرة لك أو لا أظن أن هناك وجودًا لخيارات لدى الجميع، كلنا كالبيادق تحركها قوى عظمى غير مفهومة..

دهست مكابح البنزين أكثر وأخذت أعبر بين السيارات بيدٍ مرتعشة كأنني أنتظر كلمة القدر ولكنني توقفت في النهاية على أي حالٍ وأمسكت الهاتف، قرأت الرسالة مرة أخرى لعلّني أجد فيها أي معنى واضح، ولكنني عجزت عن التفسير فقمت بالاتصال بها.

- أخبرتك أنني قد لا أتمكن من استئناف المقالات..

- ليس مجرد احتمال.. هذا أكيد!

- حسنًا..

- حسنًا ماذا؟!، أريد أن نتقابل..

- وهل هذا سيفيد؟!

- أنا أخبرتك أنني أريد مقالاتك، ولكنني لا أذكر أنني أخبرتك أنني سأقوم بنشرها..

- مَن تكونين بحق الجحيم؟!

- سفينة النجاة..

أثناء مقابلتي بعدها بدت لي سيدة في عقدها الرابع، تمتلك جسدًا ممشوقًا وبشرة بيضاء ناعمة تعكس أضواء المكان، تسحب نفسًا عميقًا من سيجارها وتخرج دخانها رويدًا رويدًا من بين شفتيها الحمراوين اللامعتين، تضع عدسات لاصقة رمادية اللون فتزيد من هيئتها جمالاً وغموضًا، تبتسم فور رؤيتي ابتسامة

خاطفة سرعان ما تتلاشى، كانت لا تريد أن تفقد وقارها، كانت تريد أشياءً كثيرة، تحدثت عيناها أكثر من شفتيها..

- ماذا تشرب؟!

جلست أمامها واصطنعت الجدية مثلها وقُلت:

- ما رأيك أن ندخل في صلب الموضوع سريعًا..

زفرت زفيرًا طويلاً من سيجارتها وشفتاها تتسعان بابتسامة ثقة:

- حسنًا، هذا أفضل، أريدك أن تخبرني بكل شيء تعلمه عن الحادثة.

ترددت لحظات ولكنني همهمت بصوت مرتعش:

- أخبرت الجميع بما أعلم.

سحبت نفسًا طويلاً من السيجارة وأخرجته ببطء في وجهي وقالت:

- هذه ليست بداية جيدة يا ابن الظلام، أمازلت لم تفهم بعد ما يحدث حولك؟!

مزقت سحابة دخانها بيدي وقُلت بعصيبة:

- أنا لا أكذب أنا فعلاً نشرت ما حدث على الإنترنت للجميع..

قامت بإطفاء السيجارة في منتصف طريقها بالعصبية ذاتها وقالت:

- أريد الشق الخفي من الحكاية!، كما قال ريتشارد كيف علمت بالحدث.

قُلت لها:

- صدفة..

صاحت في بقوة فالتفت الجميع لنا..

- كفى هراء، ليس هناك وقتٌ إن لم تخبرني الآن بما حدث، ستخبر النيابة غدًا وأمر الصدفة هذا قد يضرك

كثيرًا.

- حسنًا، ألم تقولي لي إننا كبيادق الشطرنج تحركنا قوى عظمى غير مفهومة، ذهبت إلى هناك مسلوب الإرادة، كانت قوى عظمى هي من تحركني، مثلك تمامًا..

- لا كيان عظيم غيري يا ابن الظلام!

نظرت حولي فعاد كل المحيطين إلى الاهتمام بشئونهم الخاصة، رمقت ملامح سامية الجامدة وقُلت بدون أن أنظر لها:

- أنا لا أكذب في شيء، حقًا حدث كل هذا عن طريق المصادفة لا أكثر.

صمتت لحظات تفكر في الأمر ثم أومأت بحسرة من كلماتي وهمهمت:

- كيف لطريق تسير عليه آلاف السيارات كل ساعة لا أحد يلاحظ الأمر سواك!، أنت إما ذهبت لأنك تعلم

بالأمر...

لم أجد أي ردود منطقية يمكن أن أنطق بها، فأردفت وهي تنظر في باطن عيني..

- أم إنك من صنَعت ذلك المشهد!

كدت أن أستشيط غضبًا، كم كنت أود لو صفعتها على وجنتيها وألقي بها خلف القضبان كما حدث مع زوجها الأحمق المجرم.

- وبالتأكيد ليس هناك آلاف السيارات تقترب من تلك القرية كل ليلة، كيف تفكرون بحق الجحيم يا قوم؟!، أنا لست قاتلاً!.. هل منطقي أن أقتل وأعبث بكل تلك الجثث من أجل العودة للأضواء ما هذا الهراء؟!

أسندت ظهري في المقعد وجلست براحة شديدة قائلة:

- أعلم!، لذلك أريدك أن تخبرني بكل شيء ثم تتوقف عن تلك القضية إلى الأبد.

أخرجت من حقيبتها بضع أوراق ألقت بها أمامي وهي تأخذ نفسًا جديدًا من سيجارتها قائلة:

- تلك قضية أخرى ستقوم بنشرها على الإنترنت، الجميع سيتناسى القضية الأولى مع الوقت، هؤلاء القوم ينسون سريعًا، ستنال الأضواء أكثر فأكثر كما ستقوم عدة محطات فضائية باستضافتك من جديد ولكن سيتم تقديمك بصورة أخرى غير ما حدث اليوم وأشهد لك أنك ستكون تحت حمايتي، ولن أسمح لأحد بتقديم أي بلاغات ضدك سبيل تلك الصورة التي قمت بنشرها فقط أريدك أن تزيلها من على صفحتك الآن وأخيرًا..

أمسكت الأوراق ورمقت بعضَ الكلمات فيها فوجدها بعض الأسماء المثيرة جدًّا فتساءلت مندهشًا:

- ولماذا كل هذا؟!، ما الذي يدور في الخفاء ولا أنا أعلم به شيئًا.

تجاهلت كلماتي وأردفت..

- وأخيرًا أريدك ألا تسأل.. ولا تبحث عني أو عن تلك القضية مرة أخرى، الآن أريدك أن ترحل وأمامك ثلاثة أيام تجمع كل شيء عن القضية وتأتي به لي..

***

أصدقائي، أهلاً بكم..

أعلم أن غيابي طال بعض الشيء، ولكن ما كان غيابي سوى من أجل تحضير الضربة القاضية للكثير من اللصوص وسارقي أحلام الشباب وبائعي الوهم لكل متطلع لغدٍ مُشرقٍ وأفضل، أتى لي أحد مصادري بذلك التسجيل الصوتي المسرَّب بين المطربة هدير سعد ورجل الأعمال الشهير أديب عبد الكريم وحديث خطير عن إدارتهم شبكة كبيرة من عصابات تقوم بخطف أطفالنا والتجارة بأعضائهم، ملحق في التعليق الأول تفريغ كامل للحديث الصوتي به كافة الأسماء المتورطة بالأمر؛ من أطباء وممرضين وصيادلة، بالإضافة لأحد الوزراء وقيادة هامة بالدولة.

ابن الظلام

***

جلست غير متأكد إن كان ما فعلته الآن صحيحًا أم لا، حقًا لم أكن أريد التفكير طويلاً في الأمر، كل ما أردته هو أي وسيلة لاسترجاع الأضواء نحوي، كنت أريد أن يهتم الجميع باسمي وتقرير سامية كان شديد الخطورة، تناقل المواطنون المحادثة الصوتية بسرعة تشبه البرق، صار اسمي يتردد في كل مكان تقريبًا، وأصبحت التعليقات تقترب من المليون، لن أنكر أن كثيرًا منها كان لا يهتم بما يحدث ويطلبون في الحاح شديد استئناف أحداث القضية الأولى الخاصة بالجثث المصلوبة ولكنني لا أهتم كثيرًا، بل وقمت بإزالة عددٍ كبيرٍ منها حتى لا يلاحظ الباقون الأمر، ظهر عددٌ من الرسائل منها مَن يدعو لي وبعضها يسبني وآخرون يقومون بتهديدي بأن ما فعلته سأدفع ثمنه غاليًا جدًّا.

وهنا جاءت إلى خاطري فكرة، فنشرت المنشور التالي بعد أقل من ست ساعات.

***

أصدقائي أهلاً بكم،

تلقيت عددًا هائلاً من التهديدات بالقتل، أطالب بتعيين حراسة لي ولزوجتي وإلا ستتحمل الحكومة المسئولية الكاملة إن تعرضنا إلى أي مكروهٍ.

ابن الظلام

***

توقعت أن تتصل بي بسنت خائفة من الأمر، توقعت أنها ستلقي بنفسها داخل أحضاني حتى أحميها من الاغتيال أو تتبع المجرمين، ولكنني صدمت بظهورها في بثٍّ مباشر عبر صفحتها على الإنترنت واعلنت قائلة:

- أنا أتبرأ من كل ما يحاول نور الدين زوجي السابق إثارته عبر شبكات الإنترنت، لم يعد ابن الظلام زوجي كما كان، وإننا لم ولن نكون جزءًا من صراعاته وتطلعاته لنيل الاهتمام وجذب الأضواء ناحيته، أرجو أن يتفهم الجميع الأمر..

مرت ساعات أخرى بطيئة كالدهور، ألقيت فيها بجسدي داخل وعاء الاستحمام وجعلت المياه تغمرني تمامًا، داعبتني الكثير والكثير من الذكريات القديمة وعقلي شارد تمامًا يرفض فكرة أن زوجتي أصبحت زوجة سابقة، تتبرأ مني في العلن، تعلنها وتكررها كلما جاءتها الفرصة كأنها تغتسل من مني، وصفها لي بكوني صورة تعبِّر عن القذارة في حياتها لم يكن اتهامًا عابرًا في لحظات الغضب بل أصبح فكرة تعيشها بكل وجدانها، اتصل بي عمر صديقي الشرطي يبلغني أنه تم القبض على الكثير من الأسماء التي قمت بذِكرها.

- والله زمان يا ابن الظلام، ولكن كان يجب أن تبلغني أولاً، لا أصدق أنك أقحمت نفسك داخل ذلك الصراع، أنت كالنملة بين الأفيال، أخشى عليك كثيرًا، والتهديدات لن تبقى تهديدات إلى الأبد، سيسعى أحدهم لردعك..

ضحكت ساخرًا وأجبته:

- الأمر انتهى، والعصابة كلها أصبحت خلف القضبان.

قال عمر بالصوت الجاد نفسه:

- لا أخشى عليك منهم، أنت بالفعل دمرت عصابة كاملة، ولكن كم من عصابات أخرى ستخشاك يا صديقي، كم عدد المجرمين الذين سيحاولون إخراسك إلى الأبد، لا أظنك فكرت في الأمر بشكل جيدٍ أو أخشى أنك لم تفكر في الأمر على الإطلاق..

قُلت له بملل وسخرية:

- إن كنت فعلت لما سمحت لي بالنشر.. كنت ستقول إنها قضية أمن قومي ولا يحق لك النشر يا نورالدين يا ابن الظلام، طالما كنت تفعل ذلك يا عمر ولم يعد هناك أي مجال لهذا، كانت تلك هي فرصتي الوحيدة للعودة القوية.

قال عمر بأسفٍ متفهمًا الأمر..

- ما فعلته خطير يا صديقي!

قُلت له بمهنية مصطنعة:

- أعلم، ولكن يجب أن يعلم الجميع بما يحدث حولهم..

قال عمر بصوتٍ حادٍّ:

- حسنًا، حاول الاختفاء قليلاً الفترة القادمة حتى تهدأ الأمور، ونرى إن كان بإمكاننا تعيين حراسات لك، الأمر صعب ولكنه ليس مستحيلاً..

قُلت له ساخرًا:

- حراسات!، لا تقلق، أظنني سأختفي حقًّا الفترة القادمة، سيكون كل شيء على ما يرام أنها ليست المرة الأولى ولنا في قضية بلال عبرة..

ضحك عمر بألم..

- بلال بلال.. كأنه حبة ملح ذابت وتلاشت إلى الأبد، أخشى أننا لم نفُز في تلك القضية القديمة، تلك

القضية وصمة عار في تاريخي يا صديقي، كن بخير دومًا، أنا سعيد لعودتك من جديد للأضواء

قُلت له:

- أراك على خير يا عمر..

أغلقت الهاتف، ولكن رن مرة أخرى بعدها، كانت رسالة من سامية كما توقعت..

- لم يتبق سوى يوم أخير.. أريد كل ما تعلمه عن القضية، غدًا سنتقابل فى المكان ذاته..

وهنا بدأت أتذكر ذلك المشهد المشئوم في حياتي، وأنا أتحرك بسيارتي على الطريق الصحراوي متجهًا نحو طاحب المنسية، يومها حدثني ذلك الصوت داخل أذني من جديد.

- انعطف يمينًا..

تجاهلت الصوت وأخذت أستمر في الطريق ولكنه تكرر:

- حسنًا، لا تنعطف فقط انظر على يمينك، ولكن دقق النظر.. ثق فيّ طالما فعلت!

حاولت التجاهل ولكنني لم أستطع فنظرت على يميني فكانت المفاجاة، أربعة تم صلبهم على الطريق، انعطفت يمينًا هذه المرة بدون تفكير، وتوقفت بالقرب من المكان مسحت المكان بعيني يمينًا ويسارًا ولكن المكان كان خاليًا تمامًا من البشر، أخرجت الكاميرا وبدأت في تصوير كل شيء الجثث الذي كانوا ثلاثة رجال وسيدة والصلبان وذلك الرمز لدائرة كبيرة قُرب مركزًا دائرة صغيرة ترمز لقرص الشمس الذي تخرج منه أشعة في الاتجاه العلوي كان الرمز مصنوعًا من أخشابٍ صغيرة، قُمت بتشويه الرمز على الأرض حتى لا يحاول أحدٌ سرقة السبق مني والسعي في تفسيره قبلي، شهقت الفتاة المعلقة بصوت متألم خائف ومذعور، فزعت وفكرت في الهروب ولكنني قمت بإزالة الحبال عن أيديها وأرجلها، سقطت أرضًا وهي

تتألم وتصرخ حاولت الاقتراب منها، ولكنها صفعتني وهرولت نحوي تضربني بعدوانية يحركها خوفها الغريزي نتيجة لما حدث لها، حاولت منعها وكبح جماحها ولكن الأدرينالين في دمائها كان قد ضاعف قوتها لثلاثة أو أربعة أضعاف، فلم أتحمل ضربها وسقطت أرضًا تركتني وأخذت تهرول مبتعدة عني وهي تقول:

- أنا آسفة يا سيدنا.. آسفة يا سيدنا.. آسفة يا سيدنا، هم السبب وليس أنا، هم السبب وليس أنا..

حاولت إيقافها..

- انتظري، مَن فعل هذا بهم؟!

قالت كأنها تجيب سؤالاً آخر..

- لا بُدَّ من كل خطأ أن يخضع للحساب..

فقُلت لها:

- وما هي خطيئتك؟!

كالعادة أجابت بشكلٍ غريبٍ غير مفهوم:

- سيدنا..سيدنا.. فارس الخريف أرجوك، سيدنا أرجوك..

كنت لا أفهم أي شيء من حديثها، ولكن لفت نظري نوبة الذعر التي أصابتها من جديد، فصارت تهذي وهي تهرول مبتعدة حاولت اللحاق بها ولكنني توقفت حينما قالت:

- إنه خلفك!، سيدنا خلفك..

نظرت خلفي، ولكنني تلقيت ضربةً قوية في الحال سقطت على إثرها أرضًا فاقدًا الوعي.

لعنة الله على الجميع، لعنة الله على ذلك الصوت الذي دفعني دفعًا إلى ذلك الحدث المشئوم، كانت بسنت محقة بقولها إن نهايتي ستكون دربًا مثيرة ومشهدًا مرعبًا خارجًا من ثنايا العصور الوسطى، وإنني لا

أستحق سوى الحرق مثل الساحرات وذلك طقس سيكون رحيمًا بي مما سوف يحدث لي ولكل المحيطين بي على أيدي القوى الخفية التي صارت تحيط بنا من كل مكان..

يا رحيم خلصنا..

يا رحيم ارحمنا.

- 8 -

عازف الكمان

كانت ليلة بلا نوم ولا أحلام، فقط التطلعات، كم كنت أود لو أملك أدنى فرصة لأنهض الآن وأخذت أعزف ألحان الشيطان في أذن الجميع وأنا معهم حتى ننهار سويًا والسعادة تغمرنا بالكامل، ما أجمل الموت بالسعادة! شرف لا أظن أن هؤلاء يستحقونه، ماذا لو جاءني شيطان تارتيني من جديد وأخبرني بلحن آخر، لحن لا يبث السعادة في النفوس بل الخوف والذعر، كم أتطلع لموسيقى جديدة تقتلهم فزعًا وذعرًا، وتكون ملامح وجهي هي آخر ما يرونه من تلك الدنيا، أنا أرغب في الانتقام من الجميع، أغمض عيني محاولاً الانغماس داخل النوم متعمق التفكير بتارتيني وشيطانيه ولكن عقلي يأبى الانصياع لي، يرفض النوم تمامًا، فتحت عيني من جديد وجده الدساس أمامي ينظر لي والمشاعر تزاحمه ما بين مصالح يودها منِّي ورغبته الجامحة في قتلي وغيرها وغيرها..

- عمي، كيف حالك حسبتني لن أراك مجددًا اليوم.

التفت الدساس وقال:

- أعلم أنك غاضب من أجل ما حدث في ذلك اليوم الطويل.

قُلت له محاولاً النهوض:

- لا لست غاضبًا يا عماه، كدت أن تقتلني فقط!

قال الدساس محاولاً استدعاء كلمات أبوية حانية:

- يا بني أنا متفهم حديثك وأعلم أن ما حدث من والدك تجاهك ليس بالأمر الهين.

قُلت له بعصيبة قاصدًا استفزازه:

- كان حقيرًا يا عماه.

احتوى كلماتي وجموحها وقال

- اعلم، ولكن دعنا ننسى ما فات يا بني، ونتطلع للمجد..

اقترب مني وأمسك كلتا ذراعي وبحماسٍ شديدٍ قال:

- بني، ما يبحث عنه أنخ هو المجد ذاته، يجب أن نصل إليه قبلهم.

سألته بفضول:

- ومن أخبرك أنهم لم يصلوا إليه حتى الآن؟

أجابني بثقة:

- أنا متأكد أن ما يبحثون عنه لم يحصلوا عليه حتى الآن!..

قُلت له مرتابًا قلقًا:

- أنا ما زلت لا أصدق رغبتك المُلِحّة في تجنيد آدم للعمل معنا.

قال لي:

- آدم خطير يا بني، رمضان عبد الواحد قُتل من قبل جماعة أنخ.

فتساءلت باختصار:

- إذًا؟!

أجابني الدساس:

- بالقليل من البحث يا بني خلف تلك العائلة سنعلم عن ماذا كان يبحثون؟!

فتساءلت من جديد:

- إذًا، ولماذا قتلوا رمضان؟!

أجابني الدساس مجددًا:

- لأنه كان يعلم أكثر من اللازم.

قُلت في قلق:

- ألا تخشى المصير ذاته إن علمت ما كان يعلمه ذلك الإعلامي؟!

نظر بعيدًا وقال بثقة:

- لا أظن ذلك، رمضان كان أحمقَ..

أومأت مهمهمًا:

- حسنًا عماه..

نظر لي هذه المرة وقال بصوتٍ أقل حدة:

- بني، أريد إبلاغك أمرًا آخر.. مهما كان مكانة آدم في تلك العملية ستظل أنت كابنٍ لي.

كنت أعلم ما يرمي إليه ولكنني سألته:

- بمعنى؟!

اقترب مني أكثر وقال:

- أنا لا أثق في أحد بمقدار ثقتي فيك.

سألته ساخرًا:

- أتثق فيَّ يا عماه؟!

تجاهل السخرية أجابني بجدية:

- بالتأكيد يا بني، أثق فيك لأنني سأمنحك أكبر مبلغ تمنيته ذات يوم.

فأردفت بالصوت الساخر نفسه:

- إذًا أنت محق في ثقتك.

قال الدساس:

- بني، سأضاعف لك ما تمنيته وطلبته سبيل مهمة أخيرة.

تساءلت بفضول:

- وما هي؟!

أجابني:

- أن تراقب آدم، أخشى أن يختفي الهاكر فور معرفته سر أبيه ويقرر بيعه إلى أنخ.

همهمت قائلاً:

- نعم، لا أنكر أنك محقًا.

سمعني وربت على كتفي قائلاً:

- إذًا، ضعه نصب عينيك..

أومأت..

- لا تقلق سأفعل يا عماه..

شرع في الرحيل، ولكنه توقف ونظر لي..

- قيس!

- نعم عماه.

قال الدساس:

- من خلال ارتباطك بأنخ وكلانا يعلم أنه يربط بينكم ماضٍ طويلٌ وعريق وليس بالهين، ألم ينطق بلو معلومة واحدة عن ماذا يبحثون الآن؟!

أجبته:

- لا أعلم عماه.

لم يصدقني فابتسم لي ورحل عن المكان..

- حسنًا.

قُلت ولكنه لم يسمعني..

- لا تقلق عماه، قريبًا سنقضي عليهم جميعًا.

عدت إلى فراشي وحاولت النوم من جديد ولكنني عجزت تمامًا عن ذلك، فسحبت هاتفي بعدما قومت بإستعاده من الدساس ورجاله وارسلت رسالة نصية فحواها:

"هل أنت جاهزة الآن؟!"

تأخر ردها دقائق تسارعت فيها دقات قلبي، كنت أخشى أنه قد تم كشفها أمام الدساس، ولكنني هدأت فور أن رأيت اسمها على الهاتف برسالة نصية، استقبلتها على الفور وقرأت ما فيها..

لندع شيطانك يتحرر، لنخرسهم إلى الأبد..

- 9 -

الهاكر

اتحرك في الخيمة بحرية، انظر من بين ثناياها نحو السماء متطلعًا إلى مواقع النجوم، كنت أحاول التعرف على مكان اختطافي، أدرس نقاط القوة والضعف بالمكان، أراقب تغير ورديات العمل للمسلحين، ابحث بكلتا عيني عن المداخل وفور أن وجدتها بدأت أدرس الموقف في كيفية سرقة دراجة نارية أو سيارة والهرب السريع من ذلك المكان، أتوقع الكثير من طلقات الرصاص ستطاردني فأتراجع عن الفكرة وأحاول التفكير في البدائل شبه المنعدمة أمامي.

- أنت!

نظرت باحثًا عن مصدر ذلك الصوت الأنثوي في المكان، كانت صهباء تشبه كثيرًا تلك الفتاة التي شاهدها في الصورة السابقة على مأدبة طعام

الدساس، حسبتها هي نفسها في البداية، لا أعرف كيف تسللت إلى خيمتي، فتساءلت:

- مَن تكونين بحق الجحيم؟!

أخذت تتحرك بثبات وثقة تراقب الحركة الخارجية من فتحات الخيمة، وقالت بدون أن تنظر لي:

- لا عليك، كيف حالك في أرض الهمج.

تساءلت:

- هل أنت جارية لديهم؟!

نظرت لي ساخرة وأجابتني:

- أنت كلاسيكي يا فتى.

ظلت تراقب المشهد وتتنقل بين الفتحات، أخرجت من جيبها مسدسًا ووضعت فيه كاتمًا للصوت وأخذت تصوب على أحد حراس المكان بتركيز شديدٍ:

- ماذا تريدين؟!

لم ترد وظلت تركز لحظاتٍ ودهست الزناد بسبابتها فاستقرت الرصاصة بين عيني الحارس وسقط قتيلاً في الحال، نظرت ومنحتني سماعة أذن ضخمة وقالت:

- أريدك أن ترتدي تلك السماعات.

أخذتها مندهشًا وتساءلت:

- لماذا؟!

أجابتني وهي تتحرك مغادرة الخيمة:

- الشيطان سيعزف لحنًا طويلاً الليلة يا فتى.. الشيطان سيغرق كل أبناء ذلك المعسكر في طوفان هائل من السعادة.

تساءلت من جديد:

- ومن تكونين أنتِ؟!

قالت بثقة:

- اعتبرني ملاكك الحارس، تلك السماعات ستعزلك عن الأجواء السعيدة.

قُلت لها:

- ألا تخشين الإبلاغ عنكِ؟!

فقالت ساخرة هي تتوارى عن الأنظار:

- أخبرت قيس ذلك ولكن كان على يقين أنك لن تفعل!

ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

- 10 -

المختار

كتاب الموتى!

ما زال صدى كلمات مازن الحسيني يتردد داخل أذني، ماذا كان يقصد ذلك الشيء بكتاب الموتى؟!، حقًا أنا أعلم أن مازن مولع بتجارة الآثار وفي البداية ظننت أنه يقصد كتاب الموتى الفرعوني، تلك اللفائف التي كانت تُترَك مع الميت حتى ترشده في رحلته نحو الأبدية، ولكن بعد قليل من البحث توصلت إلى أن تلك اللفائف ليست هي فقط من تسمت بهذا الاسم ولكنَّ هناك كتابًا آخر تم تمسيته بالاسم نفسه، كتاب العزيف أو المعروف أيضًا باسم نيكرونوميكون بعد قليل من البحث واسترجاع أصل جذور كلمة نيكرونوميكون وجد أنها تعني كتاب الموتى، ذلك الكتاب الذي تم كتابته بواسطة عبد الله الحظرد الشيهر بالعربي المجنون، تم ترجمة الكتاب إلى اللغة الإغريقية، ولكن سرعان ما تم استغلالها من قِبَل بعض السحرة والعلماء وحاولوا

استغلال ما بداخله في نشر الرعب والفزع وفعل الكثير من المحرمات، ولكن الكنسية كانت بالمرصاد لهم وتم حرق النسخة بواسطة بطريق مايكل الأول عام 1050 ميلاديًا، وفي عصر محاكم التفتيش للمسلمين بإسبانيا ظهرت نسخة أخرى من الكتاب باللغة اللاتينية استغلها أحد الأطباء وقام بتنفيذ عدة طقوس غريبة آلت به إلى أنه صار كشيطان يعيش بين البشر، بعدما قام بقتل عدد من أهل سكان قريته صلبًا، تناقلت الأقاويل حتى تم اتهام ألبرتو بممارسة السحر الأسود وصدر أمرٌ باعتقاله وحرق الكتاب الملعون بواسطة البابا كركوري التاسع عام 1232 ميلاديًا.

قام أحد أبناء الشيطان الساحر جون بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية فيما بعد، ولكن الكنسية وقفت حائلاً بينه وبين إصدار الكتاب الملعون، ويُذكَر أنه قد تم اغتياله فيما بعد بواسطة جماعة مجهولة بعدما صدرت حوله الكثير من الأدلة التي تضعه أمام أصابع اتهام عديدة بممارسة السحر الأسود وتقديم قرابين بشرية إلى الشيطان ذاته، وكان المشهد المعتاد لجميع

ضحاياه؛ مصلوبين ورموز دائرية تعبِّر عن الشمس بالقرب من المكان، بعدما تم اغتيال الساحر تقول الحكايات الشعبية إن الشيطان انتقم له خاصةً بعدما تفاجأ الجميع في يوم الخميس اللاحق للاغتيال بظهور خمس عشرة جثة مصلوبة والغربان تأكل من رؤوسها في أنحاء بلدته، كان المرجح حين ذاك أنهم من أعضاء المنظمة التي قامت باغتياله وبعدما قاموا بقليل من البحث لم يتوصلوا إلى شيءٍ سوى المسئول عن اغتيال الساحر جون هي منظمة تعرف باسم أنخ أي مفتاح الحياة للمصريين القدماء..

أما عن النسخة العربية لذلك الكتاب فلم يذكر التاريخ الكثير عنها سوى أنه سعى الكثير من كبار الدول والعلماء بتتبُّعها في كل مكان وأشهرهم إدريس شاه الكاتب والمتصوف الأفغاني، وبعد قليل من البحث توصلت إلى المؤلف محمد بن عبد الله الشامي حيث كتب لنا في كتابه المثير للجدل حينذاك قانون الحياة.

تمكن الشيطان من صُنع ذُريَّة له بيننا، كلما أحرقنا كتاب الموتى يظهر فيما بعد متحدثًا بلسان آخر

ومحدثًا فوضى من الضحايا المصلوبة على الأخشاب والغربان تأكل رؤوسها!

يقول المؤرخ المنتصر بالله أحمد آمين في كتابه النجم الأكبر ثم عاد ولمح إلى المعنى ذاته مرة أخرى في كتابه نفحة من علوم سليمان.

الوليات المتحدة الملعونة تبيد هاروشيما العام الماضي وما زال مَن يعتقد أن العربي المجنون دوّن بذرة الشيطان بين دفتي جلد بشري، تلك الأسطورة السخفية التي تواري خلفها عددًا لا بأس من أهم اغتيالات التاريخ، ولكن أمريكا صارت أقوى من أن تختلق الأساطير، فلم ترَ حتى الآن أي مسئول يصرِّح أن اليابان تمتلك نسخة أخرى من كتاب الموتى، العالم يتحرك ونحن حمقى!

كتاب النجم الأكبر

قبل عقد من الزمان أخبرت الجميع أن لا وجود لكلمات الشيطان سوى في عقولنا المريضة المتأخرة، وأنا على

مشارف القبر يجب أن أعترف أن هناك جزءًا من الأحداث حقيقية، لا أعلم إن كان هناك في العمر بقية تكفي لسرد صفحات أخرى محتمل أن تغيِّر نظرة الجميع للحياة كلها..

كتاب نفحة من علوم سليمان..

بدون أن أفكر أكثر دوَّنت اسم ذلك المؤلف على شبكات الإنترنت وأنا أتمنى ألا يكون قد مات قبل أن يترك لنا صفحاته الأخيرة عن كتاب الموتى، ولكن صفعتني حقيقة أخرى وخبر صادم:

"اغتيال المؤرخ المنتصر بالله احمد آمين على أيدي إحدى الجماعات المتطرفة المجهولة!"

راجعت تاريخ الخبر وكان ظني في محله، الاغتيال تم بعد ستة أشهر من نشر كتابه الأخير نفحة من علوم سليمان، إذًا تلك الجماعة المجهولة التي تتبع الكتاب أو تحميه لا أعلم هل ما زالت تورث دورها إلى آخرين عبر التاريخ، رغم كافة التغيرات السياسية التي حدثت

في كل بلاد العالم تقريبًا ما زال هناك جماعة مترابطة سرية تنفِّذ كافة طقوسها باحتراف وبراعة عبر التاريخ..

مَن تكونوا بحق الجحيم؟!

تغيرت كلمات بحثي على الإنترنت من تتبع كتاب الموتى إلى تتبع جماعة أنخ الغامضة وكما توقعت مئات المقالات الأسطورية وعشرات الأعمال الروائية تتحدث عنها، كتَّاب يؤيدون وجودها وآخرون ينكرون ذلك، يتساءل عن قتلة الكاتب سعد الدين والمؤرخ المنتصر بالله أحمد أمين والحلاج والساحر جون والرئيس الأمريكي.. والوزير الفرنسي هنري مايكل الذي تم اغتياله على الهواء مباشرة أمام الجميع من مجهول وقام بالانتحار بعدها مباشرة

أتيت بورقة وقلم وشرعت في كتابة الأسماء في أماكن متفرقة منها ووضعت دائرة على كل منهم ثم أخذت عملية بحثية جديدة عن كل اسم منهم في محاولة ربط أي ظهور لقضايا مصلوبة حينذالك وظهر

لي عن الحلاج أنه تم إعدامه صَلبًا!، والمؤرخ المنتصربالله أمين، تم العثور على أطفاله -في اليوم التالي لاغتياله- قتلى صلبًا على حوائط وأرضيات بيتهم مرسوم بدمائهم مفتاح الحياة المصري في منزلهم بالعراق، حتى الكاتب سعد الدين لم تخلُ تفاصيل وفاته الغريبة عن شائعة دفنه حيًّا وهو على قيد الحياة من تفاصيل أكثر غموضًا حينما تأرجحت زوجته من شُرفة بيتها والحبال تهشم عنقها في مشهد مرعب لم ينسَه أحد على الإطلاق.

دونت ملخصًا للتفاصيل تحت كل اسم من الأسماء في الورقة ثم أخذت أبحث عن آخرين فوجد مقالاً آخر مثيرًا يحمل تفاصيل أكثر عن الأحداث كان مؤلفه الصحفي الملعون نور الدين، كان لا بُدَّ له من أن يصنع أي أمجاد على القضايا الشائعة والمثيرة للجدل.

كتب الملعون في إحدى سلسلة مقالاته المتعلقة بتلك الأحداث:

"بعد غياب طويل لأحداث الموت الغريبة المتعلقة بالصلبان، تظهر من جديد في قرية طاحب ضمن سلسلة من الجرائم التي حدثت بتلك البلدة النائية والتي دونت جميعها ضد مجهول!

هل يا ترى هي امتدادٌ للأحداث السابقة وحدثت عبر التاريخ؟!

ولكن أي رابط يمكن أن يربط بين قتله جون ماكين والحلاج ولطفي الفلاح ابن قرية طاحب!

نور الدين

***

الشيطان يحصد أربع أرواح بريئة بالقرية المنسية، أخشى أننا داخل دائرة طقوس شيطانية تحدث الآن، بدايةً من ضحايا المنصورة وقتلى طاحب وأخيرًا الراهبات، كل شيء متصل ببعضه البعض.

الصحفي/ نور الدين

تدوينة على الإنترنت

***

الأقوال المتضاربة لا تؤكد سوى صدق حدسي؛ إننا بداخل دائرة من الطقوس الشيطانية، القتلى الأربعة منهم الغريق والحريق والذي تم حقنه بالهواء والأخير تعرض للرجم، أخشى أن سلسلة الحوادث تتم بعناصر الطبيعة الأربعة ولا أقرأ عن ذلك في التاريخ إلا وكان الشيطان ذاته في نهاية الطريق، يجب أن تبدأ الحكومة بالبحث الصحيح عن الأمر قبل أن يأتي الطوفان علينا جميعًا.

الصحفي/ نور الدين

تدوينة على الإنترنت

***

ليس هناك أي روابط أيها الأحمق، لطفي لم يكن سوى مغتصب وحاملة الشعلة نفَّذَت العدالة، أنت مخطئ هذه المرة أيها المجنون اللص، عدت بعد أسبوعين إلى

مازن مرة أخرى لا أحمل إلا القليل من الإجابات ولكني صرت حائرًا ضائعًا مع عددٍ أكبر من التساؤلات.

- أنا لا أفهم أي شيء!

ردَّ بسخرية كالعادة:

- توقعت أنك أذكى من ذلك يا حامل الخاتم المقدس!

قُلت بصوت جاد:

- الخاتم ليس مجالاً للسخرية..

حاول كتم السخرية داخله وردَّ:

- لا أقصد، أعتذر لك، صدقني أنا لست ضدك أنا أيضًا رأيت الكثير من الأحداث الغريبة مثل تلك.

صمت لحظات ثم أردف:

- حسنًا لم أرَ رُأي العين ذلك، ولكن من أعمل معهم يؤمنون بذلك جدًّا وهذا تقنيًا يجعلني مؤمنًا بتلك

الخرافات.. أو محتمل أنها ليست خرافات.

قطعت حديثه:

- ما علاقة كتاب عبد الله الحظرد بخاتمي الضائع؟!

صمت لحظات يفكر في الإجابة، ثم أجابني:

- حسنًا حسب علمي أن العربي المجنون ليس هو المؤلف الحقيقي لذلك الكتاب، أظن أنه تحصَّل عليه بطريقة ما حينما عاش عدة أشهر في صحراء مصر، كم أنها دولة عجيبة ومرعبة!

قاطعت تأملاته:

- حسنًا؟!

تنهَّد وشرعت في الحديث من جديد..

- لا أعلم، هذا الكتاب ثمينٌ عند البعض وآخرين أظنهم يريدون حرقَه دومًا..

سألته بفضول:

- وأنت مع المؤيدين ولا المهتمين؟!

أجابني بعدم اهتمام..

- صدِّقني لا أعلم، ولكنني أعلم أنهم سيدفعون كثيرًا لذلك.. ولا.. مهلاً، تلك الجماعة تهتم كثيرًا بكل ما هو ثمينٌ وله أصل مرعب ومثير للضحك مثل ذلك الكتاب الأحمق.

قُلت معترضًا على سخريته الجديدة:

- حسب ما قرأت محتمل أن يكون ذلك الكتاب ليس أحمق.

قال مازن:

- لا يهم، المهم أنني أريدك أن تأتي لي بالكتاب..

فسألته:

- وما علاقة كل هذا بخاتمي؟!

أجابني مازن:

- علاقته.. حسنًا سأريك شيئًا مهمًّا.

أخرج الملعون مازن ورقة من جيبه ومنحها لي، أمسكتها وفتحتها فبدا لي كأنه عنوان، قال مازن مستأنفًا حديثه:

- هذا عنوان ستجد فيه شيئًا مهمًّا.

ثم أخرج مفتاحًا وألقى به تجاهي، أمسكته..

- ماذا سأجد في هذا المكان؟!

أجابني وهو ينسحب من المكان:

- معلومات.. علوم.. متعة.. نساء.. خاتمك!

***

وصلت إلى البيت والذي كان عبارة عن شقة بأحد أحياء القاهرة الراقية، دسست المفتاح فانصاع لي الباب بسهولة ودلفت نحو الداخل متلفهًا باحثًا عن الخاتم، كانت الشقة خالية من أي أثاث عدا بعض الكراسي حول طاولة كبيرة محتمل أنها كانت تُستخدَم في اجتماع جماعة سرية، محتمل تلك الجماعة المشئومة التي تغتال -كما هو واضح- أيَّ إنسان يعلم بأمر الكتاب ويحاول البحث عنه، أو محتمل تغتال من وجدَه أو محتمل تغتال من استعمله ما زلت لا أعلم تحديدًا ما هي أهداف تلك الجماعة، ولكن خطر لي في تلك الأثناء خاطرة ماذا لو قام أحدهم شراء ولاء تلك الجماعة ونفَّذت من أجله عددًا لا بأس من الاغتيالات مقابل تمويل لهم مثلاً، ماذا أيضًا لو قامت جماعة أخرى بتنفيذ أعمالهم القذرة متخذين من مفتاح الحياة رمزًا لهم وبذلك تلصق كل الجرائم لهم.

داخل إحدى الغرف وجدت مجموعة من الصور وكتابًا يحمل عنوان "التاريخ الدموي" لحملة الكتاب قُمت

بفتح أول صفحة وجدتها تحمل عنوان:

"ريا وشقيقتها سكينة"

نظرت سريعًا لاسطر الصفحة ولكنني توقف عند أحد الأسطر الغريبة:

قالت سكينة قبل تنفيذ إعدامها بعدة ساعات أن كل ما حدث كان من تخطيط ريا، وأن الأخيرة مجبرة على تنفيذ كل شيء ودفن النساء تحت الأرض قربانًا لقوى عظيمة قد تهتك بهم.. ثم أضافت ساخرة أن هذا ما حدث فعلاً الآن وأن الكتب خدعتنا.

في الصفحة التالية وجدت ريا تتحدث:

"لا يفيد الحديث بشيء، أنا من أخطأت في تنفيذ الطقوس!، لو كنت فعلت كل ما كُتِبَ داخل صحف الموتى لما كان ذلك المصير واجهني"، سألتها هل هي نادمة على اللحظة الأولى التي استخدمت فيها الكتاب قالت ريا بفخر: "لو عاد الزمان من جديد لفعلت ما فعلته مرة أخرى"!

رمقت العنوان الثاني كان:

"إليزابيث"

لم أتعجب هذه المرة فواضح أن ذلك الكتاب يؤكد أن كل مَن له تاريخ دموي غير مفسر له علاقة بشكل أو بآخر بكتاب عبد الله الحظرد، أغلقت الكتاب ثم أمسكت بالصور أتطلع فيها.

كانت صورة فتاة واضح أنها في أوائل الثلاثينيات أو أواخر العشرينيات تقف حاملة فرشاة وأمامها لوحة مرسوم عليها رجل مصلوب تأكل رأسه الغربان، في الصورة التالية وجد صورة الصحفي رمضان عبد الواحد الشهير الذي مات مؤخرًا بالمعزوفة الشيطانية، ولكن مهلاً.. ما الذي يحاول مازن الحسيني إخباري به؟ أكان رمضان عبد الواحد يعلم ماهية الكتاب؟!

أكان ذلك الكتاب هو السبب الرئيسي لاغتياله وليس فضح أحداث المقبرة كما كنا نظن؟!

وجد صورة أخرى لرمضان عبد الواحد يقف بجانب آدم الذي يحمل شيئًا في يده داخل لفافة سوداء وحبر أحمر مرسوم محيطًا بتلك اللفافة، في الصورة الثالثة وجد أن الخط الأحمر المرسوم صار حول رمضان نفسه، إذًا حسب ما فهمت من تلك الأحجية أن آدم هو من كان معه الكتاب ثم انتقل إلى أبيه رمضان عبد الواحد، في الصورة التالية وجد صورة رمضان وعليه علامة إكس كبيرة بالقلم الأحمر بجانبه علامة استفهام، أظنها تشير أن بموت رمضان صار الكتاب ضائعًا ولكن مهلاً.. إن كان الكتاب مع رمضان عبد الواحد ومازن يريده فهو بالتأكيد لن يرسل قيس لقتله!

مَن قتل رمضان عبد الواحد إذًا؟!

وإن كان قيس ليس القاتل فكيف مات رمضان بالمعزوفة؟!

نظرت للصورة الأخيرة كانت صورة خاتمي موضوع داخل صندوق زجاجي عتيق، أظنني فهمت المقصود

من الرسالة؛ أن شرط الحصول على ذلك الخاتم مرة أخرى هو تنفيذ طلب مازن والبحث عن الكتاب والقدوم به إليه حتى يتم خطته ويبيعه إلى جماعته وبالتالي قد يهربونه من السجن ومن حبل المشنقة القادم بسرعة إليه..

ربنا.. أنقذني أرجوك!

ربنا لا أعلم كيف أصبح جزءًا من خطة الشيطان بتلك الصورة!

ربنا.. ارحم روحي..

ربنا..

- 11

ابن الظلام

صباح معتاد والوحدة هي صديقي الوحيد الباقي معي في البيت، أشتاق حينًا إلى زوجتي فأتذكر رحيلها وسخريتها فألعنها كثيرًا، أحاول لومها على تلك الدوامة التي أقحمت نفسي فيها مرة أخرى، تلك الأصوات الهامسة المحذرة أحيانًا التي تصدر داخل أذني والمتوعدة في أوقاتٍ أخرى رغم أنني أعلم ما هو مصدرها إلا أنني أعلم أيضًا أن رحيلها هو من تسبَّب في ذلك السقوط العظيم داخل وحل الشيطان مرة أخرى، كنت ظننت قبل عدة سنوات أن الشيطان قد رحل بلا عودة، وكأنه ضد منطق الدنيا ونظامها الحتمي أن نأسر الشيطان وأن قانون الحياة هنا أن يظل تلك الكتلة من الشر حرة طليقة، نهض من فراشي نحو دورة المياه فوجد لوح شطرنج مفرودًا على الطاولة والجيشين واقفين ينتظران ضربة البداية، كنت لا أعلم كيف وصلت تلك الرقعة القديمة

إلى طاولتي، ولكنني توقعت بحسرة، كنت أخشى تلك اللحظة التي سألعب فيها تلك اللعبة مرة أخرى، وأنا أعلم يقينًا كم من مرة لعبت فيها تلك المباراة وآلت إلى نتائج شديدة القسوة على الجميع، كم جلبت تلك اللعبة الموتَ للكثيرين، انتصاب قطع الرقعة في ذلك الاصطفاف كان يخبرني أن اللعب يقترب، وأن المباراة لا يفصلنا عنها سوى بعض الوقت، لعنك اللّٰه يا قبيح وهنا دوى صوت داخل أذني محدثًا:

- كيف لك أن تسبني أنسيت العهد بيننا؟!

حاولت تجاهُل الصوت وأنا ألعنه داخلي، فقال مرة أخرى وهو يجبرني على النظر ناحية رقعة الشطرنج

- إلى متى ستتجاهلني، قريبًا ستتحرك قطع تلك الرقعة وبالتأكيد أنت تعلم الباقي..

هنا صرخت بقوة:

- ارحل عني يا ملعون.. أنت دمرت كل شيء..

قال ساخرًا:

- كل هذا بسبب رحيل زوجتك؟!، بسنت لا تستحقك، لم تفهمك.. لم تقدّر قدراتك لماذا تشتاق حتى الآن بتلك الصورة، دَعك منها وركز معي سأجلب لك الكثير غيرها..

صرخت فيه مجددًا:

- فقط ارحل عني..

قال الصوت:

- حسنًا كما تشاء.. ولكن هذا مؤقت..

وأصدر ضحكة ساخرة قوية كدت أن أقتلع أذني من مكانها حتى لا أسمعه، كنت أشعر أن رأسي تكاد أن تنفجر فسقطت أرضًا متألمًا صارخًا وبعد وقتٍ لا أعلم مقداره نهضت من مكاني فوجدت بقعة دموية على الأرض أظنها خرجت من بين شفتي كالعادة، رمقت ساعة الحائط فعلمت أنني قد تأخرت كثيرًا على موعد

سامية، سريعًا ارتديت ملابسي وتحركت نحو المكان نفسه كي أقابلها.

نظرت سامية إلى الأوراق التي منحتها إياها، ظلت لحظات ترمق ما فيها وانعقد حاجباها غضبًا والقت بها في وجهي صارخة:

- أنت بالتأكيد تمزح معي!

جلبت الأوراق وأجبتها بالحدة نفسها:

- ولمَ تقولين هذا؟!

قالت بغضب شديد:

- أتعلم أنني يومًا ما طرقت أبواب العرافين بحثًا عن طرق صناعة المجد!، طرقت كل الأبواب، كيف ستواجه متابعينك بتلك المعلومات التافهة، أخبرني أتلك هي المعلومات فقط التي تمتلكها؟!

أمسكت منديلاً ووضعته على فمي تطلخ بقطرات دموية تخرج من فمي، طويت المنديل وألقيت به بعيدًا وقُلت:

- نعم.. لا أعلم سوى تلك المعلومات، الصدفة دفعني إلى هناك ولا أعلم سوى ما قصصت.

تساءلت سامية بإصرار وإلحاح:

- مَن تلك الفتاة التي هربت من أمامك؟

- لا أعلم من تكون!

صاحت باندهاش:

- ألم تبحث عنها؟!، كيف لم تفعل؟!، أنت تكذب.. أنا متأكدة أنك تخفي شيئًا ما..

- لا بحثت ولكنني لم أجد أحدًا..

أخرجت سيجارة من علبتها وأشعلتها وبعد أن أخذت نفسًا طويلاً منها:

- أنت مثيرٌ للشفقة، إذًا كيف كنت ستكمل تفاصيل مقالات للقراء عبر الإنترنت.

هجمتني نوبة من السعال المستمر حاولت السيطرة عليها بعد لحظات وقُلت:

- لا أعلم، محتمل أنني كنت سأبتكر الباقي حتى تنجذب القراء لي من جديد وتقرر إحدى الجرائد منحي عمودًا وأعود رويدًا رويدًا إلى سابق عهدي.

- بالتأكيد أنت كاذبٌ.. أعلم أنك تخفي شيئًا.. بالإضافة أظنك تحتاج لزيارة طبيب في أسرع وقت ممكن، ما نتحرك ناحيته سويًا سيحتاجك في أفضل وضع صحي.

لم أنصت إلى كلماتها الخاصة بصحتي وأجبتها عن اتهامها لي بالكذب.

- أقسم إنني لا أفعل.

قالت وهي تشرع في جمع أشيائها استعدادًا في الرحيل:

- سأمنحك فرصة أخيرة تعاود التفكير إلا دفعتك دفعًا خلف القضبان، أقسم إنني سأفعل..

قطع حديثها صوت هاتفي نظرت فرمقت المتصل الذي كان أحد أصدقائي العاملين بالمشرحة، حاولت تجاهل المكالمة ولكن تجاهلي لفت انتظارها فقالت:

- رد على هاتفك..

حاولت تغيير دفة الحديث ولكنها زعقت بصوت مرتفع فصار الجميع ينظر لنا...

- رد..

قمت بالرد ووضع الهاتف على أذني فقال عامل المشرحة لي بعد قليل من تبادل التحيات بيننا.

- لقد تمكنت من جمع بعض المعلومات عن الضحايا الثلاث المصلوبين على مفتاح الحياة، أعتقد أن تلك قد تهمك، كنت محقًا حينما اعتقدت أن هناك رابطًا بين جميع القتلى، ولكن تلك الفتاة الناجية التي قمت بتصويرها، ليس هناك بينها وبين الضحايا أي روابط حتى الآن.

- مَن تكون تلك الفتاة؟!

- سُلاف.. اسمها سُلاف والتقرير الذي جهزته لك، يحتوي على الكثير من التفاصيل عنها وكيف يمكن أن تجدها، أظن خلال ساعات سيتحرك رجالنا نحو بيتها لاستجوابها محتمل أن تعلم تلك المسكينة تفاصيل أكثر عن تلك الأحداث ومن شرع في صلبهم بتلك الصورة، محظوظة تلك الفتاة..

أخبرته أنني سأقابله غدًا ولكنه شدَّد بضرورة مقابلته في تلك الليلة فأخبرته أنني سآتي له خلال ساعة على الأكثر وأغلقت الهاتف وسامية تتابع الحديث بتركيز

شديد، عادت إلى مقعدها مرة أخرى وأشعلت سيجارة جديدة، وقالت باسمة بهدوء أكثر هذه المرة:

- أرى أن هناك أخبارًا جديدة.

- يقول إنه قام بجمع تفاصيل كثيرة عن الضحايا التي تم قتلهم وتعليقهم على مفتاح الحياة.

قالت سامية بسعادة وفضول:

- هذا جيد.. والفتاة؟!

علمت أنه لا مجال للمرواغة وأجبتها:

- يقول إنها تُدعَى سُلاف وسيمنحني طريقة للتواصل معها..

- يجب أن تصل لها أولاً..

- أظنني سأحاول مقابلتها الليلة..

- إذًا يومين سيكون مهلة كافية تأتي لي بكل التفاصيل..

- حسنًا..

نهضت أنا هذه المرة حتى أرحل عن المكان، مددت يدي لآخذ هاتفي فأمسكت يدي قائلة:

- نور..

نظرت إلى يدها ثم إلى عينيها، فقالت بلهجة وثقة مخيفة:

- يومان وإلا ستكون أنت خلف القضبان بدلاً منها..

سحبت يدي ورحلت عن المكان دون كلمات أخرى وكتمت داخلي نوبة أخرى من السعال الدموي.

***

ضرب الشتاء أرض القاهرة من جديد وشق البرق السماء، هرول الجميع نحو بيته وأنا داخل سيارتي

متجهًا نحو المشرحة، حينما وصلت استقبلني أبو الدهب أحد العاملين وحراس المكان بحرارة شديدة، لم أكن أظن أنني سأتقابل معه مرة أخرى بعد قضية عملنا فيها سويًّا.

- نور بيه.. لا أصدق نفسي، أحقًا هذا أنت؟

لم أتمكن من مَنْحه نفس الحماس، كان عقلي ما زال شاردًا في حديث سامية، وتهديدِها بمكوثي خلف القضبان قريبًا إن لم آتِ لها بمزيد من المعلومات الجيدة.

- أهلاً بك أبو الدهب.

قال أبو الدهب وهو يتطلع أكثر إلى جسدي:

- نشكر الله، أظن أن وزنك زاد قليلاً الفترة الأخيرة.

غيرت دفة الحديث متسائلاً:

- أين الملفات؟!

أخرج من جيب سترته مجموعة من المستندات والصور ومنحني إياها وقال وهو يشير ناحية باب المشرحة:

- تفضل، ولكن كنت أوَدُّ أن أريك شيئًا أولاً.

سألته في تردُّد:

- ماذا؟!

لم ينتظر المزيد مني ودلف نحو الداخل حتى توارى بالكامل عن الأنظار في الظلام فدخلت خلفه:

- تعالَ معي.. انظر.

في الداخل أضاء الأنوار ثم اقترب من إحدى الثلاجات الخاصة بحفظ أجساد الموتى، فتحها وأخرج الفراس، حاولتُ رمق اسم الجثة على البطاقة المعلقة على أصابع قديمة ولكنني لم أستطع ذلك، توقعت أن أبو الدهب سيريني شيئًا ما في ملامح وجه الجثة، ولكنه أزال عنها غطاءها الأبيض بالكامل فبدت الجثة عارية

بالكامل أمامنا، ولكنني لم أهتم فقط جذب انتباهي وفضولي ذلك الوشم على صدر الجسد لمتفاح الحياة فتساءلت دون أن أدري:

- ما هذا بحق الجحيم؟!

قال أبو الدهب وهو يلامس جلد الجثة بأصابعه:

- لا أعلم ماذا يكون ولكنني سمعتهم يقولون إنه رمزٌ فرعوني ما..

- إنه مفتاح الحياة..

لم يفهم معنى حديثي؛ فأراد مني أن أخبره المزيد..

- حسنًا؟!

ولكنني لم أهتم بإخباره أكثر وتساءلت:

- كل الجثث بها نفس العلامات؟!

- أجابني أبو الدهب:

- نعم كلهم يحملون على صدرهم الوشم ذاته.. إلى ماذا يرمز ذلك الشيء؟

- الجحيم ذاته يا أخي..

نظرت إلى الجثة مرة أخرى وتأملت ملامحها، رغم تخشُّب ملامحه إلا أنني كنت أشعر داخلي أنني سبَق ورأيتها من قبل فقُلت وأنا أقترب من قدميه حتى أقرأ بياناته..

- حسنًا ذلك القتيل أظنني أعرفه.

قطعني أبو الدهب قائلاً:

- بالتأكيد.. كلنا نعرف صاحب تلك الجثة، إنه مدحت عبد العاطي الشويري رجل الأعمال الذي سبق اتهامه بالشروع في قتل الراقصة شمس، الشهيرة بنجم الشرق الساطع.

حسنًا أظن بدأت تتضح بعض الأمور أمامي الآن..

- وماذا عنهم؟!

قال أبو الدهب وهو يرمق الجثة:

- حسنًا جميعهم لهم ماضٍ سيء، اتهامات مختلفة لم تُثبَت بالقانون بسبب نفوذهم القوية.. أحدهم المحامي الفاسد حامد منصور والأخير الفنان الفاشل يوسف بكر..

تساءلت بفضول:

- هل ما حدث فيهم كان سببه الانتقام مثلاً؟!

ردَّ أبو الدهب السؤال بآخر:

- أتذكر تلك الأحداث في قرية طاحب قبل عدة سنوات؟!

تذكرت تلك الأيام التي شرعت في الحديث عن تفاصيل تلك الأحداث الغريبة بقرية طاحب، يومها قام ريتشارد بالاتصال بي واتهمني بسرقة مقالاته

والشروع في أخذ الأضواء منه وأخذ يسبُّني بجنون، يومها تدخلت وقُمت باستغلال بعض الاتصالات الخاصة بي حتى أوقف نشر مقالات ريتشارد المتعلقة بالواقعة وأظنني نجحت بالفعل، فلم ينشر ريتشارد أيَّ كلمة تتعلق بالواقعة بعد ذلك..

- ومَن ينسى!

قال أبو الدهب:

- حسنًا، كانوا أربع ضحايا رحلوا بنفس الطريقة الغامضة، الأول غرقَ والثاني تم صلبه وحرقه، وآخر تم شنقه، والأخير تم رجمه بالجمرات..

أومأت موافقًا كلامه:

- أعلم ذلك..

قال أبو الدهب:

- يشاع في القرية أن الأربعة لهم علاقة بجريمة اغتصاب وقتل إحدى بنات الفلاحين هناك.. ولكنها جريمة لم يتم ثبوتها على الضحايا مثل هؤلاء، أخشى أن هناك فارس ظلام يسعى للعدالة.

- أذكر أن تلك الجرائم تم تقييدها ضد مجهول بالكامل..

قال أبو الدهب:

- بالضبط، دومًا ليس هناك أيٌّ شهودٍ أو مشتبَهُ بهم، كأنهم رسُل من الله ينفذون قصاصه في الأرض.

- حسنًا، هل تظن أن ما حدث محتمل أن يكون نفس القاتل؟!

هز رأسه نافيًا وقال:

- أو معجب بقاتل قريةِ طاحب!

أومأت له:

- محتمل أيضًا..

فأردف قائلاً:

- ولكن هذه المرة هناك فارقٌ قويٌّ..

هممهت:

- تقصد الناجية بكل تأكيد.

أومأ:

- نعم.

أخرج صورة من جيبه ومنحها لي قائلاً:

- سُلاف، في أواخر عشرينيات عمرها أم لطفلتين ماتت إحداهما قبل عامين والأخرى تعاني من المرض الخبيث وتخضع للعلاج في مستشفى سرطان الأطفال، قُتِلَ زوجها المحامي عمار قبل ثلاثة أعوام، يُشاع أن ابن الشويري هو مَن فعلها بسبب حرص عمار على فضح أمره..

أومأت متفهمًا إشارة أبو الدهب

- هذا غريبٌ، حسنًا أفهم من طريقة عرضك لحياة الباقيين أن لها أيضًا ماضيًا سيئًا مثل هؤلاء..

قال أبو الدهب:

- الغريب أنه لا!، أو لها ونحن لا نعلم حتى الآن، معروف عنهم سوء أخلاقهم ولكن ليس هناك ملفات شديدة الإجرام..

- كيف أصِل لها؟...

قطع أبو الدهب سؤالي، وأخرج من جيبه ورقةً منحها لي، أخذتُها على الفور متلهفًا فقال:

- هذا هو عنوانها ورقم هاتفها..

- حسنًا أشكرك جدًّا..

قال أبو الدهب مبتسمًا ابتسامة ذات معنى:

- إنه عملي..

أخرجت من جيبِ سُترتي مظروفًا به بعض الأوراق النقدية من فئة المئتي جنيه قد سبق وأخذتها من أجري لظهوري على شاشات التليفزيون..

- تفضل.

أمسك المظروف وفتحه تطلع في الأموال سريعًا وظهرت ملامح الإحباط على وجهه قائلاً:

- ولكن هذا قليل جدًّا..

- سأدفع لك مثلهم قريبًا فقط امنحني بضعة أيام وسآتي لك مرة ثانية.

- لا تأتِ، فقط اتصل بي وسأحدد معك أنا الميعاد.

- موافق، إن ظهرت أي أحداث جديدة يجب أن تخبرني في الحال..

- بالتأكيد.

شرعت في الخروج وقال أبو الدهب مودعًا:

- نور الدين، سعيد أنني أراك مجددًا في الميدان..

ابتسمت ورحلت دون حديث آخر..

***

في الطريق قامت سامية بالاتصال بي فشرعت برفض المكالمة، ولكنها كررت الاتصال فاسجبت

غاضبًا:

- أنا ذاهب إلى بيت سلاف حالاً..

- ماذا أخبرك صديقك؟!

- إن الضحايا كانوا عبد العاطي الشوري وحامد منصور ويوسف بكر..

- يا الله.. لو كان معهم مازن الحسيني لكانت أعظم قربان يُقدَّم للبشرية من هؤلاء الشياطين.. كل تلك

الشخصيات حاولَتْ تدمير كياني ذات يوم خاصةً حامد منصور الذي حاول جاهدًا أن يطيح بمقعدي في مجلس الشعب.. ياللسخرية!

- سأتصل بك فور أن أنهي الأمر..

وصلتُ العنوان المحدد، أمام البيت قمت بالاتصال مجددًا برقم هاتفها لعلني أتمكن من الاستئذان، ولكن لا أحد استقبل مكالمتي فتلاشت كل الاختيارات أمامي، طرقت بابها فاستجابت وسمعت خطوات تقترب من الباب وهنا همس الصوت نفسه داخل أذني محذرًا:

- هل أنت متأكد من تلك الخطوة؟!

همست:

- يجب أن أعرف الحقيقة..

قال الصوت:

- الحقيقة هذه المرة مؤلمة يا نور، دعني أخبرك إياها ولنرحل من هنا سويًا الآن..

فتحت سلاف الباب، في البداية لم أتعرف عليها جيدًا، فهيئتها هذه المرة مختلفة تمامًا عن سابقتها أمام مفاتيح الحياة، وقفت كالصنم أحاول التفكير في كيفية إدارة حوار مثل هذا، أشعر أنني فقدت كافة قدارتي في التحقيقات الصحفية كأن رحيلي عن الصحافة أفقدني مهاراتي في التعامل مع البشر، أخذت هي المبادرة وقالت باسمة:

- كنت أعلم أن فضولك لن يرحمك!

علمت أنها تذكرني وهذا أمرٌ رغم غرابته إلا أنه جيد وسيوفر الكثير من الوقت في صُنع مقدمات لا حاجة لها وأنا أعلم جيدًا أن الشرطة ستتجه قريبًا نحو ذلك البيت في محاولة منهم لسد فجوات تلك الحكاية، كنت أتمنى حقًا حينما أن تمتلك تلك الفتاة أي معلومات مثيرة تستحق ذلك العناء.

- سُلاف هل يمكنني الدخول؟!

دخلت وهي تجيب:

- بالتأكيد، تفضل..

تبعتها في هدوء، مشيت خلفها في طُرقة بيتها الطويلة وأنا أرمق الكثير من اللوحات المعلّقة على حوائطها، كلها لوحات شديدة الدموية، ينقبض قلبي ويشعر بشعور سيءٍ جدًّا تجاه تلك الفتاة، رغم ملامحها البريئة والطفولية إلا أنني أشعر وكأن الشيطان ذاته حاضرٌ داخل صدرها، رمقت شطرنج جاهز للعب في الطاولة منتصف الغرفة، مَن تكونين بحق الإله؟!، أشعر وكأنك كنتِ على عِلمٍ بقدومي لا يمكن أن يكون ذلك محض صدفة!، حاولت تجاهل الأمر وقُلت غير مبالٍ:

- ما هذا، إنه لشطرنج مميز..

اتجهت نحوها وجلست أمامها وهي تتساءل ولا تنتظر إجابة:

- أتود اللعب؟!

بدأت اللعب بدون أن أجيبها وحرَّكت أحد الجنود إلى الأمام خطوتين ونظرت لي ثم أشارت بترحاب ناحية الكرسي الآخر، حاولت الاعتذار عن الأمر قائلاً:

- لا أعلم، لي ماضٍ سيء مع تلك اللعبة.

اتسعت ابتسامتها أكثر وقالت بثقة:

- أعلم ذلك!، أعلم أنك لعبت مع الشيطان ذاته وهو يصنع مجدَك..

كنت محقًا؛ الفتاة تعلم عني الكثير وعن قدومي إليها، خرج السؤال من بين شفتي بدون أن أشعر.

- مَن تكونين بحق الجحيم؟!

أشارت نحو الكرسي مرة أخرى حتى أجلس، وقالت وهي تنظر إلى الرقعة:

- دورك..

علمت أنه لا مفر من ذلك، فتحركت ناحية المقعد وجلست ثم حركت الجندي المقابل لها خطوتين إلى الأمام فداعبتني ذكرى قديمة عن آخر مرة لعبت فيها تلك اللعبة فتساءلت:

- حتى يتلاشى أحد الجيشين؟!

كانت لا تفهم حقًا معنى حديثي، صمتت لحظات، ولكنها سرعان ما ضحكت وقالت بسخرية:

- أكان يلعب معك حتى يتلاشى أحد الجيوش؟!، كان أحمقَ!

حسنًا علمت أنها ستلعب وِفق القوانين المعتادة بسقوط الملك، حركت سلاف قطعة الحصان في حركة ذات نزعة هجومية بعض الشيء وقالت:

- من أين تحبني أن أبدأ؟!

دفعت بالوزير نحو الأمام حتى أرد الهجوم بآخر وحتى تشعر أنني لست بمتخاذل أو في موقع مدافع

هنا، أجبتها:

- من تلك الليلة، ما الذي دفع بكِ إلى هناك؟!

أطاحت بأحد جنودي وهي تجيب:

- أنت!

- ما معنى ذلك؟!

- لولاك ما كان حدث كل هذا، أنت من تسببت في قتلنا..

صدمني حديثها لا أفهم ماذا تقصد بهذا الكلام، حاولت البحث داخل عقلي عن ذكرى تجمعني بتلك الفتاة من قبل ولكن فراغ، لا أذكر أنني سبق ورأيتها، قطعت حبل أفكاري كلمتها:

- دورك..

- ما هي حكايتك بحق الجحيم؟!، أنا لا أفهم أي شيء على الإطلاق.

قامت سلاف بتحريك إحدى القطع قائلة:

- لم أفكر من قبل متى بدأت حقًا لعنتي، ولكن أظن يومها كان مميزًا في حياتي، يجب أن تعلم لكي تفهم كل شيء يجب أن نعود بالزمن أكثر من تلك الليلة الدامية التي جمعتنا سويًا، هل أنت جاهز لتسمع حكايتي!

أومأت بالموافقة فبدأت سلاف بحكي قصتها..

***

أظن أن كل شيء قد بدأ قبل ثلاث سنوات من الآن، بعدما مرت سبع سنوات على زواجي، أصر شهريار على أن تكون تلك الليلة مختلفة عن كل الليالي، طلب مني عمار يومها أن أذهب إلى كازينو لافيتا على النيل وأن أحرص أشد الحرص على ألا يأتي منتصف الليل إلا وأنا أجلس على الطاولة رقم سبعة، أبلغني أنه سبق وقام بحجزها لنا وبفحص قليلٍ على الإنترنت علمت أن الكازينو سيهتم بتخفيض الأضواء وستتعالى الموسيقى الهادئة وستكون رقصة التانجو هي عنوان

الأمسية لكل مُقبِلٍ على المكان في الواحدة بعد منتصف الليل، سيكون هناك عددٌ لا بأس به من الراقصين لتقديم استعراض مفتوح ومتاح الاشتراك لأيٍّ من الحاضرين بالمكان في ذلك الوقت، علمت أن شهريار أو عمار أخيرًا أراد أن يكون رومانسيًّا ويصنع لي معروفًا لا أنساه أبدًا واختياره للتانجو أمرٌ مثيرٌ للاهتمام لبداية سبع سنوات جديدة لنا، كما فعلناها في ليلة زواجنا، حينما انتهى العرس وأُغلق الباب كنت أخشى جموحه وتطلعاته فشعر بذلك وأخبرني أنه يريد أن نرقص التانجو سويًا لتبدأ مع نغمات الموسيقى والرقصة الأولى رحلة عشق لا تنتهي مع التانجو أو زوجي أو كليهما، لا أعلم.

شهريار هو الاسم الحركي بيننا نظرًا لرغبته الملحة دومًا في أن أسرد له الحكايات كل ليلة، كان الأمر غريبًا في بدايات علاقتنا ولكنني أعدت الأمر لاحقًا وصرت أطالع عشرات القصص والحكايات كل ليلة على الإنترنت ثم أعيد سردها عليه قرب منتصف الليل ليسقط داخل ثنايا النوم على صوتي، طالما كان

يلقبني بشهرزاد ولا شهرزاد بلا شهريار.. فكان عمَّار هو الملك ولكن حياتنا كانت بلا مسرور السياف، حياة مستقرة هادئة يحسدنا عليها الجميع عدا القليل من المناوشات التي يقوم بها عمار من وقتٍ لآخر مع كبار رجال الدولة.

يا الله لم أكن أعلم أنه ستأتي تلك اللحظة التي أحكي فيها حكايتي لأحد.

لم يكن يعلم شهريار أنه حكاية شهرزاد الأخيرة!

داخل الكازينو طلبت كأسًا من الفودكا وأخرجت هاتفي أطالع الأخبار الأخيرة وكما توقعت سيكون زوجي هو محور الأحداث، الإعلامية علا غنيم تصرخ وتلعن في زوجي لأنه تمكن بدهاء من إثبات براءة أحد أبناء رجال الدولة المتهمين بالقتل، قالت المذيعة صارخة كالعادة:

- أنت تتسبب في هروب المجرمين من العدالة.

فردَّ زوجي هاتفًا:

- أنتِ الآن تتشككين في قضاء بلادنا، أنا لا أتحدَّث سوى بالقانون، أنا لا أفهم ما يغضبك حتى الآن، هناك قتيلة وهناك قاتل معترف فما ذنب موكلي!، أنا فقط قُمت بإيضاح الأمر إلى هيئة المحكمة لا أكثر.

كادت المذيعة أن تتحدث، ولكنه قاطعها وقال عمار بنبرة خبيثة:

- أنا أتفهم جيدًا علاقتك الشخصية التي كانت تجمعك بالفنان الراحل.

ردَّت علا غنيم بعصبية:

- لم تكن تجمعني بالراحل أي علاقة شخصية، الجميع يعلم كم عشت طوال حياتي - بلا أسرار- أمام الجميع، أنا منذ بداية الألفية وحياتي مكرسة للإعلام ونشر الحقيقة وخدمة المواطن..

ردَّ عمار ساخرًا

- حسنًا.. حسنًا، ألم تكوني زوجته؟!

- لا لم يحدث هذا الكلام على الإطلاق، ولو كنت زوجة أحدهم فتلك حرية شخصية وبالتأكيد لم أخبئها.

- ولكن هناك وثائق وجدناها لدى المرحوم تثبت أنه قام بالزواج العرفي منك يا علا..

استشاطت المذيعة غضبًا وقامت بقطع الاتصال وهي تكرر التكذيب بشكل هيستري، ضحكت من تلاعبه ومن ذكائه الذي صار يتضاعف مع كل قضية يمسكها ولكنني لا أنكر أنني كنت أخشى شهرته في الفترة الأخيرة، أشعر أنه يدفع من حياته وراحته أكثر مما يأخذ من أموال طائلة وشهرة زائفة، طالما كان زوجي يُلعن على صفحات الإنترنت من كل فئات الشعب، وحذرته أكثر من مرة أنني أخشى على حياته ولكنه كان يخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام، يقترب الليل من المنتصف وما زال المجنون لم يظهر بعد، حاولت الاتصال به ولكنه لا يستجيب، ولكنني أعلم أنه بخير فمنذ دقائق كان على الهواء مباشرة فأرسلت له رسالة نصية:

"أين أنت يا مجنون؟!، ألا تريد حكاية جديدة يا مولاي شهريار العظيم؟"

ردَّ بعدها بدقائق:

"أنا قادم، لا تقلقي يا أميرتي سيكون كل شيء على مايرام!"

ولكن ذلك لم يحدث أبدًا!، لم يكن أي شيء بعد تلك الليلة على ما يرام، كأن بتلك الرقصة كنا نبدأ عصر السنوات العجاف، سبع سنوات مرت من النجاح والتألق وبريق الشهرة يحاوطنا والآن علينا تحمُّل سبع سنوات أخرى من العذاب والألم.

جاء عمار وجددنا النذور ببداية جديدة لا يشوبها أيُّ كلماتٍ سلبية، بداية ليس فيها سوى العشق والحب، سننسى كل الأحزان وسنطلع إلى غد مشرق، يومها أمسك يدي وقال بصوت عاشق:

- أنا أحبك!

أجبته بالكلمة ذاتها بعدها أردفت:

- أخشى عليك!، تنتابني مشاعر سيئة عما يحدث حولك.

أمسك يدي الأخرى وقال باسمًا:

- لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام صدقيني!

صدقته ولكنه كان كاذبًا.

همس في أذني بصوت هادئ:

- تحت أي عنوان ستكون حكايتنا الجديدة؟

أجبته:

- الرقصة الأخيرة..

ضمَّني أكثر نحو صدره وهمس:

- ولكنها ليست الأخيرة يا مولاتي، إنها مجرد بداية لا أكثر..

رقصنا التانجو وأنا لا أعلم صِدق نبواءتي وكلماتي حقًا كانت رقصتنا هي الأخيرة، كأن القدر اراد السخرية منا أن نبدأ وننتهي على الانغام ذاتها، كم تعشق الدنيا النهايات الدرامية الحزينة، ستة عشرة رصاصة تستقر في صدره، كانت الدرجات النارية تحيط بنا من كل الاتجاهات في طريق العودة وتنهال علينا طلقات الرصاص من حدب وصوب، يتطاير الزجاج فأصرخ باكية وأنا أرى زوجي يلفظ أنفاسه الأخيرة، غمرتني الذكريات في تلك الأثناء، غبت عن الوعي محتمل فرأيتني أجلس بجانب رأس عمار أحكي له، يومها نظر لي متأملاً:

- مِن أين لكِ بتلك الحكايات يا شهرزاد؟!

لم أجِبه، فكرر السؤال مرتين..

- أخشى أنني أسرقها من الإنترنت.

ضحك ساخرًا وتساءل:

- وما هي الحكاية الجديدة لتلك الليلة؟!

- كان يا مكان كان في سيدة شديدة الجمال تدعى عاهرة المعبد أما عن العاشق هو الساحر مراش بن بوران الفارسي..

ضحك ساخرًا من أسمائهم..

- لا تضحك، تلك الحكاية حقيقية!

استمر الضحك بيننا.. وفجأة رأيته في أحلامي يضحك متألمًا وسرعان ما تحولت الضحكات لصرخات فزع، عدت إلى وعي كانت السيارة مقلوبة رأسًا على عقب وعمار على شفا الموت..

- عمار، أرجوك!، لا تفعلها وتتركني.. أخبرتني أنه سيكون كل شيء على ما يرام.

أخذت أناديه، ولكنه عاجز تمامًا عن الرد، كان فقط ينظر لي متأملاً ملامحي للمرة الأخيرة، استجمع كل ما تبقى داخله من قوة وحاول لمس وجهي، ولكن الوقت لم يمنحه الفرصة الأخيرة وخرج زفيره الأخير معلنًا كلمة النهاية لزواجنا وعلاقتنا المثالية، كنت أعلم حينها

أن تلك اللحظة هي أشدُّ اللحظات ألمًا في الحياة، أعلم أن مآسي الدنيا كلها قد تكاتفت في صفعي، دائمًا تفعلها الدنيا في اللحظة التي تظن أنك مسيطر على كل شيء من حولك، وكلما حاولت تجاوز الأمر كانت ترسل لي الدنيا ما يذكِّرني بتلك اللحظة، كلمات ابنتيّ آية وآيات اليومية المتسائلة عن والدهما.

- عند ربنا!

تقول آية:

- لمَ أخذَه فأنا أريده!

وتقول آيات:

- متى سيعود؟!

أجيبهم بألمٍ:

- لن يفعل أبدًا!.. الله اختاره.

تعبس بوجهما فأقوم باحتضانهما معًا هامسة:

- يومًا ما سنذهب له جميعًا وستجمعنا الجنة.

مرت ستة أشهر حينما تقابلت مع مازن الحسيني للمرة الأولى، جاءني الفتى الشهير ذو القوام الممشوق والبشرة المشدودة والذقن المشذبة، قدَّم واجب العزاء المتأخر.

- سعيك مشكور!

لم أكن أعلم أن هناك أي روابط تجمع عمار بمازن الحسيني، قال الأخير وهو يرشف من فنجان قهوته:

- الله وحده يعلم كم أنا أعتز بصديقي وأخي عمار، طالما كان الراحل بجانبنا يحمي ظهورنا بدهائه وذكائه غير الطبيعي، أقسم لكِ لست وحدك من خسرتِ في تلك الليلة المشئومة، عمار أحزَن قلوبنا كلنا ولكن!..

بالفعل لم أسمع كلَّ كلماته السابقة؛ لأنني أعلم أنه سينتهي بكلمة لكن، كنت أعلم أن مازن لم يأتِ إلى هنا إلا وجالب معه الشر كله، تساءل مازن:

قبل وفاة المرحوم ألم يخبرك بمكان أي شيء؟!

لم أفهم حديثه فسألته:

- كان يخبرني بكل شيء، ولكن ماذا تقصد تحديدًا بكلامك؟!

طالما كان يحرص عمار على أن يحكي لي كل ما يتعلق بعمله وتفاصيل قضاياه، كان دائم التباهي أمامي بقدرته وبراعته في التلاعب بثغرات القانون، وكنت لا أرى في ذلك سوى أنه ذكيٌّ بل عبقريٌّ، فكنت أنصِت إلى أحاديثه باهتمامٍ شديدٍ حتى وإن كانت أغلب حكاياته مُكرَّرة، ولكنني كنت أعلم أنه يسعد بذكر تلك التفاصيل عشرات المرات المتتالية، كنت محدودة الأفق جدًّا في تلك الأثناء، أجابني مازن الحسيني:

- كتاب الموتى!

لم أفهم كلماته فأردف:

- كتاب أثري وجده عمار وأخذ ثمنه مني ولكنه لم يسلمني الكتاب قط!

وقعت الكلمات علي كالصاعقة، عمار كان يتاجر في الآثار؟!، أخرج مازن بطاقة بأرقامه الشخصية ومنحها لي قائلاً:

- أرجو أن تجدي ذلك الكتاب من أجلي!، من يريدون ذلك الكتاب لن يرحموا أحدًا على الإطلاق يجب أن تتم الصفقة حتى لا تأتي على الجميع.

كرر آخر عبارة له مرتين وهو ينظر إلى آيات ابنتي، في لمحة تهديدية إن لم أجد له الكتاب قد يلحق بها أذى، ولكنني لا أعلم إن كان هو من ينوي فعل الأذى بها أم هؤلاء المنتظرون الحصول على ذلك الكتاب الأثري منه، أومأت وأخذت الأرقام ورحل مازن الحسيني عن بيتي.

بعد بحث امتد لأيام طويلة داخل كل ثنايا البيت وتتبع عدد كبير من رسائل شهريار التي بدت لي

طبيعية جدًا، وجدت الكتاب موضوعًا داخل صندوق سيارته الخلفي، ما تلك العبثية!، كان الكتاب أنيقًا وواضح عليه أثر الزمان، أغلب صفحاته فارغة تمامًا من أي كلمات وعدد قليل من الصفحات يحتوي على الكثير من الرسومات غير المفهومة وأحرف مطلسمة داخل أشكال هندسية.

كيف لذلك الكتاب أن يكون كتابًا أثريًا؟!

وما السر فيه حتى تنال تلك الصفحات الفارغة اهتمام مازن الحسيني نفسه؟!

كان واضحًا أن الكتاب متعلق بالسحر الأسود أكثر أو غيرها من تلك الأمور، في تلك الليلة قام مازن الحسيني بالاتصال وتسائل

- هل هناك أي معلومات جديدة يجب أن اعلمها بخصوص الكتاب؟!

التزمت الصمت لحظات بعدها أجبته:

- أخشى ذلك..

تساءل مازن بشكل أوضح هذه المرة:

- هل وجدتِه؟!

بدون تردد أجبته وأنا أنظر إلى ابنتي:

- أظن ذلك!

قال مازن براحة شديدة:

- حسنًا سأرسل لك أحدهم ليأخذ الكتاب منكِ صباحًا.

كنت أريد أن أنتهي من ذلك الأمر سريعًا، كنت أخشى فقدان إحدى بناتي، طالما حاصرت مازن الحسيني الكثير من الاتهامات القتل بدم بارد، ولكنَّ الفضول كان يأكلني أكلاً لفَهم ما يحدث وما هي حقيقة الكلمات عن زوجي الذي كان يتاجر بالآثار مع مازن الحسيني وهنا جاءت لي خاطرة، قُمت بتصوير عدة صفحات من الكتاب وأرسلتها إلى الشهير نور الدين لعلَّه يتمكن

بمنحي معلومات عن ذلك الكتاب بعدما يَئست طوال الليل في البحث عبر الإنترنت ولا أجد سوى برديات هنا وهناك، يومها أجابتني بأنه محتمل أن يكون ذلك الكتاب هو الكتاب المفقود لعبد الله الحظرد.

لم أفهم كلماتك فسألتك عما تعنيه أجبتني بأنه كتابٌ شديد الخطورة ويتسحيل أن تكون النسخة التي بين يدي نفسها وصدقتك!، ولكنك أثرت فضولي فسألتك من جديد:

- كيف لي أن أتأكد إن كان ذلك الكتاب نسخة أصلية؟!

- نقطة من دمائك على الدائرة المرسومة على غلاف الكتاب، إن دوِّن في الكتاب ذكرياتك وقتها سيكون الكتاب حقيقيًا.

قُلت لك ساخرة:

- ما هذا الهراء؟!

- لذلك أخبرتك مستحيل أن يكون ما بين أيديك نسخة حقيقة.. تلك أسطورة قديمة لا أكثر..

كم هو سخيف أن تشعل النار بجانب أسطوانة البوتجاز حتى تتأكد أنها لا تسرب الغاز!، هذا بالضبط ما طلبته مني يا ابن الظلام وهذا أيضًا بالضبط ما فعلته أنا، لمعت قطرة دمائي في الدائرة وظلت محفوظة على تلك الشاكلة اللامعة طوال فترة العهد بيننا، ولكن ما ظهر في صفحات الكتاب لم يكن مجرد ذكريات لي.. بل كان أكثر من ذلك بكثير..

ابنتك تموت!

كانت الكلمات في الصفحة الأولى، شعرت بالخوف الشديد لما أراه، كنت لا أفهم ماذا يقصد؟!، تمنيت لو كان هناك أي وسيلة لكي أسأله ولكنه أجابني في الصفحة التالية بدون أن يسمع سؤالي.

آيات تغرق!

وقفت لحظات أفكر في الكلمات ثم شهقت فزعًا، ألقيت بالكتاب أرضًا وأخذت أهرول في البيت بحثًا عن بناتي الاثنتين، وجدت آية في غرفتها بينما لا أثر إلى آيات، أخذت أبحث عنها، ولكنها لم تكن موجودة، كنت أبحث عنها في دورات المياه بالبيت ثم علمت أين تكون ابنتي. بدون تردُّد ألقيت بنفسي داخل المسبح وجدتها- كما أخبرني الكتاب- في القاع فاقدة الوعي تمامًا متثلجة البشرة، سحبتها بفزع وأخذت أقوم بإسعافها ومنحتها قُبلةَ الحياة حتى شهقت وعادت من الموت.

بعد ليلة عصيبة قضيتها أمام المسبح أسعف ابنتي ثم ذهبت بها إلى المستشفى حتى أطمئن تمامًا عليها عدت إلى بيتي وضعتها داخل فراشها وداخل غرفتي أخذت أنظر للكتاب لا أفهم ما الذي يحدث بالضبط ولكنني كنت على يقين أنه لا يجب أبدًا تسليم ذلك الكتاب إلى مازن الحسيني؛ فذلك الكتاب هو حقي أنا، ميراثي من زوجي وليس هناك أيُّ دليل أن زوجي قد باع تلك المعجزة إلى أحدٍ، لم أنتظر حتى الصباح

وأخذت الكتاب وابنتيّ الاثنتين وذهبت إلى إحدى صديقاتي والتي كانت تدعى مريم، فور أن رأتني قرب الفجر أمام بيتها فزعت ولكنها رحّبت بي على أي حال.

- أنا لا أفهم أي شيء على الإطلاق!

قُلت لها وأنا أكرر حديثي:

- ذلك الكتاب أخبرني أن آيات تغرق!، ذلك الكتاب أنقذ حياة ابنتي.. يجب أن تصدقيني، انظري بنفسك.

قرأت مريم الكلمات وهي مندهشة من الأمر.

- أنا أصدقك، أنا فقط لا أفهم الأمر.

قُلت لها:

- الأمر مخيف ولكنني أعلم أنني بحاجة لذلك الكتاب في حياتي.

قالت مريم:

- حسنًا دعينا نتحدث إلى نور الدين مرة أخرى، أليس هو من أخبرك بطريقة العهد مع ذلك الكتاب بالتأكيد يعلم عنه أكثر، ويمكنه إيضاح بعض الأمور وما هي طبيعة القوى الخارقة التي تتعاملين معها.

قُلت لها:

- نعم أنت محقة.. صباحًا نتصل به أو نذهب إلى مكتبه أنا أعلم أنه قريب من هنا.

سألتني مريم بحذرٍ:

- وماذا عن رجال مازن الحسيني الذي من المفترض أنهم في بيتك الآن لأخذ تلك النسخة؟!

أجبتها:

- يجب أن أفهم الأول كل شيء، هذا الكتاب من حقي!

قالت مريم بخوف:

- يا ليتك ما أخبرتِه أنك وجدتِ الكتاب!

صباح اليوم أبلغتني صديقتي أنها راحلة إلى عملها.

- أليس اليوم عطلة؟!

قالت ساخرة:

- في عملي ليس هناك عطلات؟!، نعمل كل وقت وكل ساعة..

أومأت، تمنيت لها التوفيق، قالت قبل رحيلها:

- هل تحدثتِ مع نور الدين بعد؟!

أجبتها:

- سأفعل بعد قليل..

قالت وهي تغادر:

- أتمنى أن يساعدك، البيت بيتكِ بكل تأكيد..

رحلت مريم وقُمت بمراسلتك من جديد يا نور الدين، ولكنك لم تستجِب هذه المرة فمكثت عدة ساعات في

محاولات للاتصال بك بطرق متعددة، أحاول الوصول إلى رقم هاتفك الخاص وبعد عدة محاولات تمكنت من الوصول لك، أتذكر تلك المكالمة بيننا؟!

- ألو..

كنت لا أعلم تحديدًا كيف أبدًا معك الحديث.

- نور الدين؟!

كنت تعلم أنه لا يمكن لأحد الوصول لرقم هاتفك الخاص إلا ذا نفوذ فقُلت بصوتٍ ودودٍ:

- أهلاً بكِ.

قُلت لك بتردد:

- لا أعلم أنك ستتذكرني أم ماذا، أعلم أنك مشهور ويتحدث معك العشرات كل ليلة.

فتساءلت نور الدين بريبة:

- مَن تكونين؟!

- أنا سُلاف، تحدثت معك أمس بشأن كتاب عبد اللّٰه الحظرد.

- نعم، أتذكرك.. ما الأمر؟

- أنا وضعت دمائي بالكتاب وأخذ يسرد جزءًا من ذكرياتي.

- هذا غريب!

سألتك سريعًا بصوت متلهف:

- نعم، هل تعلم تاريخ ذلك الكتاب؟!

صمت لحظات أخرى كأنك تفكر في الإجابة ثم قُلت:

- لا أظنني أعلم الآن عن تاريخه شيئًا، حتى أغلب معلوماتي عنه مجرد أساطير لا أكثر.

- حسنًا، كيف يمكنني التعامل مع الكتاب؟!

فردَّ السؤال بآخر:

- أظنني لا أفهم حديثك؟!

لم أكن أشعر فيك بالطلاقة نفسها التي أجدها في مقالاتك ولقاءاتك الصحفية، كنت أشعر أنك تنتظر أن يملي عليه أحد! الكتابة، فقُلت مفسرة أكثر:

- أقصد كيف يمكنني أنا أطلب منه إخباري بالمزيد!

بعد صمت معتاد أجبتني كأنك لا تفهم ما تقوله:

- أظن عليك بالكتابة!

- بمعنى؟!

أجبتني بتفاصيل أكثر هذه المرة.

- اكتبي له ما تريدين وسيردّ عليكِ، اكتبي بقلم زعفران أو حبر أحمر طبيعي إن لم يتوفر معكِ أقلام زعفران.. كل ليلة بعد الفجر وسيخبرك بما تريدين.. هذا ما قرأت عنه من قبل.

- حسنًا سأجرب الأمر..

كنت أشرع في إنهاء المكالمة ولكنك تساءلت:

- هل يمكنني رؤية الكتاب؟!، ذلك الكتاب لو كنتِ محقة أعلم أناسًا على استعداد دفع ملايين مقابل الحصول عليه.

- أعلم!، أخشى أن هناك من يتبعني الآن بخصوصه.

صمت لحظات وهمهمت قائلاً:

- هذا خطير..

قُلت منهية الحديث:

- آسفة على الإزعاج علي الرحيل الآن.

قُلت لي وأنت تنهي الحديث:

- حسنًا إلى اللقاء..

عدت إلى غرفتي كي أطمئن على آيات وما شاهدته تلك الصغيرة من معاناة في تلك الأيام الماضية وجدتها بجانب أختها أمام الكتاب تتطلعان فيه، اقتربت منهم بينما تحاول آية استهجاء كلمة ما.

- آ.. آ.. ه..ه..

قالت آيات ساخرة من أختها:

- اهربي، إنها كلمة بسيطة تستطيعين قراءتها!

فزعت من الأمر وهرولت ناحية الكتاب ورمقت الكلمة فيه، لهفتني نشر الرعب في نفوس الصغيرتين، قلبت الصفحة ورمقت الكلمات الصاعقة:

- مريم خائنة!.. الشيطان وأبناؤه قادمون نحوك الآن!

***

حركت سُلاف أحد قطع جيشها وأوقفته في وضعية هجومية مباشرة أمام الملك الخاص بنور الدين وهي تتأمل وقع كلماتها على عينيه، فقال الأخير:

- ما هذا الهراء؟!، أنا بالكاد أتذكر تلك التفاصيل التي جمعتنا سويًّا.

- بالتأكيد، فأنت ابن الظلام الشهير، يتحدث معك الكثيرون كل ليلة..

- ولكن ما زلت لا أفهم، أرى أن ذلك الكتاب كان جيدًا بالنسبة لكِ على أي حال ومفيدًا بالرغم من توقعي أنه أوقعك في مشكلات مع مازن الحسيني فيما بعد..

- انتظر انتظر يا ابن الظلام وحرِّر الملك من قبضة هجومي، أنت لم تسمع سوى الشق الجيد من الحكاية كما أن ذلك الفتى المدلل المدعو مازن لم يكن أخطر شيء يهددني!

حركت الملك خطوة إلى اليسار وأنا أنظر لها فشرعت سلاف في استئناف حكايتها..

***

علمني كتاب الموتى ألا أثق بأي إنسان مهما كان، تلاشيت مع بناتي الاثنتين واختبأت داخل إحدى غرف فنادق وسط البلد، كنت أعلم أنه لا أمان إلا داخل ثالوث كياني مع آية وآيات، حتى زوجي صرت أتشكك في كل شيء علمته عنه من قبل، فتحت الكتاب من جديد وجدت أغلب صفحاته ناصعة البياض؛ فقد تلاشت الكلمات من تلقاءِ نفسها، نظرت له وأنا أتذكر كلماتك يا ابن الظلام عن الطريقة التي من المحتمل أن تنجح في مخاطبة خُدَّام الكتاب، قُلت مخاطبة الكتاب:

- أشكرك على المساعدة!، لولاك أو لولاكم.. لا أعلم تحديدًا إن كنتم كيانًا واحدًا أو عدة كيانات تخدم ذلك الكتاب.. لا يهم المهم أنني أشكركم.

لم تظهر أيٌّ كلمات داخل صفحات الكتاب تدل على أن أحدًا سمعني، فجلبت قلمًا في الحال وشرعت في تنفيذ كلماتك يا نور الدين وأنا على وشك أن أكرر الكلمات نفسها بقلمي.. برزت كلمات على صفحات الكتاب باللون الأحمر وبلغة عربية واضحة.

لا داعي للكتابة!، نحن نسمعك جيدًا

نظرت حولي وجسدي يرتجف من رعب المشهد، كنت أشعر أنني بداخل أحد أفلام هوليوود المفزعة، هممت بشفتي بدون أن أصدر صوتًا بكلماتي وتساءلت داخلي:

- مَن تكونون بحق الجحيم؟!

لم يُجِب الكتاب سؤالي ولم أسأله مُجددًا كأنني كنت أخشى رؤية الإجابة، سألت سؤالاً وهو الأهم في تلك المرحلة الراهنة:

"إلى متى ستظلون تقدمون لي المساعدة وتنقذونني وبناتي؟!"

ظهرت الكلمات بعد لحظات تجيب تساؤلي:

"طالما أن العهد بيننا قائم، سنحفظك أنت وبناتك وكل من تهتمين لأمره!"

عهد قائم!

كنت أشعر بالإرهاق الشديد، إرهاق لا يجعلني قادرة على طرح المزيد من التساؤلات التي ستجلب لي إجاباتٍ تحمل كلماتٍ مثل خدَّام وعهود وكتابات دموية وغيرها من تلك الأمور التي تَحدُث أمامي الآن فانسحبت من المشهد وأغلقت الكتاب ولكنه انفتح من تلقاء نفسه على الصفحة ذاتها، نظرت فوجدت كلماتٍ جديدة تتشكل من تلقاء نفسها، كان الكتاب يطرح سؤلاً لي:

"هل أنتِ في حاجة إلى المال؟!"

ومَن لا يحتاج المال يا عزيزي؟!، كتمت الإجابة داخلي ولكنه بطريقة ما سمعها فتلاشى سؤاله وظهرت خيوط تتقاطع مع بعضها البعض داخل الصفحة، كانت تشكل لوحة لسيدة مصلوبة على مفتاح الحياة، كانت السيدة مقطعة الأطراف الأربعة والدماء تنسال منها بغزارة شديدة، لوحة مقبضة ظلامية شديدة الدموية والعنف، دوِّن في الصفحة المقابلة للوحة:

- هل بإمكانك رسمها؟!

أومأت بدون ردٍّ فبدأت الرسمة في التلاشي، نهضتُ مسرعة وجلبت هاتفي وقُمت بتصوير اللوحة قبل أن تتلاشى، سألت الكتاب:

- لماذا تريدين رسم تلك اللوحة؟!

أجابني في الحال:

- هناك من يوَدُّ شراءها، سيدفع لكِ الكثير!

سألت الكتاب:

- ومَن يكون ذلك الشاري وكيف سأصل له؟!

أجابني:

- هو مَن سيجدك، لا تقلقي..

أغلقت الكتاب وعُدت إلى فراشي دفنت نفسي تحت الغطاء وجسدي بالكامل ينتفض، اقتربت مني آيات

فاحضتنها بقوة وانسالت مني دمعةٌ لا أعلم سببها هل هي خوفٌ مما يحدث الآن حولي أو رهبة المسقبل أو كل شيء.. أو محتمل لا شيء مما سبق سألتني آيات:

- أمي، هل كل شيء على ما يرام؟!

أجبتها:

- نعم، لا تقلقي.. كل شيء سيكون على ما يرام.

صدقتني آيات وغرقت بين ثنايا النوم بينما ظللت أنا عالقة بين اليقظة والنوم.

بعد عدة أيام من الاختباء عُدت إلى بيتي وقد كان منقلبًا رأسًا على عقب، علمت أن مازن وأتباعه مروا من هنا، وأخذوا يبحثون عن الكتاب في كل أرجاء البيت، لم أشعر الأمان بالمكوث طويلاً خاصة بعدما نظرت من أغلب نوافذ البيت ووجدت حركة غير مريحة من بعض المراقبين، علمت أنني لو مكثت ليلة واحدة بذلك البيت لن أشهد النهار مرة أخرى، كانوا يعلمون أنني بالداخل وبالتأكيد سيسعى بعضهم

لمراقبتي، بتردُّد قمت بالاتصال بابنتي آيات فردَّت الأخيرة والنوم يغلب على صوتها:

- آيات، هل بإمكانك التركيز معي دقيقة واحدة؟ أنا في خطر!

صاحت الفتاة باسمي فقُمت بتهدئتها فتساءلت:

- أين أنتِ يا أمي؟!

أجبتها وأنا أنظر إلى أحد المراقبين وهو يبادلني النظرات ذاتها:

- لا يهم الآن، أريدك أن تحضري الكتاب بوضعه أمامك.

سألتني ابنتي عن أي كتاب أقصد، أجبتها:

- أرجوكِ ركزي أكثر، الكتاب الذي كنتِ تعلِّمين أختك فيه الاستهجاء مساء أمس.

قالت آيات:

- نعم، نعم حسنًا..

سألتها بعد لحظات:

- هل فعلتِ؟!

أجابتني:

- نعم، إنه أمامي، لماذا ذلك الكتاب ثقيل بتلك الصورة؟

لم أرد على سؤالها وقُلت لها بصورة مباشرة:

- اسألي الكتاب كيف لأمك الهروب من ذلك الموقف الراهن، أتمنى أن يساعدني هذه المرة.

كانت ابنتي تظنني مجنونة فكادت أن تجادلني في الأمر صرخت فيها:

- اسألي الكتاب حالاً..

نظر آيات إلى الكتاب وقالت

- أمي في خطر كيف لها الهروب؟!

قُلت لها:

- افتحي الكتاب الآن، بالتأكيد ستجدين أيَّ ردٍّ في إحدى الصفحات.

قالت آيات:

- نعم يا أمي، هناك ردٌّ.

قُلت لها:

- اقرئي لي ما المكتوب

قالت آيات:

- مكتوب أنه سيكون عليك دفع الثمن ذاته، هو أنقذك عدة مرات لأنك أنقذتِه من الأيدي الخاطئة والآن إن ساعدتك سيكون عليك رد الجميل.

صمتُّ أفكر في العرض، فتساءلت آيات:

- أمي، أنا خائفة!.. ما الذي يحدث ومع من نتكلم؟!

أجبتها:

- لا تخافي يا ابنتي، كل شيء سيكون على ما يرام فقط ثقي في.

صمتت آيات وأردفت أنا:

- أخبري الكتاب أنني سأفعل ما يريد، فقط جد لي حلًّا للهروب من هنا.

كررت آيات الكلمات نفسها فردَّ الكتاب في بالكلمات داخل صفحة أخرى:

- أمرك مطاع!

قُلت لها:

- حسنًا؟!، ماذا قالت الصفحات؟!

قالت آيات:

- لا شيء، لم تقل أي شيء على الإطلاق.

وما هي إلا لحظات قليلة وكان انفجار إرهابي بالقرب من موقع انتظارهم ومراقبتهم، تشتت عيونهم وسقط أحدهم يدمي والآخرون يحيطون به.

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

لم أنتظر وقُمت باستغلال الفرصة في الحال، هرولت إلى إحدى الغرف سحبت لوحةً خشبية ومعها معدات الرسم وبطاقة السحب الائتماني وبعض الأوراق الهامة وانسحبت من المكان، دلفت داخل سيارتي وتحركت مبتعدة بسرعة عن المكان وعيني تراقب الخلفية من المرآة ولكنهم ما زالوا مشتتين في الأحداث المحيطة بهم، حاصرتني الأسئلة في الطريق عن ذلك الانفجار وما هي علاقته بالكتاب، هل كل ما حدث من قبيل الصدفة؟!، هل كان يعلم خدَّام الكتاب أنه سيحدث انفجار إرهابي سيسقط فيه أحد المراقبين لي أم إنه مَن افتعل كل هذا؟!، وهنا شهقت وتعالت ضربات قلبي هل من الممكن أن يكون الكتاب هو من تسبَّب في ذلك

الانفجار، هل توسُّلي له هو ما تسبب في سقوط هؤلاء الأبرياء ضحايا، والأهم الآن: ماذا سيطلب الكتاب مني مقابل لذلك الأمر!

قُمت بتشغيل الراديو لعلَّه يهدِّئ من ورعي قليلاً فوجدتك يا نور الدين ضيفًا في أحد البرامج الإذاعية، سألك المذيع:

- بعض الناس لا تصدق أحاديثك!، ماذا تقول لهم؟!

أجبتَه يا نور الدين قائلاً:

- لا يصدق إلا من رأى.. وأنا رأيت.

همهمت داخلي:

"أنا أيضًا رأيت، محتمل أن أكون رأيت أكثر منك يا مُطارِد الظلام، أتمنى أن تكون تملك إجابات أكثر مني الآن.."

دهست فرامل السيارة وعدلت من وجهتها وانتقلت إلى مبنى الإذاعة لمقابلتك، أنت هو من أخبرتَني بطريقة إقامة العهد مع الكتاب ولم تخبرني أيَّ شيءٍ عن تلك الطلبات المتبادلة بيننا، يجب أن تخبرني كيف يمكنني التخلص من ذلك الكتاب وما هي القرابيين التي سيطلبها مني خُدَّام ذلك الكتاب قريبًا، ولعلك تمنحني هذه المرة إجابة واضحة تفسر ذلك الانفجار وهؤلاء الموتى.

- نور الدين.. نور، أرجوك توقف!

توقفت على استحياء ونظرت لي بإهمال شديد عرفتك بنفسي وادعيت كذبًا أنك لم تتحدث إليَّ من قبل واعتذرت مغادرًا:

- أخشى أنني لم أتحدّث إليك من قبل!

توسلت لك قائلة:

- نور، أرجوك، هناك أمرٌ ما لا أفهمه ولا أفسره.. أخشى أنه أمر شيطاني ولا أعلم إلى أين ستئول بي تلك

الأحداث.

- حسبما فهمت من حديثك، إنك وضعت دماء داخل الكتاب، أليس كذلك؟!

أومأت موافِقة لكلماته فأردف:

- ليرحم الله روحك، إنه عهدٌ دمويٌّ مع الشيطان، لا سبيل للنجاة سوى تنفيذ أوامره الذي محتمل أن يأخذ روحك للجحيم.

صرخت فيك:

- ولكنك لم تخبرني بذلك قبل إقامة العهد.

استشطت غضبًا وفررت هاربًا من أمامي بعدما قُلت بإصرار:

- أخبرتك أنني لم أتحدّث إليك من قبل!

صرخت فيه بأعلى صوت لي:

- يومًا ما سأدمر حياتك كما فعلت أنت يا ابن الشيطان!

في طريقي للعودة جاءني هاتفٌ من مريم الخائنة الملعونة، كانت تريد الاستمرار في لعبتها.

- أتمزحِ؟! إلى أين ذهبتِ؟!

أجبتها..



- أنتِ خائنة!

قالت مريم وهي تصطنع عدم الفهم:

- أنا لا أفهم!، عن أي خيانة تتحدثين؟!

قُلت لها:

- ماذا كان عرض مازن الحسيني لكِ؟!، كم كان السعر المناسب لبيعي وتسلمي أنا وبناتي والكتاب له؟!

أجابت:

- لا أعلم ما هو مصدر معلوماتك!، ولكن فعلاً أنا تقابلت مع مازن الحسيني وأخبرني أنه يريد الكتاب وعرض عليَّ أي مبلغ ضخم ولكنني رفضت!

قُلت لها وأنا أتذكر كلمات الكتاب:

- أشك!

صاحت مريم:

- حسنًا أنا خُنتك، اذهبي إلى الجحيم.. مازن سيجدك وسيأخذ الكتاب ولن يوقفه أحد، امنحي له الكتاب وكفاك حماقة ومخاطرة بحياتك وحياة أطفالك.

قُلت لها وأنا أنهي المكالمة:

- لم يعد الأمر بيدي!

تساءلت:

- ماذا تقصدين؟!

ولكنني لم أرد، أنهيت المكالمة في الحال.

***

في اليوم التالي وقفت أمام قبر زوجي قرأت له الفاتحة وسرعان ما انسالت من عيني دموع لا أعلم إن كانت هي دموع الفراق أم دموع ألم ناتجة عن كم الأحداث الأخيرة في حياتي، جئت له لعلني أجد معه ولو قدرًا ولو بسيط من السكينة، جئت له بعدما ضاقت الحياة وصرت وحيدة تمامًا لا أثق بأحد، وقفت أمامه أبكي وشفتي تهمس.

- يا ليتك هنا الآن!

شعرت بروحه تطوف حولي كأنها تربت على كتفي، تذكرت ومضات عن ماضينا، عن أول رقصة تانجو خضناها سويًا، كنت غارقة داخل موجة من الهذيان اقترب مني يومها وحاول سحبي من الحفل الراقص.

- ومَن تكون أنت بحق الجحيم؟!

نظر حوله حتى يتأكد أن لا أحد يلاحظنا ثم كاد يجيبني ولكنني قاطعته:

- لا أنتظر أن أعلم مَن تكون، أنت ذلك المشهور.. نعم أنت ممثل.

ردَّ ساخرًا:

- نعم، كلنا نلعب أدوارًا مختلفة في حياتنا اليومية.

قُلت له بالسخرية ذاتها:

- الكومبارس فليسوف.

كنت أسخر منه ولا أعلم أنه مُحِقٌّ تمامًا، لا أتأكد من حديثه إلا عندما رحل واكتشفت أنني كنت لا أعلم عنه سوى القليل. تحدثت مخاطبة قبره:

- أنت تعلم أنني غاضبة منك، ولكن لا يهم الآن إن عدت الآن، أنا مستعدة أن أسامحك على كل ما مضى

فقط أخبرني كيف هي النجاة؟!، وإلي أي جانبٍ كنت تلعب؟!

ظهر أحد الشباب فجأة بجانبي ورفع يده قارئًا كلمات الله أمام قبر زوجي، كان يرتدي السواد يمتلك لحية جذابة مشذبة وحدقتين بنيتين تعلوان أنفًا صغيرًا أرستقراطي الهيئة، يحمل هاتفًا في يده موشومًا بالتفاحة غير المكتملة وحقيبة على ظهره موشومة بوشم لا يقل أهمية عن وشم هاتفه، انتظرت وأنا أفكر في طريقة انسحابي من المشهد وعقلي مشغول في كيفية معرفة هؤلاء الشياطين بمكاني، قال الوسيم:

- ماذا يريدون منكِ؟!

لم أجِبه وردت على السؤال بآخر:

- وماذا أخبروك؟!

ابتسم في ثقة وأومأ قائلاً:

- أخبروني أنكِ خطيرة وتحملين الشَّرَّ ذاته بين يديك، شر يبلغ من العمر مئات السنين.

شعرت بخوفٍ شديدٍ، أنظر حولي لا أحد بالقريب منجد لي من ذلك الشاب فقُلت خائفة :

- لم أكن أعلم أي شيء، نور الدين هو من ورطني في ذلك الأمر..

تساءل الفتى:

- ومَن يكون نور الدين؟!

أجبته:

- إنه صحفي ما..

ثم توقفت عن السرد شاعرة بالملل وأردفت:

- لا عليك، أنا لم أكن أعلم أن ذلك الكتاب ملعون.

قال الفتى:

- حسنًا لا عليك، امنحيني الكتاب ودعي الأمر ينتهي عند ذلك الحد.

- أنت لا تفهم أيَّ شيءٍ على الإطلاق، لا يمكن أن أمنحك الكتاب.

نظر الفتى حوله فعلمت أنه ينتظر قدوم المزيد على نفس هيئته وقال:

- هل جننتِ! إن لم أعُد لهم ومع الكتاب في القريب سيقتلونك كما فعلوا مع زوجك؟!

صرخت فيه مجيبة:

- أنت كاذب، كيف لهم بقتل زوجي وهو كان سيمنحهم الكتاب!

قال الفتى:

- زوجك لم يفعل!، أخذ الثمن وقرر أن يحتفظ بالكتاب مثلك تمامًا، ما بكم يا قوم! ألا عاقل هنا يفكر في الأمر

بجدية أكثر، كيف لكم بتحدي مازن الحسيني بتلك الصورة؟!

قُلت له:

- أنت لا تفهم أي شيء.. ذلك الكتاب ملعون.

- حسنًا تخلصي من لعنته الآن.

- لا يمكن، ذلك عهد دموي لا بُدَّ من تنفيذ أمر الكتاب حتى نصبح متعادلين.. نور الدين لم يحاول إخباري بطريقة إلغاء العهد مع الكتاب.

صاح الفتى:

- ما هذا الهراء؟!

التفت حوله وصار ينظر في كل مكان ثم أمسك يدي وأخذ يدفعني دفعًا في مخبئي بالمقابر، تساءلت:

- ماذا هناك؟!

تجاهل الإجابة وظل يهرول ساحبًا يدي معه، كلما حاولت الإفلات من قبضته كان يصر على الإمساك بي لا أعلم إن كنت مخطوفة أو أنه يساعدني، لا أثق به ولا أقدر على عدم الثقة به والهرولة بعيدًا عنه، خرجنا من بوابة المقابر اعتلى دراجته البخارية ونظر لي:

- ماذا تنتظرين؟!

تساءلت:

- وماذا تريدني أن أفعل؟!

أخبرني بأن ألتحق به على الدراجة ولكنني ترددت أن أفعل فأجابني:

- إنهم يعلمون مكانك وكلما هرولت بعيدًا سيجدونكِ، أنت في خطر وبناتك أيضًا لا يمكن العودة لهن الآن حتى لا يعلموا بمكانهن.. يجب أن نبتعد سويًا أكبر قدر ممكن لعلّني أجد حلًّا لكلماتك المجنونة

صعدت خلفه وأخذ يشق الطريق إلى وجهة مجهولة.

همهمت في أذنه بدون أن أشعر:

- مَن تكون؟!

أجابني:

- أنا آدم!.. آدم رمضان عبد الواحد.

***

قاطعت حديثها قائلاً:

- كش ملك!

ابتسمت سلاف..

- والآن دعني أخبرك بالشق الأكثر سوءًا، الشق الأكثر ظلامًا في حكايتي!

***

طلب آدم مني أن أغلق هاتفي تمامًا في الطريق، وتوقف بنا أمام أحد المقاهي الشعبية بعدما أحضر لنا

العامل القهوة والشاي منحني الوسيم هاتفًا قديمًا من إصدارات الأعوام الأولى من القرن، طلب مني أن أتصل بابنتي حتى اطمئن عليها، شعرت بالقلق من تنفيذ كلماته فقال:

- لا تقلقي، أنا حقًّا مكلَّفٌ منهم بمعرفة بمكانك ولكنني لست ضدك، أنا أحاول ترتيب الأمور بشكل أخلاقي فقط، أساعدهم في الحصول على ما يريدون وأحرص على ألا يمسك سوء في الوقت ذاته.

قُلت له وأنا أشرع في كتابة رقم ابنتي:

- ألست أنت ابن المذيع رمضان عبد الواحد أم مجرد تشابه أسماء.

أشعل سيجارة قائلاً:

- بالفعل أنا ابنه..

قُلت ساخرة:

- إذًا أنت الهاكر، سبق وقرأت عنك في الصحف.

أومأ آدم بدون رد فأضفت:

- كلفك مازن الحسيني بمعرفة مكاني حسب سمعتك، أفهم من ذلك الموقف أنك لم تكن مظلومًا في تلك الادعاءات القديمة وأنك بالفعل مجرم سابق ومحتمل حالي طالما تعمل لدى مازن الحسيني.

ضحك آدم قائلاً:

- أنتِ تصطنعين الفَهم والثقة وأنت تفتقدين كليهما.

صمتُّ وقُمت بالاتصال با بنتي في مكالمة استمرت لدقائق أخبرتهم فيها أنني سأعود قريبًا وحذرتهم ألا يغادروا غرفتهم مهما كانت أسبابهم وأي طلبات يرسلون إلى أحد عمال الفندق يأتي لهم بها وأخبرتهم عن مكان الأموال في الغرفة حتى تكون تحت سيطرتهم الكاملة.

- هل أنتِ بخير يا أمي؟!

- نعم بخير يا حبيبتي، أنا قادمة قريبًا لكم لا تقلقي فقط كوني بخير وذلك هو رقمي الجديد.

- حسنًا يا أمي.. أنا أنتظرك.

- مع السلامة.

أغلقت الهاتف ووضعه داخل حقيبتي؛ فقال آدم:

- أين الكتاب؟!

أجبته:

- أخبرتك لا يمكن أن أمنحك إياه، لن تأخذه حتى ينتهي العهد بيني وبين الكتاب.

أسند ظهر إلى المقعد وقال:

- حسنًا ومتى ينتهي العهد إذًا؟!

قُلت له:

- لا أعلم.

صمت آدم يفكر في الأمر فخشيت أن يعيد حساباته كلها ويقوم بتسليمي إلى مازن فأردفت سريعًا:

- أعلم أنك لا تود من تلك اللعبة بجانب اللعب النظيف كما أشرت، إنك بكل تأكيد تريد الأموال.. سبق وأخبرني الكتاب أن أرد النقود يجب أن أرسم رسمة ما..

نظر إلى معدات الرسم التي بحوزتي وأشار لها:

- حسنًا..

- ماذا؟!

- هيًا، ارسمي ما تريدين واجعلينا نتنهي من ذلك الأمر سريعًا..

أومأت له وشرعت في التنفيذ في الحال، ولكن بعد عدة ساعات أيقنت أنه محال تنفيذ مثل تلك الأمور الفنية تحت ذات الضغط النفسي والعصبي والتعجل فألقيت بالقلم جانبًا وصحت فيه:

- أنا لا أستطيع أن أفعل ما تريد الآن.

نظر حوله يتتبع نظرات الناس له وقال:

- هيًا، يجب أن نرحل من هنا.

قُلت بنبرة أقل حدة، ولكنها تحمل الملامح الجادة نفسها:

- إلى أين سنذهب؟!

أجابني:

- مكان آمن.

قُلت له بقلق:

- أنا لا أعلم من تكون حتى أذهب معك إلى أي مكان تريده.

أجابني:

- هل أنت مجنونة؟!، إن كنت أريد لكِ السوء كنت تركت رجال مازن الحسيني يأخذونك عند المقابر، أنا من أمن خروجك.

***

بعد أسبوع أتممت الرسمة وبالفعل جاءني اتصال من أحدهم وقال هاتفيًا:

- أريد رسمتك حالاً.

سألته:

- ومَن تكون؟!، ومَن أخبرك أنها معي؟!

قال بلسان خائف:

- لا يهم الآن كل هذا، فقط أريد الرسم.

- أود أن أعلم..

قاطعني:

- لن تعلمي شيئًا، فقط أريد رقم حسابك البنكي حتى أضع لكِ الثمن المناسب لها..

بالفعل منحته رقم الحساب فوجدته قام بتحويل هائل مقابل الرسمة وصمم آدم أنه من سيذهب للقاء المشتري الغريب وبعدها سألت آدم:

- مَن يكون؟!

قال آدم:

- لا أعلم، كان لا يود الحديث مطلقًا..

قُلت له بعصبية:

- حسنًا أخبرني أي معلومات عنه بحق الجحيم؟!

صمت آدم يفكر بعدها قال:

- حسنًا إنه يرتدي قبعة مميزة على شعره ويتعمد إخفاء ملامحه قدر الإمكان، كأنه كان يريد ألا أتعرف عليه.. كما أظنه عاشق للوشوم!

قُلت له بعصبية:

- أنت حقًا غير مفيد..

***

بعدما مرور أربعة أشهر خسرت فيها كل العلاقات الإنسانية في حياتي، صرت أسيرة ذلك البيت الذي أتى به آدم بوسط البلد مع ابنتي، رحل آدم عني بعدما أخذ أموال اللوحة وصار يطمئن على صحتي من وقت لآخر، كنت أعلم أنه بالرغم من كل ما يفعله من أجلي إلا أنه يتقرب مني حتى تتاح له الفرصة ويسرق الكتاب مني؛ فلذلك لم أمنحه اهتمامًا أكثر من اللازم، ولكن تغيّر كل شيء حينما جلست ذات ليلة خميس أتحدّث مع خدّام الكتاب، كانت أجمل تسلية لي في تلك الأثناء هي الانغماس في التاريخ، أسألهم وهم يكتبون لي صفحات منسية من التاريخ، ولكن هذه المرة رفض الكتاب التحدث وكتب بخط أحمر في منتصف الصفحة..

حان وقت دفع جزء من الزمن!

حسبت الكتاب يمزح معي في البداية وطلبت من خدَّامه أن يتوقفوا عن تلك الكلمات العبثية، ولكن الجملة لم تختفِ ولم يعد يجيبني عن أي تساؤلات جديدة، أغلقت الكتاب بعصيبة وشرعت في النوم ولكنني عجزت عن ذلك، كان الفضول يأكلني أكلاً في محاولة معرفة عن أي ثمن يريده مني الكتاب مقابل خداماته لي، عدت إليه مرة أخرى وسألته:

- وما هو الثمن يا ترى؟!

تبدلت الصفحات من تلقاء نفسها وظهرت صفحة جديدة مرسوم فيها إنسان ما، لم أكن أعلم من يكون حينذاك، فسألته:

- حسنًا؟!

ظهرت تلك العبارة في الصفحة المقابلة للصورة..

فن المعاناة فلا إبداع إلا من رحم الألم، كما فعلناها من قبل ولكن نريدها معاناة حقيقة هذه المرة، معاناة واقعية والمشتري ذاته مستعد أن يدفع لكِ الكثير.

لم أفهم وقتها عما يقصد، فسألته طلبًا للمزيد من المعلومات خاصة معلومات عن ذلك المشتري الغريب، ولكن أحدًا لم يستجِب لي، فأغلقت الكتاب بعصبية وتحركت ناحية فراشي هذه المرة عازمة على عدم التفكير فيه من جديد وبالفعل مرَّ الوقت وانسال النوم إلى جسدي تدريجيًّا حتى تعمقت فيه بالكامل وهنا أراد خدَّام الكتاب منحي نظرة عما يريدونه حرفيًا.

في المنام رأيت أحدهم مُعلقًا على مفتاح الحياة والجروح تنتشر بكامل جسده، تنسال الدماء منه، وجدني أجلس أمامه وأرسم معاناته وآلامه باهتمام شديد جدًّا، اقتربت من المشهد أكثر رأيتني أجلس أتأمل صرخاته وآلامه وشفتاي تتسعان تدريجيًّا مع كلما رسمت خطوط جديدة، كنت أرسم تجاعيده وجهه وحركة عضلاته المتألمة المفزعة، أزيد من دموعه ودمائه على الأوراق، كنت أريد أن تصبح الصورة أكثر سوداوية ودموية، أخذت أنظر إلى ذاتي وأنا لا أصدق ما أراه، كنت كالشيطان أخذت أحدثني أن أتوقف عما أفعله، ولكن الصورة القاتلة مني لم

تسمعني، كانت لا تراني على الإطلاق، كنت كالطيف داخل ذلك الحلم، أرى ولا أتدخل، أرى لا أفهم، يا إلهي ما الذي يريده مني خدَّام ذلك الكتاب، ربي أنقذني أرجوك!

صباح اليوم التالي وقفت أمام الكتاب وأعلنتها واضحة وصريحة قائلة:

- حسنًا، أخشى أنني فهمت ما تريدون، اعتبروا العهد بيننا لاغيًا، مستحيل أن أفعل ما طلبتموه!

انتفض الكتاب على الطاولة وأخذت صفحاته تتقلب بشكل هيستيري ثم توقف على صفحة قرب النهاية ودوَّن في الصفحة..

يجب سداد الدين حالاً أو..

انتظرت لحظات حتى يكمل عبارته، ولكنها لم تكتمل على الإطلاق، ففهمت المغزى والتلاعب بأعصابي ونبرة التهديد من خدَّام الكتاب، فصحت فيه:

- هل تظنون أن بإمكانكم تهديدي؟!، هل تظنون أنني مدينة لكم بشيء؟!

اشتعلت الصفحة من تلقاء نفسها وأخذت تحترق بدون أن يمس باقي الكتاب بسوء ثم انطوى الكتاب على نفسه، رمقت نقطة الدماء على غلاف الكتاب وانتبهت أنها لم تعد حمراء لامعة كما كانت بل صارت سوداء فاحمة، سريعًا انتقلت على الحاسوب باحثة عن أي معلومات تخص ممن كانوا في نفس حالي وتمردوا على عهود الجان، لم أجد -حرفيًا- من عاش حالتي مع كتاب الموتى ولكنني وجدت من تمرَّد على العهود بوجه عام ولم يكن مصيرهم سوى الموت!

رغم أنني تعاهدت مع نفسي ذات يوم على عدم طلب العون منك يا مطارد الظلام إلا أنني لم أجد أي سبيل آخر للخروج من ذلك المأزق، لم أنتظر وقتًا مناسب للأمر كما لم أخطط للحوار مسبقًا كما كنت أفعل، جلبت هاتفي وشرعت في الاتصال بك وما هي لحظات إلا واستجابت لمكالمتي عكس ما توقعت.

- ألو، نور الدين.

- أفندم!

- لا أعلم هل ستتذكرين أم لا، سبق وأن تحدثنا بخصوص...

- اعذريني هل بإمكانك الانتظار وسأقوم بالاتصال بك بعد عشر دقائق.

- حسنًا، أرجوك لا تتجاهلني..

- لا تقلقي يا أفندم..

ولكنك كنت كاذبًا لعينًا، بعد مرور ساعتين شرعت في تكرار الاتصال بك من جديد، ولكنك تجاهلت مكالمتي مرة واثنتين وأنا على الجانب الآخر لا أستسلم أبدًا، أحاول الوصول لك بكل قوتي ولكنك قررت إنهاء الأمر حينما وضع رقم هاتفي على الرفض الذاتي، أنت يا ابن الظلام قررت بكامل قواك العقلية وقدرتك ألا تساعدني، قررت ألا تفعل حتى وأنت لا تعلم ما هي

قضيتي، أنت يا ملعون من وضعني في ذلك المأزق والآن ترفض إخراجي منه.

سمعت صوتًا قادمًا من خلفي نظرت فزعة وجد آيات ابنتي تقف تحملق في الكتاب إحدى صفحات الكتاب بتركيز شديد، ناديتها أن ترحل عن ذلك الشيء الملعون، ولكنها كانت متخشبة في مكانها، كانت لا تسمعني لا تراني فقط تحملق، هرولت ناحيتها سريعًا ورمقت ما تنظر له فوجد الصفحة خالية تمامًا من كل شيء فعلمت أنها ترى ما لا يمكنني رؤيته، جذبتها من ذراعها بعيدًا عن الكتاب وأنا أقول لها:

- ما بك يا آيات؟!، ما بك يا ابنتي؟!

ارتعشت أضواء المكان وبين إظلامه والإضاءة تلاشت حدقتا ابنتي وصارت عيناها معتمتان مجوفتان وقالت متحدثة بلسان الشيطان ذاته:

- إنها البداية فقط!

قالتها ابنتي وسقطت أرضًا خارجًا الزبد من فمها، ارتعش جسدها لحظات قبل أن تسكن إلى الأبد وتصبح جثة هامدة، حاولت الصراخ ولكنني عجزت عن ذلك، ظللت صامتة عاجزة، كان الصمت السابق لعاصفة لن تتوقف أبدًا عن سحق الأرواح وتعذيبيها والتلذذ تجسيد معاناتها بالألوان، رحلت ابنتي ورحلت روحي وإنسانيتي معاها، خشيت رحيل الابنة الأخرى فما تبقى مني شرع في حمايتها مهما كان الثمن وما زال جزء صغير داخلي يتطلع إلى الانتقام وتصفية الحسابات كلها.

***

صعقني حديثها ورغبتها العارمة في الانتقام من الجميع وكم هي تراني أنا السبب في مقتل ابنتها، توقفت عن اللعب ولكنها استمرت في تحريك قطع جيشها، قُلت لها:

- لا أعلم.. أنا لم أكن أقصد، حينما أخبرتك عن طريقة العهد لم...

قاطعتني:

- أعلم، كانت همهمات أذنك هي من تخبرك.. شيطانك هو من كان يتحدث بدلاً عنك هو نفس الشيطان الذي ساعدك في صناعة أمجاد الماضي وهو من يحاول العودة لك الآن.. جسام العظيم!

- أرجوك يا سلاف.. ذلك الشيء خدع الجميع!

صمتت سلاف فأردفت متسائلاً:

- من ضربني في ذلك اليوم وأفقدني وعيي؟!

- لا داعي للحديث دعنا نلعب فقط؛ لأن الدقائق القادمة في حياتك أعدك أنها سيكون مثيرة للغاية يا ابن الظلام..

- 12 -

الهاكر

عدت إلى البيت بعدما حسبت أنني لن أفعل قط، وصلت فبدا كل شيء موحشًا وأكثر هدوءًا عما كان، رحل أبي ورغم سعينا الطويل لوضع سيناريو عما عاشه رمضان عبد الواحد قبل رحيله إلا أنه ما زال يستمتع برؤيتنا حيارى في كشف لغز رحيله، داخل غرفته وقفت أمام صورته وتساءلت:

- يا ليتك تخبرني بما حدث، قيس ينكر الأمر والجميع يعلم أنه هناك سر آخرا، حتى ريتشارد من كان يبحث عن قاتلك هناك من يدعي أنه متورط بشكل أو بآخر في دمائك!، أخبرني يا أبي أرجوك ماذا هنا يومها؟!، من أرسل لك معزوفة الشيطان؟!

ظهرت ريم أختي بدون أن أدري وربتت على ظهري فأنتفض جسدي بالكامل، اعتذرت عما سببته لي من خوف فلم أشعر سوى وأنا ألقي بجسدي داخل

أحضانها وتتساقط دموعي دون أن أدري ضمتني أكثر نحو صدرها ولاحقت دموعي تساقطت دموعها وقالت بلسان متلعثم خائف:

- حسبت أنني لن أراك مجددًا.. لم أكن لأتحمل رحيلك كما رحل.

انسحبت من حضنها ونظرت لها ماسحًا دموعها وتساءلت:

- أليس من المفترض أن تكوني بعيدًا عن هنا الآن..

ضحكت بسخرية مصطنعة وقالت بألمٍ شديدٍ:

- نبيل طلقني، العظيم رحل وتركني..

أومأت في تفهُّم بحثت داخلي عن أي كلمات يمكنني النطق بها في تلك الأثناء فلم أجد، فأردفت:

- أين كنت يا أخي؟!

فكرت لحظات ماذا أخبرها الآن، وهل يجوز سرد لها ما حدث لي خلال الفترة السابقة وهل أبدأ السرد لها من الفصل الأخير وأنا أسير لدى جماعة الدساس ولا أعود للماضي أكثر وأحكي لها عن أبينا الذي رحل تاركًا عددًا كبيرًا من التساؤلات غير المفسرة.

- أتعلمين كيف مات أبونا؟!

نهضت ريم مبتعدة عني قليلاً تفكر في الإجابة وبعدها أجابتني:

- الطب الشرعي قال إن الأمر مجرد هبوط حاد فى الدورة الدموية.

قُلت لها معترضًا:

- الأمر ليس بهذه البساطة يا ريم، هناك الكثير من الأمور الخفية، أخشى أن أبانا قتل، هناك معزوفة قاتل تم إرسالها له من مجهول ليرحل بعدها في صمت..

قالت وهي تبتعد عني..

- كفى عبثًا في الماضي، أبونا مات بسبب هبوط حاد في الدورة الدموية لا أكثر يا أخي..

قُلت لها غير مصدق إصرارها غير المبرر:

- بعد كل ما أخبرتك به وما زلتِ تعتقدين أنه مات بسبب هبوط ملعون في الدورة الدموية، سحقًا لكِ!

كانت المرة الأولى التي أشعر أن أختي تخفي شيئًا ما عني، لم أحاول الضغط عليها الآن فأنا أعلم كم الظروف التي تحيط بنا، ولكنني على الأقل وجدت بداية طرف خيط يمكنني البحث منه.

- ماذا عن حمَّام ساخن دافئ لك يا أخي؟!

أجبتها بالإيماء والابتسام..

***

نزعت ملابسي وألقيت بنفسي داخل حوض الاستحمام وأنا أفكر في كلمات قيس الأخيرة قبل أن نفترق، بعدما قام باغتيال الجميع ببراعته الملحوظة

وبمساعدة تلك الفتاة الصهباء التي أسماها العازف بابنة السماء:

- مَن تكون تلك الصهباء؟!

نظر لي في مرآة السيارة الأمامية وأجاب:

- ابنة السماء يا أخي، ابنة السماء..

تلاشت الذكرى وجاءت أخرى ونحن داخل سيارة الدفع الرباعي والفتاة تقودها بتركيز شديد وهي تشق الصحراء وفي يدها جهاز جي بي إس كمرشد لها، نظرت إلى قيس وقُلت:

- أنا ما زلت غير مصدق حديثك بشأن أبي!

أومأ قيس في تفهم وتبادل النظرات مع صديقته الصهباء ثم قال:

- أخي، أنا لا أكذب!، أنا لم أقتل والدك حقًا.

كنت غير مصدق لحديثه وفهم قيس ذلك من ملامح وجهي، فقال:

- حسنًا سأثبت لك الأمر أو بمعنى آخر سأرشدك إلى من يمكنه فعل ذلك غيري، أنا لست العازف الوحيد.

صمتّ لحظات أستوعب حديثه ثم سألته:

- أهناك من يستخدم المعزوفة غيرك؟!

أجاب ساخرًا:

- النساء يا أخي.. النساء تبًا لهن جميعًا..

ضحكت الصهباء من حديثه، وأردف قيس:

- خلال فترة ما في حياتي كانت لي وظيفة خاصة مع شركة أنخ، أظن أن الاسم صار مألوفًا لك الآن، تلك هي المنظمة التي أراد منّا الدساس اغتيال أعضائها فردًا تلو الآخر..

أومأت له دون أن أرد، فأردف قيس:

- كنت ضمن مجموعة أخرى من الشباب والبنات..

أشار إلى الصهباء:

- وتلك الجميلة منهم.

ابتسمت الفتاة وقالت:

- وعدتك أنني سأكون بجانبك، نحن متعادلان الآن..

أومأ قيس وقال موجهًا الحديث لي:

- أتيت إلى بيتي حاملاً مسدسًا وتفكر في الانتقام مني وأنت على قناعة تامة أنني مَن قتل أبيك ولكنك لا تعلم أنني كنت في انتظار جماعة الدساس، بعدما تركت العمل مع مازن الحسيني جاءتني رسالة لمهمة من وسيط للأصدقاء القدامى، جماعة أنخ.. طالما كانت أنخ وأجداد الدساس أعداءً عبر حقبات زمنية مختلفة وكثير ما حدثت مواجهات دموية بينهم، حقًّا لا أعلم جيدًا ما سبب تلك الصراعات بيت تلك الجماعة الإرهابية الحمقاء التي يقودها الدساس،

وجماعة متطورة وأنيقة مثلاً أنخ ولكن على أي حال هم أعداء ويقتلون من بعضهم البعض دومًا، أخبروني أن جماعة الدساس داخل مصر ويتتبعون أعضاء أنخ وقاموا بقتل إحداهن.. غدير كما قال الدساس، حسنًا طلبوا مني تصفية الدساس وجماعته بالكامل مقابل مبلغ غير عادي.. كنت أتطلع بأن تكون تلك المهمة هي الأخيرة في تلك المسيرة الدموية، حرصت على أن يعلم الدساس وجماعته بوجودي هنا وفعلت كل ما يلزم حتى يتطلعوا إلى خطفي وكنت على اتفاق مع تلك الصهباء الجميلة -كما تقول عنها- للتدخل في اللحظات الحرجة..

كنت أشعر أنني تائه وسط كل تلك التفاصيل التي يحكيها قيس، كنت أريد إجابة محددة أكثر من ذلك، فسألته بعصبية:

- ما علاقة كل هذا بأبي؟! ومن يكون الوسيط بينك وبين الجماعة؟!

أجابني قيس متجاهلاً الشق الثاني من السؤال:

- علاقته يا أخي أن غدير كانت تجيد العزف على آلة الشيطان مثلي، في لحظة ثقة بيننا على فراش متعة أخبرتها بسري بالكامل بل وعلمتها اللحن القاتل السعيد..

كنت لا أفهم ما علاقة قاتلة من جماعة أنخ الأسطورية بأبي.

- جماعة أنخ تريد اغتيال أبي؟!، ما هذا الهراء؟!

ضحك قيس مجيبًا:

- نعم، لا أنكر أنه يبدو كالهراء، ولكن يؤسفني أنها الحقيقة..

نفدَ صبري فأمسكت برقبة قيس، فقال الأخير:

- اهدأ يا أخي..

صرخت فيه:

- أنت قاتل أبي..

رد قيس:

- أقسم لك إنني لم أفعل، أبوك مات لأنه قرأ كلمات الشيطان، مات لأنه سرق كتاب الموتى!

صعقني الحديث تركت رقبته وهمهمت دون أن أشعر:

- ما الذي تقوله؟!

قال وهو يمسك رقبته بيمناه:

- لا أعلم ماذا يكون كتاب الموتى هذا.. ولكنني أعلم أن أباك سرقَه بطريقة ما!، وأنها كانت صفقة كبيرة بين مازن الحسيني وجماعة أنخ..

همهمت بصوت منخفض خائف:

- ولكن أبي لم يسرق الكتاب..

تساءل قيس:

- لا أفهم ماذا تقصد يا أخي؟!

قُلت له:

- أنا من سرقته!

صاحت الصهباء صارخة..

- ماذا تقصد؟!

قُلت لها مؤكدًا:

- أنا سرقت كتاب موتى!..

- 13 -

المختار

جاءتني رسالة أن الهاكر قد عاد من صومعته أخيرًا، حدَّثني آدم مكالمة قصيرة بعض الشيء، كان في وعيه بشكلٍ كبيرٍ على غير المعتاد، حدثني بشكل ودود لم يكن متواجدًا بيننا قبل ذلك، أشعر أن آدم ما زال يعيش حالة أنني مريض ولا بُدَّ من الرفق بي في التعامل حتى لا أدمر ذاتي في لحظة بائسة، بعدما تبادلنا السلام طلبَ منِّي أن نتقابل فلم أجد ما يمنع ذلك فحددنا الموعد وانطلقت نحو فيلته، قابلتني أخته بالود ذاته وأدخلتني إلى إحدى الغرف الجانبية وسرعان ما قدَّمت لي فنجانًا من القهوة بنفسها، لم يعد هناك أي خدمٌ يعيش في ذلك المكان، صار موحشًا قابضًا للقلب بعدما رحل عنه رمضان عبد الواحد صاحب الصوت الجهوري والنبرة الحادة الساخرة.

- ريتشارد يا عظيم، كيف حالك؟!

جاء الصوت من خلفي وللوهلة الأولى حسبته صوت رمضان عبد الواحد، ولكنها كانت نبرة آدم التي تغيرت كثيرًا وصارت تشبه أباه الراحل، حتى ملاح آدم رغم أنني لم أرَه منذ عدة أشهر إلا أنني لم ألحظ بوادر ذلك الشيب على جانبي رأسه من قبل، ماذا رأيت يا هاكر بحق الجحيم؟!، كتمت السؤال داخلي وأجبته:

- بخير!

جلس أمامي بوجه بشوش مبتهجًا وقال بنبرة صوت مرتفعة أكثر من اللازم:

- ذهبت إلى المستشفى وعلمت أنك خرجت وأن صحتك تحسنت كثيرًا عما كانت.

أومأت مصطنعًا ابتسامة هادئة قائلاً:

- نشكر الله.

ولطبيعه عمله غير الأخلاقي في اقتحام خصوصيات البشر فقد شاهد ردي اصطناعيًا للتعبيرات السعيدة

في ملامح وجهي، فتساءل آدم:

- أكُل شيء على ما يرام؟!

أجبته بحماس مصطنع أيضًا:

- بالتأكيد.

اقترب آدم مني أكثر وربت على فخذي برفق قائلاً:

- ريتشارد أنا لست طبيبًا، فقط أخبرني ما بك.. الخاتم؟!

جذبت فنجان القهوة ورشفت منه وغيَّرت دفة الحديث..

- رائعة تلك القهوة، يا ليتك تخبرني أي بُن تستخدمونه؟!

تراجع آدم إلى الخلف وقال بدون أن ينظر لي:

- هناك أمرٌ ما أود إخبارك به..

رشفت من فنجان القهوة من جديد متسائلاً:

- ما هو؟!

قال آدم بلسان بدا لي واثقًا من نفسه حينذاك:

- أخشى أننا كنا مخطئين وأن عازف الشيطان لم يقتل أبي!

أومأت قائلاً:

- أعلم ذلك!

تلاشت ثقته بنفسه وعاد بنبرة صوت متوترة بعض الشيء متسائلاً:

- ماذا تقصد؟!، أكنت تعلم أن هناك سرًّا وراء مقتل أبي عكس ما كنا نتحرك..

صمت لحظات أنظر له، كانت المرة الأولى التي ألاحظ فيها فقدان آدم لوزنه بتلك الصورة وبروز الكثير من مفاصل عظامه على جانبي رقبته وظهور بوادر

جمجمته أسفل بشرته، لم يكن آدم كذلك حتى في أشد مراحل فسقه..

- أنا مَن كان يتحرك وحدي لإثبات أنَّ أباك تم قتله، أتذكر أين كنت أنت حينها؟!

صمت آدم ولم يجبني فأردفت أنا مستأنفًا الحديث:

- كنت غارقًا في السكر وفقدان الوعي، علمت مؤخرًا أنه ما زال هناك لغز ما غير مفسر..

قاطعني آدم:

- قيس يظن أن أبي مات بسبب كتاب الموتى.

فسألته:

- أيمكنك إخباري كيف تحرَّك ذلك الكتاب منك إلى أبيك؟!

صدمه سؤالي كثيرًا وردَّ السؤال بآخر:

- كيف علمت أنني سرقت الكتاب؟!

حقًا لم أقصد ما فهمه أبدًا، ولكنَّ الحظ ساعدني لكشف المزيد من التفاصيل دون أن أقصد..

- لم أقل إنك سرقته؟!، حتى إنني لا أعلم كيف وصلت له..

ردَّ آدم بذهن شارد كأنه يذكر ما حدث، كأنه يبحث داخل ذاكرته عن تفصيلة قد فاتته في تحركات ذلك الكتاب المشئوم.

- لا أعلم كيف وصل أبي للكتاب.. ولكنني فقدته بصورة فجائية، وقبل أن أدرك الأمر قُتل أبي.. أخشى أنني لم أكن أعلم أن أبي هو من أخذ الكتاب إلا بعد وفاته.

لم أهتم كثيرًا بكلماته وسألته بشكل مباشر أكثر:

- كيف حصلت على ذلك الكتاب يا آدم؟

أجابني آدم بتهرب..

- لا أظن أن هذا الأمر هام الآن.

نهضت من مقعدي واقتربت منه وقُلت له:

- بالعكس أظن أن ذلك أفضل وقت لتحكي لي كل شيء من البداية، كنت أظن أننا أقرب من ذلك.

التفت حتى لا ينظر لي وأضاف:

- حكاية الخاتم لم أعلمها سوى بدخول المصحة النفسية..

تحركت لأقف أمامه وأنظر إلى عينيه، ثم أمسكت كلتا ذراعيه وسألته من جديد بنبرة أكثر لطفًا وهدوءًا:

- احكِ يا آدم، كيف حصلت على ذلك الكتاب؟!.. وماذا تعرف عنه؟!

أجابني آدم:

- سلاف.. تدعى سلاف!

---

1) المقصود أحداث رواية اعترافات كاهن، حيث قرأ ريتشارد في مذكرات إسحق يعقوب أن إحدى الفتيات رأت اختطاف الفتاة واغتصابها فشرعت بقتل كل من تورط في الأمر وحينما تم سؤالها عن الضحايا اعترفت في الحال وقالت إن الرب هو من أمرها بذلك ومنحها خاتمه العظيم.

2) المقصود هنا أحداث رواية معزوفة الشيطان حيث هبط ريتشارد على أرض القاهرة عمل في إحدى الصحف في تلك الأثناء ظهر الإعلامي الشهير رمضان عبد الواحد عبر الشاشات وأعلن عن حلقة أخيرة له في حياته الإعلامية سيكشف عنها الكثير من التفاصيل المثيرة وسيهدم الكثير من النخبة ولكنه لقي مصرعه لاحقًا عن طريق معزوفة تتلاعب في هرمونات الجسد لتسقطه جثة هامدة في لحظات محدودة، وتم اتهام القاتل المأجور قيس الشامي.

- 14 -

ابن الظلام

حركت سُلاف قطعة شطرنج وأطاحت بأحد جنودي، تجاهلت موقف ملكي المهدد بالموت صحت متسائلاً:

- يجب أن تفهمي أنني لم أكن أقصد أن أُلحِق بك أي شر، كل ما حدث كان قبيل تراكم الصدف لا أكثر، لا يمكن أن أحاسب الآن على مقتل ابنتك على أيدي خدَّام كتاب الموتى.

أشارت سلاف إلى رقعة الشطرنج حتى ألعب حركتي التالية، ردَّت على سؤالي بآخر:

- ما الذي دفع بك إلى المكان في ذات اليوم؟!، أليس الكأس ذاته يا ابن الظلام؟!، نفس الهمهمات التي تسبَّبت في قتل ابنتي هي مَن أوقعت بي في كل هذا.. إنها العدالة، ألم تفكر مُطلَقًا لو كان خدَّام الكتاب ومن يهمس في أذنك كل ليلة نفس الكائن؟!

فأجبتها بشكل بدا أحمقَ كثيرًا وأنا أحرك الملك خطوة إلى اليسار حتى أحميه من موته المحقق.

- لا أفهم عن ماذا تتحدثين؟!، وأي كأس شربته؟!

أومات سلاف قائلة ساخرة:

- لماذا قتلتهم وعلَّقتهم على مفاتيح الحياة؟!

حاصرت سلاف قطعة الملك من جديد بفارسها وردت بنبرة ساخرة:

- أي قربان كنت تنوي تقديمه؟!، أم أن العظيم صنع لك ذلك المشهد حتى تعود للأضواء كما قال ريتشارد؟!

نبرتها الساخرة وهدوء أعصابها خاصة بعد تلك الواقعة الدموية التي كادت أن تفقد حياتها بها، ثباتها كان مخيفًا وسكونها كان مرعبًا فخرجت كلمات من بين شفتي:

- أشعر أن هناك سرًّا ما لا أفهمه، أشعر كأن هناك فخًا ينصب لي.

صدمتني أجابتها حينذاكٍ..

- عزيزي، أنت وقعت في الفخ بالفعل!

أطحت برقعة الشطرنج وتساءلت بعصبية شديدة:

- ما الذي تقولينه؟!

أشعلت سيجارة وأخذت منها نفسًا طويلاً، تكوَّنَتْ سحابة كربون حولها من أنفاسها فأخذت تطلع إلى الدخان كأنه تقرأ الطالع به، وقالت بخوفٍ مُصطنَعٍ:

- جاءني همهمة ما الآن أن هناك ضباطَ شرطة يقتحمون بيتك.. ماذا فعلت يا نور؟!

تساءلت:

- ماذا؟!

أطلقت زفيرًا آخر معبأ بالدخان، وتطلعت فيه من جديد وقالت بنبرة ساخرة:

- أخشى أنك قيد الاعتقال!

ضربت الطاولة بكلتا يدي صارخًا:

- ولكنني لم أفعل شيئًا..

زفيرٌ آخر من سيجارتها تطلعت فيه وقالت:

- ولكنهم يصرون أنك من فعلت ذلك!.. يخبرني الأسياد أنك قاتلٌ!، جريمتك لا تحمل سوى شاهدة واحدة.. كان لا بُدَّ أن تقتلني في تلك الليلة يا ابن الظلام..

قُلت لها:

- هذا كذبٌ!، أنت قتلتِهم من أجل إلفاق القضية بالكامل لي!

أطفأت السيجارة وقالت وهي تنهض من مقعدها:

- لا أنا لم أفعل يا صديقي، أنت من بدأ كل شيء ويجب أن تدفع الثمن الآن..

تحركت ناحيتها وأمسكتها بقوة من ذراعها متسائلاً:

- بدأت أي شيء؟!، أنا أخبرتك أن كل ما حدثَ لم يكن عن قصدٍ.

أجابتني وهي تكتم ألمها:

- وهل يُعَد جهلك مبررًا يحميك من العقاب؟!، لولاك لكنت منحت الكتاب لمازن الحسيني من أول وهلة وانتهى ذلك الكابوس قبل أن يبدأ، ولكن دمَّرتني أنا وابنتي..

- أنتِ مجنونة!

انتفض الهاتف على الطاولة محدثًا ضجيجًا مزعجًا، رفعت سلاف حاجبيها وهي تشير نحو الهاتف قائلة:

- رُد على هاتفك يا نور.

لم أرد عليها وتحركت ناحية الهاتف، سحبته، كانت المتصلة هي بسنت استجبت للاتصال في الحال وقبل أن أنطق بكلمة واحدة صرخت فيَّ متسائلة بفزع:

- ما الذي فعلته بحق الجحيم؟!

قُلت لها..

- ماذا هناك يا بسنت؟

قالت بسنت:

- افتح التلفاز حالاً..

بحثت حولي عن أي تلفازٍ لم أجد؛ فتساءلت من جديد:

- ماذا هناك؟!

أجابتني بسنت:

- يقولون إنك متهم بالقتل!

مشاعر القلق قد بدأت تتملكني فقُلت بنبرة مرتعشة كثيرًا:

- أقسم إنني لم أفعل..

قالت بسنت:

- طالما علمت أن أمر الطلاق منك هو الأفضل على الإطلاق

- ليس هناك أي دليل..

سحبت سلاف الهاتف من على أذني وأنهت المكالمة قائلة:

- أخشى أن تكون الشرطة الآن قد وجدت العبوة التي بها السم ذاته الذي تم حقنه إلى جميع الضحايا وهذا ما كشفه الطب الشرعي.

تذكرت تلك العبوة التي منحني إياها أبو الدهب في المشرحة من أجل تحليلها والاطلاع على ما فيها،

فقُلت في الحال:

- ولكن أبو الدهب هو من منحني تلك العبوة لدراستها، هل هو متآمر معكِ؟!.. نعم بالتأكيد فعل هو من منحني عنوانك وهو أيضًا مَن كان يصر علي أن أسرع في التواصل معكِ ومنحني رقمك حتى لا أشك في الأمر وبالتأكيد أنت لن تستقبلي مكالمتي مما لا يتيح أمامي سوى أن أتحرك ناحية بيتك!، تبًا لكم.

قالت سلاف بسخرية:

- هل أنت مريض؟!، هل تظن أن الجميع يتآمر ضدك؟!، ماضيك يحمل الكثير من الشكوك في نزاهته طالما كانت تلاحقك تهم السرقات الأدبية والموضوعات الصحفية، حتى زوجتك قالت إنك مستعدٌ لأن تقتل من أجل مجدك الشخصي حتى طفلك راح ضحية أحد طقوسك ذات يوم.

دفعتها نحو الحائط بقوة قائلاً:

- حسنًا، ولكن كيف أنت على قيد الحياة إن كان قد تم حقنك بالمادة ذاتها.

لم تتألم هذه المرة وردت:

- يا للأسف، إن جرعتي كانت أقل من اللازم، محتمل لأنه من عدالة الله أنه ليس هناك أي جريمة كاملة على الإطلاق، لا بُدَّ من خيطٍ يصل بنا إلى القاتل ألا وهو أنت يا مطارد الظلمات.

قُلت لها وأنا أكاد أرحل عن المكان..

- هذا هراء أنا راحل..

توقفت حينما أخذت سلاف تصدم رأسها بالحائط ومزقت ملابسها صارخة مستغيثة:

- ماذا تفعلين؟!

أمسكَتْ بي بقوة وأخذت تمزق قميصي وأنا أحاول دفعها وتخليص ذاتي من قبضتها..

- لن ترحل من هنا.

تستمر سلاف في إطلاق الصراخات وأنا أتساءل بفزع:

- ماذا تفعلين؟!، لماذا تصرخين؟!

قامت بفتح بابها وأخذت تصرخ بصوت أعلى:

- انتظري، ماذا هناك؟

لم يمر لحظات إلا وقد تجمع كل جيران المكان أمام بابها، حاولت الهروب من المكان ولكنها صرخت قائلة:

- أمسِكوه، إنه لص ويريد قتلي!

بدون أن يفهموا قام اثنان من الشباب بإمساكي فأردفَت سلاف:

- يجب تسليمه إلى الشرطة.

صرخت قائلاً:

- لالا، لم أفعل، إنها مجنونة، مختلة عقليًا.

قالت سلاف وهي تخرج من هاتفها خبرًا صحفيًّا عن صدور أمرٍ بالقبض عليّ وأخذت تريهم إياه.

- ذلك هو الصحفي الذي أعلنت عنه جميع البرامج الإعلامية أنه قيد الاعتقال..

قُلت بصوت مذعور:

- ما يحدث يا قوم!

قال أحد الجيران:

- يجب تسليمه حالاً إلى الشرطة.

ردَّ آخر:

- نعم، يجب أن نفعل ذلك الآن قبل أن يقتل آخرين.

قالت سلاف:

- هيَّا يا مطارد الظلام دعنا ننهي الأمر سريعًا ولنجعل العدالة تأخذ مجراها.

انقلبت حياتي رأسًا على عقب في لحظة، صرت لا أدرك ما الذي يحدث حولي وأي فخٍّ تم الإيقاع بي في داخله، تباطأت الدقائق والثواني وصارت كالدهور، وبعد ليلة طويلة وجدتني أسيرًا داخل زنزانة بصحبة عددٍ لا بأسَ به من المجرمين والقتلة، داخل سيارة الترحيلات أخرجت هاتفي وظللت أبحث عن التواصل مع أي إنسان في الخارج لعله يكون المنقذ من تلك الأحداث.. وبالفعل فكرت في بسنت ولكنها تخلت عني واتهمتني أنني قاتل ومجرم وابن الشيطان، اتصلت برئيس تحريري السابق، ولكنه رفضَ التدخل لحساسية مكانته وسرعان ما اتصلت بسامية زوجة مازن الحسيني، ولكنها لم ترد على الاتصال أخيرًا وجدتني اختار اسمًا لم يكن يخطر على بالي قط أنني سأتصل به ذات يوم حتى لا أعلم متى قُمت بتسجيل رقمه على هاتفي، إنه ريتشارد أمير، لم أكن أعلم ماذا سأخبره حينما يستقبل مكالمتي؟!، كيف سأقنعه أنه يجب أن يتدخل وينقذني، رنَّ جرس ثم آخر ولا يستجيب ذلك الأحمق لهاتفي وحينما شعرت

بقرب وصول العربة من وِجهتها قُمت بإرسال رسالة إلى ريتشارد:

“ريتشارد، أنا نور الدين.. أنا في ورطة!”

- 15 -

المختار

- احكِ يا آدم، كيف حصلت على ذلك الكتاب؟!.. وماذا تعرف عنه؟!

أجابني آدم:

- سلاف.. تدعى سلاف!

صمتُّ لحظات أفكر في ذلك الاسم، ولكنني لا أذكر أنني قد سمعته من قبل، فسألته:

- ومَن تكون سلاف؟!

أجابني آدم:

- لم أكن أعلم عنها الكثير في البداية، الأمر بدأ حينما هاتفني مازن الحسيني للمرة الأولى.

تردد آدم لحظات، ولكنه بدأ في سرد تلك التفاصيل الحرجة من حياته في النهاية.

**

- كيف حالك يا آدم؟!

قال آدم بنبرة لا نعلم إن كانت حقيقية أم ساخرة.

- لا أصدق نفسي، العظيم مازن بنفسه!

قال مازن الحسيني ساخرًا:

- أنسيت أن والدك يعمل معنا في القناة؟!

همهم آدم:

- لم أنسَ بكل تأكيد..

قال مازن:

- سمعت أنك كنت في مأزقٍ قبلَ فترة!

قال آدم مدافعًا عن نفسه:

- كذب!، تم اتهامي كذبًا باختراق حسابات بنكية..

صمت كل الطرفين لحظات ثم قال مازن:

- هل يمكن أن نتقابل يا آدم؟!

حاول آدم التفكير قليلاً في الأمر وعمَّا يدور حولَه الآن من أحداث وعن أي شيء يحتاجه ذلك الأرستقراطي.

- أنا؟!

أجابه مازن بثقة:

- نعم أنت!

وافق آدم على الفور:

- بالتأكيد، تحت أمرك سيدي!

- حسنًا، غدًا في مكتبي.. أظنك تعلم مكانه.

- بكل تأكيد..

قال مازن بصوتٍ حادٍ:

- كلمة أخيرة..

- تفضل.

- لا يُفضل أن يعلم والدك شيئًا عن تلك الأمور..

- حسنًا.. بالتأكيد سيدي.

**

صمت آدم عن سرد ذكرياته وأنا أعيش في حالة من الاندهاش، خليط داخلي من مشاعر مرتبكة وأنا أتعرف على ذلك الجانب في صديقي، لطالما كنت أعلم أن آدم ككتاب مفتوح لدي والآن أرى كم عشت أحمقَ لفترة طويلة من حياتي، وما علمته عن آدم لم يكن سوى صفحة واحدة من حياته، صفحة لم تنكشف أمامي سوى حينما أراد آدم نفسه ذلك.

- وماذا كان يريد ذلك المجرم منك؟!، وكيف لم تخبرني من قبل أنه كان هناك علاقة تجمع بينك وبين مازن الحسينيّ؟!، حتى بعدما أخبرتك أن مازن هو من أرسل قيس لقتل والدك فضلت أن تخفي ذلك السر عني؟!

بدا كأنه لم يسمعني على الإطلاق وقال ببرودٍ:

- لا أظن أن هذا يهم الآن يا ريتشارد..

أومأت محاوِلاً تجاهل الأمر والتركيز على ما هو يفيد، قُلت:

- حسنًا، أكمِل، ماذا أراد منك ذلك الشيطان؟!

**

في ليلة شتوية ممطرة توقف آدم بدرجاته البخارية أمام بيت مازن الحسيني الكبير، ترجّل من درجاته وطلبَ من رجال الأمن مقابلة مازن شخصيًا وأخبرهم أن لديه موعدًا معه بعد بضع دقائق، أومأ له الحرس

وتبادل الحرس الخارجي الكلمات والنداءات مع الحرس الداخلي للقصر عبر الأجهزة اللا سلكية ثم سمحوا له بالمرور تابعًا لأحد رجال مازن، عبر آدم والرجل بوابات القصر بعدما تم تفتيش آدم بدقة شديدة وتم سحب منه كل المعادن والتأكُّد أنه لا يمكن أي أجهزة تسمح له بتسجيل ما سيحدث؛ فالكل يعلم قدرات ذلك الفتى واحترافه في اختراق كل شيء يحيط به، وفور الانتهاء من كل تلك الطقوس جلس آدم أمام مازن الحسيني.

- تُشبِه أباك كثيرًا يا فتى..

أشار نحو الكرسي فذهبت لأجلس متسائلاً:

- كيف حالك سيدي؟!

قال وهو يشعل سيجارًا فاخرًا:

- بخير يا فتى.

أخذ نفَسًا عميقًا وأخذ يزفر دخانه ببطء وهدوء بعدها أضاف:

- قالوا إنك اقتحمت حساب عماد الريان البنكي، كما أنك تدير شبكة ضخمة لاختراق وسرقة المعلومات.

كنت أظنه ببراءة سيُقدِّم لي نصائح ويخبرني بخطورة مكانته ومكانه أبي فقُلت مدافعًا عن الأمر.

- ليس صحيح يا سيد مازن، كله كذب للنيل من سمعة أبي.

ولكنه فاجئني كثيرًا نظرته المحبطة.

- خسارة!

فتساءل آدم:

- ماذا تقصد؟!

قال مازن:

- كنت أتمنى بأنك تكون هاكر متميزًا بصحيح، كنت سأكلفك بمهمة قد تألي لك بعشرات الآلاف

فقال آدم مترددًا:

- لن أنكر أنني متميز في بعض الأمور.

تساءل مازن:

- هل يمكنك التعقب؟!

أجابه مرتابًا:

- أظنني قادر على ذلك.

فقال مازن:

- حسنًا أريد أن تتعقب أحد الكتب الأثرية.

سأله آدم على الفور:

- ماذا؟!، ماذا تقصد بكتب أثرية؟!

بصوت هادئ أجابه مازن.

- أريدك أن تتعقب كتاب الموتى!

**

قطع حديث آدم صيحة هاتفي، يذكر أن ذلك الجهاز لم يرن منذ أمدٍ بعيد حتى إنني اتخذت لحظات طويلة متداركًا أن هناك رسالة قادمة لي، تحركت نحو الهاتف وأنا أظن أنها رسالة دعائية من شركات المحمول ولكنني تفاجأت بظهور اسم نورالدين عليها، فقُلت:

- عذرًا آدم لحظة معي:

تساءل آدم بفضول:

- مَن هناك؟!

قُلت له:

- إنها رسالة من... لا يمكن.

تساءل بنفس النبرة الفضولية:

- ماذا هناك؟!

همهمت مجيبًا إياه:

- رسالة من نور الدين.

تساءل من جديد:

- ومن يكون نور الدين؟!

أجبته بالكلمات التي سيفهمها:

- ابن الظلام.

أومأ قائلاً:

- نعم نعم، أتذكره وماذا يريد منك؟!، أظن أنكم لستم على وفاق.

سألته في الحال:

- هل يمكننا تصفح الإنترنت لحظات؟!

أجابني آدم:

- بالتأكيد.. عن أي شيء تريد أن تبحث.

قُلت له:

- اكتب ابن الظلام نور الدين.

أومأ وسحب هاتفًا من جيبه وأخذ يدون الكلمات قائلاً:

- حسنًا..

لم ينتظر نتيجة البحث ومنحني الهاتف فنظرت له وصعقني ما رأيته.

- ما هذا بحق الجحيم؟!

اقترب مني ورمق خبر الاشتباه في نور الدين بكونه القاتل المجهول لضحايا الطريق الصحراوي.

- هل يمكن أن يكون نور الدين له علاقة بما حدث؟!

أجبته:

- نور يمتلك من الشر داخله لأن يفعل ذلك، سبق وفعلها عدة مرات.

صمتُّ لحظات أقرأ تفاصيل الخبر، أضاف آدم.

- ولكن هذا شيطاني.

قُلت له:

- نعم، ولا أعلم ماذا يريد مني..

أرجعت الهاتف إلى آدم، فسألني:

- هل ستذهب له؟!

أجبته بشرود

- لا أعلم.. أظن أنني لن افعل!

قال آدم:

- قد يكون لديه معلومات هامة بخصوص تلك القضية الشائكة ومحتمل أنها تكون بداية رائعة لك من أجل العودة للأضواء.

سألته:

- لا عليك، أريدك أن تكمل ماذا حدث؟!

أجابني آدم بإرهاق:

- لا أنا مرهق الآن.. دعنا نكمل الأمر فيما بعد.

أومأت متفهمًا:

- حسنًا كما تشاء.. أراك لاحقًا.

لم ينتظر طويلاً وهبَّ مسرعًا ليغادر..

- إلى اللقاء..

**

مضيت ليلتي أفكر في طلب نور الدين لي، لم أعرف للنوم طريقًا ونهضت نحو حاسوبي أتعمق أكثر في قضية الصحفي الذي اختفى مدة طويلة ليعود بعدها حاملاً في يده أربع ضحايا مُعلَّقة على الصلبان مثيرًا كل التساؤلات، غصت لحظات في قضية نور الدين السابقة وهي من أشهرهم على الإطلاق حينما تمكن من كشف غموض أحد بيوت سيئة السمعة بكونها تعج بالأشباح والأرواح وغيرها من الكائنات غير المرئية ومحتمل غير موجودة على الإطلاق، يومها اقتحم نور الدين بيت وأزال الستار عمّا يدور داخله من تخزين للأسلحة والمواد المخدرة وتمكن من إسقاط عرش البيت على صاحبه وتحرك به إلى حبل المشنقة، قرأت تفاصيل نهاية القضية وكيف تمكّن ذلك المتهم من الهرب وتلاشى في اللا شيء كأنه لم يجد من قبل، أذكر أنني يومًا ما دوّنت على أحد المواقع نظرية كان عنوانها: ما الثمن الذي دفعه نور الدين إلى بلال حتى يفتعلوا سويًا كل تلك الأحداث، وكيف تمكن الأخير نهائيًا بتلك الصورة؟!

كنت مصدر للسخرية من البعض وإلهام إلى آخرين وصدرت عدة أعمال روائية ترسخ إلى مبدئي في تلك القضية في العام ذاته مرت الساعات ببطءٍ شديدٍ ومع أول ضوء تحركت إلى القسم من أجل مقابلة نور الدين الذي قابلني بلهفة شديدة لا تتناسب مع تاريخنا الطويل في الصراعات.

- ريتشارد!

ربت على كتفه:

- نور الدين!

سألني نور الدين:

- كيف حالك؟!

أجبته وأنا أتطلع في ملابسه البالية القذرة:

- ليس أسوأ من حالك، أظن!

أومأ نور الدين قائلاً:

- بالتأكيد، أنا في مصيبة كبيرة.

همهمت:

- أرى ذلك..

صمت نور الدين فأضفت:

- لم أصدق رسالتك حينما رأيتها وطلبك لي أن أزورك هنا:

قال نور الدين:

- أعلم، أعلم أنك غاضب وتشك أنني كنت أسرق مقالاتك قبل زمن بعيد، ولكن ذلك وقت ومضى وانتهى، الآن أريد مساعدتك.

قُلت ساخرًا؟!

- مساعدتي أنا؟!

أجابني نور الدين:

- ريتشارد حينما ابتعد عن المشهد الصحفي في مصر تدمرت كل علاقاتي، حاولت الاستعانة بأي أحد وأنا خلف تلك القضبان والكل تجاهلني، لم يعد هناك إلا أنت.

سألته:

- وكيف لي أن أساعدك!، أنت متهم بجرائم قتل الطريق الصحراوي..

قال نور الدين مؤكدًا براءته:

- ريتشارد، لقد تم نصب فخ لي، أنا لم أقتل أحدًا.

قُلت له:

- اطلعت على حيثيات القضية في طريقي إلى هنا وعلمت أنك تملك السموم بسيارتك، وأيضًا هناك شاهدة، تلك الفتاة الناجية من الحادثة شهدت أنك الفاعل.

انفعل قائلاً:

- تلك الشاهدة هي الشيطان ذاته ومحتمل.. بل أكيد أنها من فعلت بهم ذلك.

سألته:

- ولماذا ستفعل ذلك؟!

أجابني:

- سلاف تعتقد أنني دمرت حياتها ذات يوم وهي الآن تنتقم مني.

كانت للمرة الثانية التي أسمع فيها تلك الفتاة، فهمهمت غير مصدق ترابط كل شيء ببعضه، كما توقعت أن يقول نور الدين أيضًا إن سبب تلفيق تلك القضية له متعلقٌ بشكلٍ أو بآخر بكتاب الموتى

- هذا هراء..

أردف نور الدين:

- ريتشارد، أرجوك أنصِت لي، حسنًا حسنًا، أعلم أنك تحب الظهور الدرامي أمام الجمهور، اجعل مني قضية تخاطب بها الجميع، أخبِرهم أنك تظن أنني بريء، افعلها من أجلي أرجوك اكسب لي بعض التعاطف من العامة..

همهمت..

- لا أعلم.. وهل تعاطف الناس سيفيدك بشيء؟!

قال نور الدين نادمًا:

- لعنة الله على اليوم الذي عدت فيه للعمل في ذلك المجال مرة أخرى، لولا سامية الملعونة لما حدث كل هذا.

سألته:

- ومن تكون سامية؟!

أجابني:

- إنها زوجة مازن الحسيني.

كانت الخيوط تصر على أن تترابط ببعضها البعض، فلم تكن سلاف وحدها هل الرابط بين أحاديث آدم ونور الدين بل مازن نفسه مرتبط بالحكايتين بشكل غير مباشر.

- مهلاً، مَن؟!

أجابني مؤكدًا:

- مازن الحسيني.

فسألته بفضول:

- وما علاقتك بها؟!

أجابني:

- كانت تسعى لي بقوة حتى تعلم أكبر قدر من المعلومات بخصوص الواقعة.

سألته بعدم فهم:

- ولماذا تظن أنك تعلم؟!

أجابني:

- بسبب ذلك المنشور على موقع الفيس بوك.

أومأت قائلاً:

- فهمت.. حسنًا؟!

أجابني من جديدٍ:

- هي من كانت تدفعني دفعًا للاستمرار في ذلك التحقيق، كما تحدَّثت عن جماعة مجهولة تخشى اللعب معها كثيرًا.

سألته متوقعًا الإجابة:

- جماعة أنخ؟!

أكَّد صِدقَ شكوكي.

- نعم، هي.. كيف علمت؟!

ربت على كتفه من جديد وقُلت شارعًا في الرحيل:

- لا تقلق يا نور الدين، لا تقلق على الإطلاق.

سألني بخوفٍ:

- إلي أين أنت ذاهبٌ؟!

أجبته:

- لِكَسب تعاطف شعبي من أجلك يا مُطارِد الظلام.

حسبني أسخر من كلماته السابقة فقال متوسلاً:

- ريتشارد، أرجوك لا تتخلَّ عني.

نظرت له وقُلت وأنا أعي كلماتي:

- لا تقلق، سيكون كل شيء على ما يرام.

- 16 -

عازف الكمان

رشفت سامية من فنجان قهوتها وقالت لي:

- الجميع يبحث عنك، وأخشى أنَّ فرصك في الهروب خارج البلاد صارت منعدمة، ومازن الحسيني لن يتركك أبدًا لحالك، لا تنسَ أنك الشاهد الوحيد في قضيته، الشاهد والمجرم أيضًا.

قُلت لها:

- ماذا تريدين يا أختاه؟!

صمتت لحظات، أخذت تنظر إلى باطن عيني ثم قالت:

- مازن الحسيني يجب أن يموت!

- ولكن كيف؟!

- لا أعلم، جد الطريقة كما كنت تفعل سابقًا.. أنخ تريد مازن جثة هامدة في أسرع وقت ممكن، وأرادوا أن ابلغك بإصرار أنه السبيل الوحيد للتخلص منه.

- 17 -

المختار

بعدما مرت عدة أيام غرقت فيها داخل أبحاث جديدة وربطت كل الأمور ببعضها لم أتوصل إلى جديدٍ؛ فعلمت أنه لا مفر من مقابلة سامية زوجة مازن الحسيني بعدما تطلعت إلى سيرتها الذاتية علمت عنها الكثير وقفزاتها الحياتية العظيمة فمن بعد أن كانت سيدة بائسة زوجة لأحد فقراء قرية طاحب، تمارس الجنس عبر وسائل الإنترنت متمردة على واقعها لتقرر بعدها الهرب من حياتها نحو شمال مصر وهناك تبدأ فصلاً جديدًا من حياتها بصحبة مازن الحسيني كصديقة ثم عشيقة وأخيرًا زوجة، لعبت دورًا ليس بالصغير في هدم عرش الشاب الثري وكشف تفاصيل حياته أمام الرأي العام ثم رحلت وعملت في السينما كمنتجة وسرعان ما حصلت على كرسيٍّ داخل صالات مجلس نواب الشعب، حاولت التواصل معها لم يكن

الأمر يسيرًا في البداية، ولكنني نجحت على أي حال في النهاية، ولكن مقابلتها تطلبت ذكاءً أكثر.

- أنا أعلم مَن تكون، شاب مميز.

ترددت لحظات، فما زلت أجهل لمَ تقف جانب سامية الآن.

- أنا ريتشارد تواصلنا قبل ذلك بشكل غير مباشر.

ضحكت سامية بسخرية وصاحت:

- أليس أنت من تسببت في فضح مازن على الإنترنت حينما قمت بنشر كلمات عيسى المصري؟!

تنهد قائلاً:

- نعم أنا مَن فعلت ذلك.

تساءلت في فضولٍ:

- وماذا تريد؟!

أجبتها بصوت يثير فضولها أكثر:

- أنتِ من تريدين..

تساءلت باهتمام:

- ماذا تقصد؟!

أجبتها:

- محتمل أن نور الدين صار خلف القضبان، ولكن ما تريدينه منه ما زال معي.

فتساءلت من جديد:

- أين أنت؟!

هكذا تمكنت من الحصول على موعدٍ معها، جلست جوارها في سيارتها الخاصة ونظرَتْ لي، كنت مندهشًا من هيئتها التي تدل على كونها وليدة الطبقة الأرستقراطية منذ لحظة مهدها وليست هاربة من الريف قبل عدة أعوام قليلة.

- ماذا أحضرت من أجلي؟!

أجبتها:

- أنا أعلم الكثير عما يحدث، ولكنها ما زالت خيوطًا متوزاية، ما زلت لم أجد نقاط التقاطع بين كل الأحداث وبعضها.

قالت:

- لا يهم، محتمل أنني أمتلك نقاط التقاطع، أخبرني بما لديك.

- ولكن لي شرط.

قالت سامية:

- لا، لن يكون لديك أي شروط فقط أموال لا أكثر.

ضحكت ساخرًا:

- أخشى أنني لا أحتاج إلى أموال..

أشعلَتْ سيجارتها وقالت:

- حسنًا، ماذا تريد؟!

قُلت لها:

- نتبادل المعلومات، كُلٌّ منا يعلم ما يعلمه الآخر.

ضحكت قائلة وهي تنظر إلى الجانب الآخر:

- أتريد سبقًا صحفيًّا؟!.. هذا مستحيل.

أجبتها:

- لا، لم أعد أعمل في الصحافة، كل ما أريده هو براءة نور الدين، واحتمال قليل من الفضول لفهم الأمر.

ظلت تنظر لي، فأضفت:

- محتمل أن يكون ذلك الصحفي سارق نصوص أدبية ولصًا للأضواء ولكنني أعلم أنه لم يقم بصلب أربع ضحايا..

قالت سامية:

- أخبرته ألا يظهر على التلفاز ولكنه كما قُلت لِصُّ الاضواء، وتلك الجريمة البشعة تليق به على أي حال.

سألتها:

- ومَن تكون سُلاف؟! ولماذا تفعل كل هذا؟! كأن الشيطان تجسَّد داخلها..

أجابتني:

- أنت تبحث بشكل خاطئ يا ريتشارد، سُلاف لم تقتل، إنها مجرد بيدق يحركه آخرون.. كيف لها أن تكون هي القاتلة وصديقك قال إنه فكَّ أسرَها من على مفتاح الحياة!، كيف لها أن تكون قيدت نفسها؟!.. أنت محق، مثلما قُلت الشيطان تجسَّد بداخلها حرفيًا.

سألتها:

- ومَن يكون الآخرون؟!

أجابتني:

- خدَّام الكتاب.

لم أفهم ماذا تقصد فسألتها:

- ماذا؟!

أجابتني:

- كتاب الموتى.

تذكرت الطبيعة الدموية التي حلَّت على جميع من حمل الكتاب على عاتقهم، فكدت أن أسألها عن الأمر ولكنها لم تمنحني الفرصة وبدأتْ في سرد جانبٍ من الأحداث لي كبداية صداقة وتبادل معلومات بيننا.

**

كنت أنظر لهم من بعيد، أراقب المشهد بفضولٍ شديدٍ، كانت المرة الأولى التي أرى فيها مازن يخشى مَن يتحدث معه، كانت هيئته شديدة الوقار كما لو كان

ليس من البشر وهو بشكل أو بآخر كذلك، غزا الشيب خصلات شعره ولكن لم يزِده ذلك إلا عظمة فوق العظمة، تلمع عيناه وتخلو بشرته من أي تجاعيد، رحب به مازن بسعادة غير معتادة وعرض عليه سيجارًا.

- أنت تعلم، نحن لا ندخن.. وإن كنت ترغب في الالتحاق بنا يجب ألا تفعل.

اعتذر مازن في الحال ولم يشعل هو الآخر أيَّ سيجار عكس المعتاد وقال:

- أخشى أنني لا أرغب يا سيدي في ذلك.

قال الرجل:

- غريب أن يتاح لأحدهم فرصة للانضمام لأسرة أنخ الحاكمة ويرفض ذلك.

ردَّ مازن بتردد:

- أخشى المعرفة حينما تزيد عن الحد المسموح.

أومأ الرجل قائلاً:

- لك وجة نظر تُحترَم، ولكن تلك الفرصة قد لا تتاح لك مرة أخرى.

ردَّ مازن:

- أعلم سيدي

تغيرت ملامح الرجل وصارت أكثر حدة وعصيبة وتساءل:

- أين كتاب العربي المجنون؟!

أجابه مازن الحسيني بقلقٍ:

- سيكون بين أيديكم قريبًا جدًّا.

نظر الرجل إلى سقف البيت في يأسٍ قائلاً:

- الجماعة صارت قلِقَة كثيرًا عما يحدث هنا، إن شعرت أنك عاجز عن الاستمرار في صفقتنا فقط تراجع ودَعْنا نسلم الأمر لمن أكثر احترافًا منك، أسعد بن نجيب المحلاوي سيكون سعيد جدًّا إن قمنا بتكليفه بتلك المهمة بدلاً منك.

اصطنع مازن الثقة وقال:

- لا يصح هذا الكلام أبدًا.

زادت نبرة الرجل حدة وقال:

- مرت ستة أشهر منذ اللحظة الأولى التي ظهر فيها الكتاب في مصر وما زال الكتاب هائمًا من يدٍ إلى أخرى، أتتخيل شيئًا بتلك القيمة والأهمية تعبث فيه أيدي العامة؟!

قال مازن الحسيني بصوت بدا متوسلاً أكثر..

- سيكون الكتاب بين أيديكم خلال أسبوع، أعِدُكم بذلك.

نهض الغريب من مقعده قائلاً:

- أتمنى أن تكون محقًا في وعودك وإلا...

وقف مازن الحسيني وبدى كنِدٍّ له وقال:

- أرجو أن تخلو أحاديثنا من الاتهامات، أنا عضوٌ مُحتمَل في أسرة أنخ.

ابتسم الغريب في ثقة وقال متحركًا نحو الباب ليغادر:

- أنت مُحِقٌّ، أنت لست عضوًا في أنخ ، مجرد سمسار لا أكثر، أنسيت أنك تخشى المعرفة؟!، أسبوع ويكون الكتاب بين أيدينا.

**

توقفت سامية عن سرد حكايتها فقُلت لها:

- وماذا تكون أسرة أنخ تلك بحق الجحيم؟!، سمعت عنها الكثير ولكن لا أعلم ما هو الصدق وما هو الخيالي..

شرد ذهن سامية لحظات وأجابتني وقد لمعت عيناها:

- منتهى المعرفة والمجد.

لم يكن صعبًا استنتاج رغبة سامية كلها الآن.

- أنتِ تريدين الكتاب لأنكِ تريدين المجد.. المجد الذي رفضه زوجك.

نظرت لي قائلة:

- مازن رغم هيئته وقوته كان جبانًا، خشي المعرفة.

صمتُّ أفكر في كلماتها، ولكنها قاطعت أفكاري.

- حسنًا وماذا لديك؟!

أجبته..

- أعلم أن الكتاب كان بصحبة رمضان عبد الواحد قبل مقتله واختفاء الكتاب، كنت أظن أن رمضان رحل لأنه أراد كشف تجارة مازن في الآثار، ولكن الأمر كان أعمق

من ذلك بكثير، الأمر كان متعلقًا بذلك الكتاب الشيطاني، سُلاف قامت بتوريط نور الدين في الأحداث الدموية التي حدثت على الطريق الصحراوي، طبقًا لكلماتك والربط التاريخي بين الدموية والكتاب فأظن أن سُلاف تمكنت بطريقة ما من إعادة الكتاب لها وأخذت تنفذ طقوس الكتاب من جديد.. ولكن ما زلت لا أفهم نظرية الكتاب نفسها، حسب ما علمت أن الثلاث جثث اللواتي تم صلبهم على طريق القرية كن يحملن الكثير من الخطايا في حياتهن، كأن الكتاب ينفذ العدل وهذا ضد منطق الشيطان..وضد التاريخ على ما أظن، فذلك الكتاب كان في أيدي ريا وسكينة ولا أظنهما قتلتا حاملتين الخطايا.. أشعر أنني لا أفهم أي شيء على الإطلاق.

قالت لي سامية وقد جذبت اهتمامها:

- استنتاجك جيد، حسنًا اتبع سُلاف وحاول الحصول على الكتاب ومؤكد ستجد معاها دليل لبراءة صديقك وهكذا الكل يفوز هنا.. مسكنية سُلاف خَسِرَت كل شيء في حياتها أعتقد لذلك ما زالت تُصِرُّ على عهدها

مع الكتاب، هكذا دومًا النساء تعشق الاهتمام حتى لو كان من خدَّام كتاب العربي المجنون، مثير للسخرية والشفقة.. أما عن ريا وسكينة فأنت لا تعلم تاريخ التفاصيل الداخلية للأحداث حينذاك محتمل أن يكون كل الضحايا حاملين للخطايا، خطايا لا يعلمها أحدٌ سوى الكتاب فقط!

قبل أن أرحل طلبت من سامية أن تحكي أكثر عما تعرفه لعلَّ معلوماتها تساعدني أكثر في الحصول على الكتاب، فشرعت بسرد مشهد آخر من ذكرياتها.

**

أذكر ذلك المحامي، عمار أنت تعلمه يا ريتشارد بكل تأكيد، يومها جلس في الصالون مكان الغريب وبدت مقابلتهم طبيعية معتادة حتى مرت نصف ساعة وانقلبت الأحاديث الهادئة إلى ما يشبه الصرخات، يومها سمعت مازن يصرخ:

- ما الذي تقوله؟!، هل جننت؟!

اقتربت من المشهد أكثر وأخذت أراقبهم، وجدت عمار يجلس بثقة لا يبالي بعصبية مازن وقال:

- لا أنا فقط أستغل الفرصة، أنا متأكدٌ أن أنخ لها مكان لي ولأسرتي معك.

كنت معجبة حقًا بهدوء وثقة عمار، لم يكن مصطنعًا كما حسبته في البداية وأنا اراه بصورة دورية على شاشات التليفزيون، بل كان حقًا يمتلك ثقة جذابة جدًّا، قال مازن حينذاك بالصوت ذاته:

- أنا لن أنضم لهم.

ردَّ عمار بالثقة ذاتها:

- حسنًا هذا جيد، دعني أنا من أتمم الأمر معهم وخذ كل أموال الصفقة لك وسآخذ المكانة داخل الأسرة الملكية.

تحرك مازن ناحية زاوية في الصالون وصبَّ لنفسه كأسًا من الخمور وشربَه بالكامل وهو يلقي به في

الحائط قائلاً:

- أنت مجنون.

نهض عمار من مكان وشرع في الرحيل قائلاً:

- توقعت أنك لن توافق من أول مرة، فكِّر في الأمر جيدًا.

أوقفه مازن صارخًا:

- أنسيت نفسك؟!

أجابه عمار:

- بالتأكيد لم أنسَ، ولكن واضح أنك مَن نسيت من أكون أنا!

قال مازن مهددًا:

- ما تفعله الآن لن يجلب لك سوى الشر.. أتفهم حديثي جيدًا؟!، الشر يا عمار الشر..

ردَّ عمار بثقة:

- لا أظن ذلك.. مازن، إن لم تفعل ما أخبرتك إياه سأفعله أنا، وهنا لن تنال مكانة ولا حتى أموالاً وسيقومون استبدالك فقط، احترامًا لكل ما هو قديم بيننا سأمنحك الفرصة لتنفيذ ما طلبته منك.

قال مازن بعصبية:

- سأقتلك..

قال عمار ساخرًا وهو يرحل من المكان:

- لا أظنك ستفعل، فأنا لا أنصِت للشياطين كباقي الحمقى يا أخي!

**

أنهت سامية حديثها لتلك الليلة، ولكنها أخبرتني قبل أن أرحل:

- نسيت أن أخبرك، أن عمار هو زوج سُلاف.

سألتها:

- وأين أجده؟!

أجابتني:

- قُتِل!

قُلت:

- منطقي، منطقي جدًّا..

قالت سامية:

- أعلم أنك تظن أنها جريمة أخرى لمازن الحسيني، ولكنني أشعر أن مازن لم يفعلها، كيف له أن يقتل عمار وهو نفسه من سيأتي له بالكتاب!

شردّ ذهني لحظات ثم قُلت لها:

- لا أعلم، ولكنني لا أجد مصلحة لأحد في تنفيذ ذلك الإعدام.

قالت سامية معترضة على كلماتي:

- على العكس، أعداء عمار كثر.. جميع الكبار بالدولة يريدون التخلص منه..

قُلت لها وأنا أشرع في الرحيل:

- لا أعلم، ولكن الحقيقة لن تظل خفية لمدة طويلة، كل شيء سينكشف قريبًا أنا متأكد.

همهمت سامية:

- أتمنى ذلك..

- 18 -

المختار

جمعني لقاء جديد مع آدم بعد يومين من مقابلة سامية، كنت قد حاولت التواصل معه عدة مرات ولكنني كنت أفشل في ذلك، خلال اليومين حاولت الوصول إلى المدعوة سُلاف زوجة الراحل عمار، ولكنني لم أنجح قط في الوصول إليها أيضًا، علمت الكثير عن عمار ذلك المُتطلع إلى المستقبل والمجد والشرف، لم يشهد التحولات الحياتية التي شهدتها سامية، فلم يأتِ من الريف بل هو وليد الطبقة الأرستقراطية، كان والده الفنان شريف ماهر الذي رحلَ ولطالما جمع رحيله شائعاتٍ عن أنه تعرَّض للدفن حًّا، نالت تلك الشائعات ما نالته من الصيت والانتشار في بدايات القرن ولمَّح الكثير أن ابنه من كان وراء تلك الواقعة بمساعدة زوجه أبيه، ولكن لم تكن هناك أي أدلة على تلك الادعاءات وبذلك لن تحظو الكلمات بوصف أكثر من مجرد شائعات، قال آدم:

- حسب ظنك الآن، إن سُلاف عادت إلى غرفة أبي وامتلكت الكتاب من جديد حتى تكمل طقوسه، وهكذا سنسمح لأنفسنا بأن نتهمها بكل ضمير مرتاح بأنها مَن قتلت أبي!

حسنًا انشغالي بكمّ التفاصيل المتاحة لم يجعلني أفكر في موت رمضان عبد الواحد الآن ولكن بدت كلمات آدم منطقية الآن، فأومأت:

- أخشى أنَّك مُحِق!، محتمل أنها من قتلت أباك.

صمت آدم لحظات بعدها هزَّ رأسه نافيًا:

- لا يمكن، لطالما أرادت سُلاف التخلص من الكتاب، هذا مستحيل.

قُلت له:

- سُلاف قامت بتلفيق القضية لنور الدين..

قال آدم:

- بعدما رحلت عنك المرة السابقة تتبعت ذلك الصحفي ورأيت مداخلة هاتفية لك تتحدث عما هو السر الذي دفع نور الدين إلى مكان الحادث حينذاك، وطالبت الجميع بضرورة التحقيق مع نور في اتهام غير مباشر بكونه القاتل، والآن صرت تشكك في الأمر؟!

تذكرت تلك الأحداث وكلماتي التي كان يرتاح قلبي لها حينذاك، ولكنني صرت لا أصدقها الآن، حقًا لا أعلم ما دفع نور الدين إلى ذلك المكان في تلك اللحظات ولكنني أعلم بداخلي أنه ليس متورطًا في قتل هؤلاء الأشخاص على الطريق.

- حسنًا، ومَن قتل والدك إذًا؟!

أجابني آدم:

- محتمل أن يكون نور الدين نفسه مَن فعل، تاريخه ممتلئ بالأحداث الغريبة.

نفيت الأمر سريعًا:

- ما علاقة نور الدين بوالدك أيها الأحمق، آراؤك كلها سخيفة، يجب أن تدلني على مكان سُلاف هذه وندفع بها إلى مكانها الحقيقي، السجن.

قال آدم:

- فكر معي لحظة، نور الدين شخصية تعشق كل ما هو غريب، من لديه الدافع القوي للحصول على كتاب شيطاني مثل هذا سواه، من يريد أن يعود إلى الأضواء وعجز عن ذلك فقرر إقامة العهد مع الشيطان ذاته وبعدما حصل على الكتاب أمره خدَّامُه بضرورة التضيحة بهؤلاء.

قُلت له:

- لا أعلم حدثي لا يخبرني بذلك، ولكن لن أنكر أن لديك نظرية مثيرة للاهتمام.

قال آدم بإصرار:

- يجب أن تعود إلى نور الدين، يجب أن تثبت إدانته لا العكس أنا متأكد أن ذلك الصحفي هو من سرق الكتاب وقتل أبي.

قُلت له:

- حدثني أكثر عن سُلاف، ولماذا تهتم لأمرها بتلك الصورة حتى على حساب قضية أبيك.

قال آدم بملل:

- لن تفهم أي شيء على الإطلاق، أنت لا تدرك ملائكية تلك الإنسانة.

- حتى وإن لم تقتل هؤلاء فهي قتلت غيرهم قربانًا للكتاب.

قال بإصرار:

- ومن لا يفعل إن كان المقابل حياة بناتها؟!

- حدثني عنها أكثر يا صديقي.

فبدأ آدم بسرد ما حدث.

**

علمت مكانها من اللحظة الأولى التي طلب مني مازن فيها البحث عنها، أخبرني مازن أنها سرقت شيئًا يهمه، وأنه مستعدٌ أن يدفع الكثير حتى يصل إليها، ولكنني أكره الاستغباء، أمقت أن أكون بيدق في لوحة شطرنج فاقتربت أكثر منها وعلمت أنها أكثر بكثير من ذلك، حينما رأيتها أمام المقابر سُحرت وفتُنت بجمالها، كنت أعلم أن مازن لم يمنحني الوقت حتى أبلغ عن مكانها بل سيرسل خلفي من يراقبني فلم يكن هناك وقت طويل للتفكير، كان لا بُدَّ لنا من الهرب من المكان قبل فوات الأوان، حدثتني عن طقس شيطاني ما حدث بينها وبين كتاب الموتى وكان ذلك كفيلاً لجذب انتباهي.. وما هي إلا لحظات وكنا بعيدًا عن الأحداث.

**

توقف آدم عن السرد فسألته:

- لماذا صمت؟!

أجابني:

- أخبرتها أنه محال أن تخشى شيئًا وأنا بجانبها، ولكن المرة الأخيرة التي رأيتها كانت في حالة انهيار تام.

سألته:

- ماذا تقصد؟!

فعاد آدم لسرد حكايته من جديد..

**

يومها كنت أعلم أنها لن تتوقف أبدًا حتى تتم الطقس الأخير للكتاب، حدثتني عن ضرورة الاعتناء بطفلتها الباقية في حالة فشلها، أخبرتني أن الشيطان سيأخذ روحها لم تقدم على تنفيذ أمره، لم أنتظر المزيد وأخذت أتتبع هاتفها وانطلقت في الطريق إليها، تعلمت سُلاف منِّي القليل من الحيل في الهروب من المتتبعين ولكنني زرعت فيها ثغرة يمكنني الوصول لها

بسهولة وقتما أشاء، وبالفعل انطلقت خلفها حتى أوقفها عما تنوي فعله، كل ما كنت أظنه حينذاك أنها سترتكب جريمة ما جديدة أو أنها قررت أنها المعاناة وستنتحر وكلامها أسوأ من بعض، وحينما وصلت كان الوقت قد تأخر كثيرًا، وقتها صُلب أحدهم على مفتاح الحياة، كانت قدماه لأعلى ورأسه لأسفل، ومطعونًا في جسده ست طعنات نافذة ينزف من خلالها، كانت تقف أمام جثته المحتضرة وترسمها وهي على وشك الانهيار.

- سُلاف ماذا فعلتِ؟!

أجابتني:

- لم أفعل..

هرولت تجاه الرجل وحاولت تحريره فهبت من مكانها وأخذت سكينًا لا أعلم من أين جاءت به وأخذ تهددني ألا أقترب منه.

- ابتعد.. ابتعد الآن يجب أن يحتضر، دَعه يموت ولا تزيد من سكراته.

ابعتد عنه وقُلت محاولاً تهدئتها:

- ما بك؟!، سيموت!

قالت:

- يجب أن يموت!

صحت فيها:

- هل جننتِ؟!

أجابتني:

- إن لم يحدث الكتاب سيقتلوني أنا وابنتي..

تجاهلت حديثها وشرعت في فك وثاق الرجل ولكن روحه غادرت بين يدي وتخشب جثمانه، نظرت ناحيتها وجدها تظهر زفيرًا طويلاً وعينها تنغمر

بالدموع، هرولت في نهاية الرواق المهجور، كنت أحسبها تهرب فحاولت السعي خلفها ولكنها عادت في الحال حاملة الكتاب بين يدها ألقت به تحت أرجلي صارخة:

- أليس هذا ما تسعى إليه؟!، خذه وامشي..

حاولت الاقتراب منها ولكنها صرخت:

- العهد انتهى، أنا أصبحت حرة، خذ ذلك الكتاب الملعون وارحل من هنا، الخدَّام أخبروني أن كل ما توده مني هو ذلك الكتاب لا أكثر، إنه لك.

**

قُلت لآدم

- ماذا كنت تقصد بقولك ابنتها الباقية؟!

شرد ذهن آدم لحظات وقال:

- ألم أخبرك أن خدَّام الكتاب سلبوا روحَ آيات؟!

- وكم قتلت سلاف قبل تلك الضحية؟

- لا أعلم، كل ضحية سمعت عنها مصلوبة على مفتاح الحياة خلال العامين الآخرين غالبًا سلاف هي من قامت بقتلهم.

- ما هذا الجنون؟!

- إذًا هي تركت الكتاب أخيرًا ولم يعد هناك أي مغزى لتقتل من جديد.

- ألم أخبرك أنها لم تقتل هؤلاء الثلاثة؟!

- هناك شيء خاطئ.. هناك شيء غير مفهوم!، أين ذلك الكتاب بحق الجحيم مَن صار يمتلكه ويقتل الجميع بتلك الصورة؟!

- 19 -

ابن الظلام

فتحت عيني، فكانت الأرض غير الأرض، تلاشى ضيقُ سجن العقرب وزال المذنبون والحراس، كنت متواجدًا بأرضٍ شديدة الاتساع، حصيرة صفراء تمتد إلى ما لا نهاية، أنظر يميني تارة ويساري تارة أخرى ولكن لا إشارة للاتجاهات سوى قرص الشمس وهو يتجه إلى الغروب، تحجر حلقي وصار الظمأ يسحق ما تبقى من روحي، تجاهلت العطش وأخذت أبحث داخلي عمَّا جلبني إلى تلك الأرض الغريبة، أخذت أمشي مع اتجاه الغروب لعلَّني أؤخِّر وقتَ الظلام ولو لدقائق أخرى، رأيت من بعيدٍ عاصفة ترابية تحيط بجيشٍ عَظيمٍ يتقدَّمه أحدُ الفرسان الملثمين القادمين من حقبة زمنية أخرى، يشهر سيفه الملطخ بالدماء في الهواء صائحًا بكلمة من لغة غريبة فهمت من عظم وهول المشهد إنها دعوة إلى الهجوم، نظرت على الجانب الآخر متوقعًا قدوم أحدهم للمواجهة، ولكن لا أحد

يأتي، فبقي السؤال مع أي قوم سيتقاتل هؤلاء، لم يبقَ السؤال داخل ذهني سوى لحظات وتلاشى، أخذت أفكر في السؤال الأهم الآن أين أنا؟! بل محتمل الآن السؤال الأدق، في حقبة زمنية أكون الآن؟!، بسرعة غاصت الشمس في السراب وعم الظلام المكان رحل الجيش بعيدًا وجاءني ذلك الأعور يعتجز على عصا، ارتعد قلبي من تحركاته غير المنطقية وسط الصحراء.

- أين نحن يا شيخ؟!

أجابني:

- كيف لك أن تسمح له بالهروب؟!

كنت أعلم من يقصد بحديثه فتجاهلت الإجابة وسألته:

- في أي عصر نكون؟! وكيف سافرت إلى الماضي؟!

أجابني:

- وماذا يؤكد لك أننا في الماضي؟!

سألته بذعر:

- ماذا تقصد؟!

أجابني:

- إنه الحاضر يا بني، إنها عواقب الهروب.. الحرب بدأت ولن يوقفها أحد، الخريف قادم ونهاية الفصل تقترب يا يوسف.

لم أسمع من كلماته سوى الأخيرة.

- يوسف!، أنا نور..

توقفت عن الإجابة حينما لاحظت أنه محتمل أن يكون محقًا، كانت للمرة الأولى التي أركز فيها أنني لست داخل جسد نور الدين حقًا، كنت داخل جسد أكثر شبابًا وأقل بدانة مني، تراكمت في ذهني عشرات الأسئلة، ولكن الوقت لم يمنحني الفرصة، شعرت أن

الأكسجين يتلاشى من حولي فصرت أختنق، سقطت أرضًا اطلب الاستغاثة من العجوز ولكنه تجاهَلني وأخذ يتحرك مبتعدًا عني وهو يتمتم:

- لم يكن عليك تركه.. لم يكن عليك تركه.

أغمضت عيني وفتحتهما، كانت الأرض قد تبدلت.. كنت هذه المرة داخل جسد أنثوي، نظرت حولي حتى أتعرف على هيئتي الجديدة وأخذت أبحث عن مرآة داخل تلك الغرفة لعلّني أتعرف على تلك السيدة التي انتقلت إليها، وجدتها في نهاية الغرفة نظرت لانعكاسي كنت على يقين تلك المرة أنني لست في الحاضر، كانت السيدة ترتدي ملابس يعود تاريخها للعصر الفيكتوري، ولكن بدا هناك شيء مريبٌ في انعكاسي أخذت أنظر بتعمق أكثر لاحظت أنيابي طويلة بعض الشيء تشبه الشكل التخيلي لمصاصين الدماء، لمعَ أحدُ أنيابي ونظرت إلى عيون انعكاسي الأنثوي وبشرتي البيضاء النقية، تأمل خصلات شعري الشقراء الناعمة، ولكنني شعرت في البداية أن الانعكاس أصدر حركةً غير اعتيادية لي، فزع قلبي ودققت النظر أكثر

وتأكدت أن الانعكاس يصدر حركاتٍ مختلفة عني فقُلت:

- مَن تكون؟!

ضحكت الفتاة داخل المرآة وأجابتني:

- أظن أنه من الواجب أنا مَن أسأل ذلك؟!

أجابتني:

- أنت صورتي في المرآة، وانعاكسي صار يتصرف بشكل غريب بل ويتحدث معي!، هل تتصور الأمر؟!

صعقني حديثُها، نظرت حولي لم أجد شيئًا غريبًا يؤكد أو ينفي الأمر فقُلت لها مؤكدة:

- لا يمكن أن أكون أنا انعكاس داخل المرآة، كل شيء واقعي جدًّا حولي.

صمت الفتاة وتحركت مبتعدة عن المرآة، اقتربت منها أراقب ما تفعل فوجدتها تحرك أحد الكراسي وهي

تشير إلى الكرسي ذاته في عالمي؛ فنظرت له فوجده يتحرك من تلقاء نفسه..

- أرأيت؟!

اتسعت حدقتا عيني وأنا أتأكد أنني انعكاس داخل المرآة، فقلت لها بسرعة:

- من نكون وفي أي عصر نحن؟!

اقتربت من المرآة مرة أخرى، وكادت أن تجيبني ولكنها صرخت قائلة:

- إنه بجانبك!، إنه بجانبك..

أخذت تبتعد وهي تكرر الكلمات نفسها، نظرت حولي ولكنني لم أجد أي شيء على الإطلاق.

- ماذا تقصدين؟!

وجده يخرج من المرآة من جانبها، كان ملثمًا يحمل خنجرًا في يده، الملابس تغطي كامل جسده ولكنني

شعرت أنه نفس الشخصية التي رأيتها تتقدم الجيش شاهرًا سيفه وأنا داخل جسد يوسف، حاولت السيدة الهروب من المكان، ولكنه لحق بها وأمسكها من مؤخرة رقبتها وما هي إلا لحظات حتى وضع خنجره في منتصف ظهرها ثم نظر لي بطرف عينه وأخذ يذوب في الهواء بينما سقطت هي في أرضًا صرخت فيها:

- مَن تكونين؟!، من نكون؟!

أجابتني:

- فيكتوريا.

تبدلت الأرض من جديد ورحلت عن جسد السيدة وصرت هذه المرة بجسد أحد المقيدين بالأغلال داخل زنزانة صغيرة لا تحتوي على شيء سوى باب معدني ذي نافذة ممتلئة بالقضبان، كانت سلاسل الثوم معلَّقة في كل مكان بالغرفة، لم يكن هناك أي مرآة أحاول النظر لها، ولكنني لم اعد أهتم بذلك فحتى حينما

أتأمل ملامح الشخصية في المرآة لا يزداد الأمر سوى غموضٍ، همست داخلي كأنني أخاطب الجسد:

- مَن تكون هذه المرة؟!

ضحك الجسد بدون أي رغبة مني في ذلك، ضحك كأنه سمع همهمتي، لم يُجِب وظلَّ يحاول التحرر من الأغلال، عاد إلى صرخاته وآلامه، كان يتألم يعاني ولكني بالبرغم من وجودي داخله إلا أنني كنت لا أشعر بتلك المعاناة، أخذت أنظر بعينيه إلى كل ما يحيط بنا، فوجدت الخنجر ذاته ملقى على الأرض في نهاية الغرفة، فعلمت أنه من المحتمل أن يكون ذلك الشخص هو الفارس في عصر يوسف والقاتل في عصر السيدة، صرخ الرجل من جديد ثم سحب الأغلال بقوة فتمزق إحداها، سحب الخنجر بسرعة ونظر إلى السقف صارخًا كأنه يبثُّ الحماس داخله ثم أشهر الخنجر في الهواء وطعنَ به نفسه، بمجرد أن اخترق النصل جسده تحررت أنا من الجسد، وكنت كالطيف يقف أمامه، ظننته لا يراني، ولكن حدقات عينيه المتألمتين المحتضرتين كانتا تتبعان حركتي همهمت له:

- مَن تكون؟!

أجابني:

- فارس.. الخريف!

سألته من جديد عما يكون فارس الخريف هذا ويذكر أنني سمعت ذلك الاسم سابقًا أمام الجثث المعلقة على مفاتيح الحياة، حينما همست سُلاف حين ذالك باسمه، ولكن لم يُجِبني وفاضت روحه وتخشب جثمانه.

في التجسيد اللاحق كنت داخل جسد ريتشارد أمير، لم يكن هناك أيٌّ رابطٍ منطقي بين الانتقالات السابقة وبين كوني الآن أسير ذلك الصحفي البائس، كان ريتشارد يجري في اللا شيء على حافة ماء راكدة بمكان ما ناءٍ وبعيد ثم اقترب من أحدهم ودفع به في المياه وظلَّ يراقبه حتى توارى تمامًا، أما في التجسيد التالي كنت داخل جسد أحدهم، رمقت الانعكاس في المرآة فعلمت أنه الإعلامي الراحل رمضان عبد الواحد، رأيته يبكي، يتألم وهو يقرأ عبارات بدَثْ غير مفهومة

لي عن دين يجب تسديده وإلا لحقت اللعنة بالجميع، قال الرجل -وأخشى أنه لا يخاطب شيء سوى الكتاب نفسه-:

- ما تطلبونه الآن مستحيل تنفيذه.

أخذت كلماتٌ تظهر على صفحة الكتاب، كنت مذهولاً مما أراه، ظهرت عبارة:

"إذًا لنعيد كل شيء كما كان مرجح حدوثه، سنبدأ من عند ابنك!"

قبض الرجل كلتا يديه بعصبية وأطاح بإحداهما كل شيء على الطاولة قائلاً:

- لن أسمح لكم بذلك أبدًا.. لن أسمح لكم.

ارتعشت الصورة أمام عينيّ، وصرت أنسحب من حضوري وأنغمس داخل حالة من الهذيان، أحاول التركيز بشدة ولكن عقلي يأبى الانصياع لي وما هي إلا لحظات حتى كنت داخل جسدي الحقيقي بالزنزانة،

فتحت عيني وما زالت أنفاسي متلاحقة وقلبي يكاد يغادر صدري، انجذب أحد المساجين ناحيتي وكاد أن يسألني عمّا رأيته في منامي بفضولٍ، ولكنني تجاهلته واصطنعت النوم فرحل عني بهدوءٍ.

لم أغفل عن الواقع سوى لحظاتٍ وفتح الزنزانة أحد العساكر ونادى باسمي وأعلن أن ذلك الصحفي قاصد ريتشارد قد جاء لزيارتي من جديد، نهض مسرعًا وتحركت معه، كنت أكاد أن أسبقه إلى هناك، وفور أن رأيته رحبت به بحرارة:

- لم أتوقع قدومك إليَّ بتلك السرعة، أتمنى أنك وجدت حلاً أو على الأقل وصلت إلى سُلاف..

صمتُّ لحظات فعلمت أنه لم يحاول التحرك في تخليصي من تلك القضية فشرعت في الصياح فيه ولكنه أوقفني بكلماته:

- آدم يظن أنك قتلت والده!

لم أفهم كلماته فحسبته يهذي، سألته:

- ومن يكون آدم ومن يكون والده؟!

شرد ذهنه لحظات كأنه لم يكن مقتنعًا بحديثه، وقال:

- آدم.. آدم ابن رمضان عبد الواحد، ذلك الإعلامي...

همهمت قائلاً:

- حسنًا، أظن ذلك مألوفًا لي..

سألني بتردد:

- إذًا أهو مُحِقٌّ في ادعائه؟!

أجبته بثقة:

- لا، أنا لم أقتله بكل تأكيد ولكنني رأيت ذلك بطريقة ما، طريقة ما زالت لم افهمها بعد

سألني في فضول:

- وماذا رأيت؟!

شرد ذهني لحظات أتطلع فيها إلى الأحلام، أعصر رأسي عصرًا حتى أتأكد أنني لا لم أنسَ أيَّ تفاصيل داخلية.

- لا أعلم، أظنني رأيت ذلك الإعلامي ليلة مقتله، كان يطالع شيئًا ما ولكنه كان غاضبًا بقوة، أظنه تلقَّى تهديدًا بخصوص ابنه وقرر عدم السماح بذلك مهما كلفه الأمر:

قال ريتشارد بثقة هذه المرة:

- أنت سرقت الكتاب وقتلت رمضان عبد الواحد!

صحت فيه مدافعًا عن نفسي:

- ما تقوله غير صحيح..

تساءل ريتشارد مرتابًا:

- إذًا كيف تعلم كل هذا؟!

أجبته وأنا أتذكر تفاصيل جديدة من الأحلام، تفاصيل تتعلق بريتشارد نفسه:

- ليس هذا وحسب، أنا رأيت أشياء عدة، أشياء مختلفة ما زلت لا أفهم الرابط بينها..

قال ريتشارد غير مهتم:

- كفى هراء.

قُلت له:

- حتى جزء منها يخصك!

نهض ريتشارد من مكانه وشرع في الرحيل مصطنعًا عدم الاهتمام:

- أنا راحل.

سألته:

- ألا تود أن تعلم؟

ولكنه تجاهلني..

- أنا راحل..

قُلت له..

- رأيتك تدفع بأحدهم في الماء.. رأيتك تقتل!

نظر لي مصعوقًا من كلماتي وقال:

- أنت مجنون!

رحل ريتشارد عن المكان فصحت فيه:

- وأنت تخفي شيئًا ما..

- 20 -

الهاكر

عدت من جديد إلى غرفة أبي وشرعت في البحث داخل ملفاته الخاصة، هذه المرة استخدمت كافة التقنيات التي أعلمها ونجحت في إزالة الستار على ما يخبئه أبي، كلما استغرفت في البحث أكثر داخل ملفات أبي أجد في نهايته كلمات عن شخص يدعى حمزة!، كلما بحثت ودققت النظر لا أجد سوى ذلك الاسم في النهاية، لا أعلم مَن يكون حمزة وكيف نال اهتمام أبي بتلك الصورة، لم أجد لذلك الشخص أي حسابات شخصية على الإنترنت ولكن ما زال البحث عنه جاريًا..

**

حمزة، أعلم أنك رأيت الكثير في حياتك، سامحني أرجوك!

خاطرة داخل أوراق خاصة برمضان عبد الواحد.

**

آدم ما زال يتلاعب بالقانون كل يوم، لا أعلم إلى متى ستقدر نفوذي بالتنظيف خلفه!، يا ليتك هنا يا حمزة لعلك ترشدني إلى ما هو صالح.

خاطرة داخل أوراق خاصة برمضان عبد الواحد.

**

قررت الاستقالة يا صديقي، أعتقد أنني سأشرع في زيارتك قريبًا جدًّا داخل قرية طاحب المنسية البعيدة.

خاطرة داخل أوراق خاصة برمضان عبد الواحد.

**

لا أصل إلى حقيقة مطلقة عن حمزة ولا طبيعة علاقته بأبي، ولكنني صرت متأكدًا من أمرين؛ كليهما خطير، الأول أن ذلك المدعو حمزة محتمل أنه نال من ثقة أبي ما لم أنَله أنا ولا أختي، والحقيقة الثانية أنني توصلت إلى عنوان حمزة، يعيش ذلك الغريب بعيدًا

جدًّا، داخل إحدى القرى التي لم أسمع عنها من قبل، يعيش حمزة بقرية طاحب!

وهنا تذكرت صيحات حامد منصور المحامي الشهير في أحد البرامج الإعلامية بعدما قام أبي استفزازه إعلاميًّا فردَّ صارخًا:

- قبل أن تنال من سمعتي وكرامتي تذكَّر ابنك الهاكر المجرم، أقسم لك يا رمضان عبد الواحد إن ذكرتني مرة أخرى في حديثك.. سأنال منك وسأزيل الستار عمَّا تخبئه داخل قرية طاحب..

حاولت البحث عن حامد منصور لعلَّني أصل إلى أي وسيلة تواصل معه حتى أفهم ماذا كان يعلم عن أبي وهدَّد الإفصاح به وكانت النتيجة صادمة؛ مقتل المحامي حامد منصور ورجل الأعمال مدحت عبد العاطي الشويري والفنان يوسف بكر صلبًا بالقرب من مدينة طاحب!

ما معنى هذا الكلام؟!

يا الله.. ما الذي يحدث!

قرأت كلمات أخيرة لأبي داخل خواطره تشير إلى حمزة من جديد.

**

أتمنى أن تحافظ على تلك الأمانة يا حمزة، حفظك الله

خاطرة داخل أوراق خاصة برمضان عبد الواحد.

**

أظن أن الأمور ضاقت ولا مجال للبحث عن حقيقة حمزة سوى بسؤال حمزة شخصيًا، أنا قررت السفر حيث جاءنا ريتشارد، يا لها من صدفة، قررت السفر إلى طاحب.

مَن تكون يا حمزة بحق الجحيم؟!

- 21 -

الهاكر

وصلت أخيرًا إلى المكان المنشود، وصلت وبداخلي عشرات التساؤلات عن كينونة ذاك الشخص الذي طالما تحدَّث عنه رمضان عبد الواحد في ملاحظاته المدوَّنة، طرقت الباب ففُتِح سريعًا من سيدة في منتصف الثلاثينيات عمرها، تساءلَث عمن أكون فأجبتها مُعرِّفًا بنفسي فرحبت بي في الحال وعرضت عليّ الدخول بسرعة ولهفة كأنها كانت تنتظرني تساءلت:

- هل تعرفينني؟!

أجابت السيدة في الحال:

- سمعت عنك الكثير.

أومأت متوقعًا عمن يكون مصدر تلك المعلومات، فقلت:

- إنه رمضان عبد الواحد بكل تأكيد.

قالت السيدة في آسف:

- رحمه الله، كان أفضل الرجال وأكرمهم.

عرضت السيدة عليّ الجلوس في صالون البيت، فأتبعتها بدون ردٍّ وعقلي شاردٌ في عشرات األافكار كأنه يحاول إيجاد أي ثغرة لربط تلك الأحداث ببعضها البعض، ولكن أفكاري تأبى الانصياع لي فلم أجد أي مصفوفة منطقية يمكنني أن أرتب فيها كل ما يحدث، كأنني أفقد أمرًا ما، ينقصني حلقة مفقودة إن وجدتها سأتمكن بسهولة في فهم كل شيء يدور حولي، كدت أن أتساءل ولكن السيدة قاطعتني قبل أن أفعل:

- أعلم أن بداخلك الكثير من التساؤلات، رمضان قال لي ذلك.. لا عليك، كل شيء ستفهمه في وقته، الآن يجب أن تتقابل مع حمزة، أنت بالتأكيد تشتاق له.

قلت مرتابًا متوقعًا الإجابة:

- ومَن يكون حمزة وما علاقته بأبي؟!

أومأت السيدة باسمة:

- حسنًا، أنت ما زلتَ عالقًا في منتصف الطريق، أظن أن أفضل من يجيبك عن ذلك السؤال هو حمزة نفسه.

لم تمنحني السيدة الفرصة للمزيد من الأحاديث وسحبت يدي نحو إحدى الغرف فوجدت نفسي أمام مراهق في أواخر عقده الثاني، كان حمزة ضخم الجثة يمتلك حدقتين زرقاوين مميزتين وطابع حسن مميز في منتصف ذقنه، له بشرة شديدة البياض وصلعٌ يتفشى في رأسه بشكلٍ لا يتلائم مع سنوات عمره، لم يُعِر حمزة أيَّ اهتمام لإقحامي غرفة، بل ظلَّ جالسًا أمام لوحته مستغرقًا في التركيز فيما يرسم، حاولت أن أسأل السيدة من جديدٍ، ولكنها أسرعت في الرحيل عن المكان وسمعت الباب يُغلَق خلفها فلم أجد أيَّ مفر سوى التحدث مع ذلك المراهق الشارد..

- ما زلت لا أفهم، كلما استغرقت في البحث داخل ملفات أبي وجدتك في نهاية الطريق، حمزة.. لا أذكر أنني سمعت عنك من قبل، لم يذكرك أبي طوال حياته حتى ولو بكلمة وحيدة، أخشى أنه عليّ الاعتراف أنني مصدوم من عمرك، توقعت –كما تعلم- أنني سأجد هنا رجلاً قد تخطى العقد السادس أو السابع ولكن أنت.. من تكون بحق الجحيم؟!

لم يجِبني حمزة وظلت عيناه معلقتين باللوحة، فكررت السؤال بصوت أكثر حدة:

- مَن تكون أخبرني؟!

أجابني حمزة بلسان مرتعش متلعثم بدون أن ينظر لي:

- أنا اسمي حمزة.

أومأت بعدما بدأت أرى ملامح أولية عن تأخُّر عقلي يمر به ذلك المراهق، فتساءلت بصوت أكثر وضوحًا وكلمات أكثر تفسيرًا:

- ما هي علاقتك برمضان عبد الواحد بالضبط؟!

استمر شرودُ ذهن الفتى فكررت سؤالي مرة أخرى حتى نال قسطًا من تركيز حمزة فردَّ بتلعثم:

- رمضان..

حاول حمزة الاسترسال ولكن تلعثمه جعله يتوقف عن الإجابة وظلَّ مستمرًا في استئناف رسمته، فقلت برفق وأنا أقترب منه:

- هيًا أخبرني ما هي علاقتك برمضان عبد الواحد؟

نظر حمزة إلى للمرة الأولى وقال:

- رمضان.. أبي.

فقدت أعصابي وصحت فيه قائلاً:

- أبوك؟!، كيف!

لم يتأثر حمزة بنبرة صوتي وعاد يكمل رسمه وهو يقول بثقة ولسان أقل تلعثمًا:

- أنت آدم.. آدم الفاشل.

ظللت في حالة من الصدمة والإنكار، كنت لا أفهم كلمات ذلك المراهق،كنت لا أصدق أن أبي جلب لذلك العالم ذلك الفتى المتلعثم، بعد مرور فترة من الوقت ساد الصمت فيها، تقربت من جديد ناحية أخي وقُلت له وأنا أربت بيدي على كتفه:

- حمزة، أخبرني من تكون أمك؟!

اشقعر جسد الفتى وانتفض مبتعدًا عني فأزلت يدي عن كتفه معتذرًا فقال حمزة بلسان قلق:

- أمي ماتت.

أومأت وتساءلت مرة أخرى:

- ومَن تكون تلك السيدة التي قابلتها؟!

أجابني حمزة:

- هالة.. المعلمة!

قُلت له:

- حسنًا، لا أعلم كيف يمكنني التفاهم معك، ولكن لا أعلم، أبي يصر أنني لن أجد الكتاب سوى عن طريقك.. أتعلم أين كتاب الموتى؟!

لم يجِبني حمزة في البداية وتشتت ذهني فكررت السؤال مرة أخرى فهمهم الفتى بشكل غير إرادي قائلاً:

- الموتى.. الموتى.. الموتى.

اقتربت من أذن حمزة أكثر وتساءلت بشكل مختلف وأوضح:

- هل تبدو أي كلمة من كلماتي مألوفة لك؟!

ضاقت حدقتا الفتى وأجابني:

- خلف الموتى.

ضحكت بيأس وتراجعت إلى الخلف متسائلاً بملل:

- ماذا تقول بحق الجحيم؟!

نظر حمزة ناحيتي وقال:

- أنت آدم الفاشل.. أخي الحي.

صحت فيه صارخًا:

- أنا لا افهمك، أين الكتاب؟!

انتفض جسد حمزة في خوف، واخذ يضرب رأسه بكلتا كفيه صارخًا، فهرولت ناحيته محاولا تهدئته ومرت لحظات اشبه بالدهور وأنا أمر بخليط من المشاعر لم اتمكن من تفسيرها، خليط يجمع بين الشفقة والعطف والحقد والقلق وغيرها الكثير، بعد دقائق سكنت حالة حمزة وتساءلت بصوت أقل هادئ عطوف..

- أتعلم من قتل ابينا يا حمزة؟!

ابتلع حمزة لعابه وسكنت رجفه جسده وقال

- لم يُقتل.. رمضان لم يُقتل

اعترض على حديث اخيه قائلاً

- ابوك سمع معزوفة الشيطان ومات بسببها

رد حمزة..

- تارتيني لم يقتل رمضان، لم تكن معزوفة تارتيني بل معزوفة آدم الفاشل

وقد كانت تلك الكلمات هي ما كنت انتظرها، أخيرًا وجدت الحلقة المفقودة، أخذت صور وذكريات عديدة تترتب أمام عيوني، وبدأت في رسم الحكاية داخل عقلي بالترتيب المنطقي لها

آدم حصل على الكتاب من سُلاف ولم يقم بتسليمه إل مازن الحسيني كما كان منتظرًا.

فقام مازن الحسيني بأرسال قيس حتى يغتال آدم ولكن حدث أمرًا ما جعلت المعزوفة تصل إلى رمضان عبد الواحد نفسه ورحل بسببها

- أنا من كان المقصود!

هممت بها، تسارعت دقات قلبي ذعرًا وخوفًا وألمًا افكر في الامر، أرى نفسي أمام عيوني لو كنت سمعت المعزوفة بدلاً من أبي لكنت رحلت الآن في سلام ولن يجد أحد القاتل أبدًا وسيبقى المتهم الوحيد هو هبوط الحاد في الدورة الدموية ثم فكرت في أبي الذي رحل بدون ذنب، رحل عن طريق الخطأ كأن القدر يمنحني فرصة ثانية للحياة وكان قربانها ابي، اضفت

- انت كنت محقًا، كانت معزوفتي.. المعزوفة كنت أنا المقصود بها وليس ابي!، انها معزوفة آدم الفاشل فعلاً، أنت محق يا حمزة..

قال حمزة

- آدم فاشل..

قال آدم بثقة

- ابي تلقى الاغتيال بدلاً عني، ابانا قتل بالخطأ

كرر حمزة كلماته بشكل معتاد

- ابانا لم يقتل.. ابانا لم يقتل، تضحية

تسائل آدم

- ماذا تقصد؟!

فرد حمزة..

- آدم فاشل.. آدم فاشل لا يفهم أي شيء

طُرق الباب من جديد توقعت أنها قد تكون المعلمة نفسها، لكنني لم أكن أفهم مَن تنتظره ليفتح لها، نظرت إلى حمزة ولكنه كان شاردًا للذهن تمامًا فزفرت زفيرًا طويلاً وقُمت بفتح الباب وكانت المفاجأة؛ حينما رأيت أختي ريم تقف أمامي همهمت مصعوقًا:

- لا يمكن، إنكم تمزحون معي؟!، ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟!

قالت ريم وهي تتوقع تمامًا وقوفي أمامها:

- أخيرًا وصلت يا آدم..

قُلت لها بصوت حاد:

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟!، أخبريني؟!

دخلت نحو البيت وتحركت بتلقائية شديدة ناحية غرفة حمزة، طبعت بشفتيها على جبينه، فتساءلت من جديد:

- لماذا أنتِ صامتة هكذا؟!

نظرت لي وقالت:

- إنها كانت وصية أبينا..

شرد ذهني قائلاً:

- أنا لا أفهم أي شيء على الإطلاق!، أكنت على عِلمٍ طوال الوقت أن حمزة أخونا؟!

كادت أن ترد ولكنني أوقفتها حتى لا تشتتني عن سيل الذكريات الذي تدفق أمامي حينذاك.

- مهلاً..

**

- كفى عبثًا في الماضي، أبونا مات بسبب هبوطٍ حادٍ في الدورة الدموية لا أكثر يا أخي..

- بعد كل ما أخبرتك به وما زلتِ تعتقدين أنه مات بسبب هبوط ملعون في الدورة الدموية، سحقًا لكِ؟!

**

نظرت إلى أختي وسألتها وأنا أظنني أعلم الإجابة:

- لماذا كنتِ تصرين على أن والدنا لم يَمت سوى بالهبوط الحاد في الدورة الدموية رغم أن كل الأدلة

المحيطة كانت تقول عكس ذلك؟!

ظلت واقفة تتأملني وهي تفكر في الإجابة وحمزة ينظر إلى كلينا، فقُلت:

- أنتِ كنتِ تعلمين عن أبي أكثر من أي إنسان، ماذا تعلمين أكثر يا أختي عن أبينا، كنتِ ترينا نبحث في كل مكان عن أي معلومات تفيد القضية وأسرارها كلها معكِ؟!

نظرت أختي إلى الأرض في يأس وقالت:

- لأن والدنا لم يُقتل بل قدَّم روحه قربانًا فداءً لروحك.

لم أفهم كلماتها حقَّ الفَهم، فتساءلت عن المزيد وطلبت أن تكون كلماتُها مباشرة أكثر فقد سئمت الحديث بالألغاز، فقالت:

- ضحَّى بنفسه من أجلك يا أخي، أبونا هو من قرر أن يسمع لحن الشيطان بنفسه..

- تركتِ أبانا يقتل نفسه!

- لم أعلم إلا متأخرًا جدًّا، لم أعلم إلا وطوفان السعادة يهلك أعضاءه الداخلية.

كان للكلمات وقع الصاعقة داخل صدري، ولكنها بدَتْ منطقية جدًّا، كانت تلك هي الحلقة المفقودة التي ترتب معها كل شيء أمام عينيّ، فلم يعد هنالك أيُّ ألغازٍ للقضية..

- ولماذا لم تخبريني؟!

أجابتني:

- كان يعتقد أن هذا هو الأفضل للجميع، كان يعلم أن انخراطك مع هؤلاء لن يجلب لك سوى الموت، وبالفعل بمجرد التقرب من مازن الحسيني كنت على وشك الموت بمعزوفة الشيطان.

**

- حتى وإن كانت سُلاف هي من سرقت الكتاب، كيف تمكنت من الدخول البيت والخروج منه بدون أن يراها أحد..

- سُلاف باعت روحها للشيطان يا آدم..

**

همهمت وقد وضحت الصورة أمامي، علمت إجابة واحدة عن أغرب الأسئلة التي كانت تحيرني وتحير ريتشارد في تفسير الألغاز الموجودة، كان الحال دومًا أمام عينيّ، كنا دومًا نبحث عمَّن تمكن من الدخول إلى البيت وسرقة الكتاب، كنا نبحث ذلك الساحر الذي تمكن من خداعي أنا وأختي وانسل من بيننا ولكنني علمت الآن أن ذلك المتسلل المفقود هي أختي نفسها.

- طوال الوقت كان ما يحيرني كيف تم سرقة الكتاب من داخل البيت، كيف انسل أحدهم بيننا بدون أن نراه، وطوال الوقت كانت الإجابة أمام عيني..

قاطعتني قائلة:

- أنت محق، أنا من أخذت كتاب الموتى ومنحته لحمزة كما وصى أبونا.

بمجرد أن نطقت بعبارة كتاب الموتى أخذ حمزة يكررها بشكل هيستيري مجنون:

- خلف الأموات.. خلف الأموات.

كانت كلماته تزيد من حدة عصبيتي وغضبي فصرخت فيه:

- كفى كلماتك الحمقاء تلك..

قالت أختي بيأس:

- أنت تريد الكتاب؟ حسنًا! فهو لك.

قُلت بعصيبة وأنا أشرع في الرحيل عن المكان:

- لا أريد أي شيء على الإطلاق، لا أريد أن أراكم مجددًا..

حاولَتْ أختي إيقافي، ولكنني لم أنصت لها أبدًا..

- آدم..

- 22 -

ابن الظلام

وحدث ما لم أكن أتخيَّله ذات يوم على الإطلاق، جمعتني الأغلال مع أحد أشد العناصر الإرهابية خطرًا، كان يرتدي الأحمر ويتم ترحيله لتنفيذ حكم الإعدام حسب ما فهمت، أخذت أنظر له وأنا أتأمل عما سيئول له حالي إن لم أجد حلاً لتلك القضية وتمكنت من كشف أسرارها للجميع، كانت عربة الشرطة قد غادرت المنطقة ذات الكثافة السكانية العالية وأخذت تشق طريقها عبر الطريق الصحراوي وكانت تلك اللحظة الحاسمة التي حدث فيها الصدام القوي، لا أذكر أي شيء على الإطلاق منذ تلك اللحظة سوى ومضات غير مفهومة، أو محتمل أنني أفهم قدر منها ولكنني لم أحاول التطلع أكثر فيها حتى لا يزداد الفضول، فلن انسى أبدًا أن كل ما دفعني لذلك المأزق هو الفضول، الفضول وحده، انقلبت السيارة على جانبيها وانطلقت طلقات الرصاص في المكان، كان الهاجس المسيطر

على افكاري في تلك اللحظة انها محاولة اخيرة بائسة من ذلك الارهابي للهروب والافلات من التأرجح على حبال الموت، كنت أعلم انه سيفشل حركات الجنود والضباط في الخارج تدل على أن الأمر لن ينتهي لصالحه أبدًا ولكن فجأة أخذت تتساقط جثث الضباط بجانب الجنود وسط بحيرات صغيرة من الدماء، يا إلهي ما الذي يحدث بحق الجحيم هنا؟!

فُتح الباب وظهرت تلك الفتاة من جديد، كان اسمها فجر تقابلت معها ذات ليلة مشئومة، ولكن الحياة دفعتها دفعًا إلى أن تخدم الشيطان ذاته حرفيًا، يومها حاوَلتُ تحرير استعادة أحد كائنات الظلام من الأَسْر فحاولت بشدة منعها حتى حدثَ التصادم بيننا بقوة وآلت الأمور إلى احداث أكثر سوداوية لا سبيل لذكرها هنا محتمل أن أكتب عنها ذات يوم، نظرت لي بحدقتيها المختلفتين كثيرًا عنّا، حيث استحال البياض منها وعم الظلمة فيها بشكل مرعب، قال السجين الآخر مصعوقًا:

- إلهي ارحم أرواحنا.

ألقت فجر بمفاتيح الأغلال تحت أقدامنا، ظللت أنا والسجين ننظر لها في ذهول من الموقف والسجين ينظر حوله لكمّ القتلى في كل مكان ولكنه سرعان ما تخلص من دهشته وأخذ يفكر بشكل عملي أكثر، وأخذ المفاتيح في لهفة شارعًا في إزالة أغلالنا قائلاً:

- يا الله، يا الله كم أنت عظيمًا!، أرسلت لنا ملاكًا للتحرير، كنت أعلم أنك لن تتركنا نُقتل على أيدي هؤلاء.

قُلت له وأنا انظر إلى عيني فجر:

- ألا تظن أنها أكثر قبحًا على أن تكون ملاكًا من الله؟!

قال الإرهابي وهو ما زال يزيل القيود:

- استغفر ربك يا فتى، نظرتنا للجمال مختلفة.. هي الأجمل بكل تأكيد.

قُلت ساخرًا:

- إما أنك غبي أو تدعى الغباء، تلك الفتاة هي الشيطان ذاته.

ألقى بالأغلال بعيدًا وقال:

- حسنًا؟!.. الله سخر لنا الشيطان حتى نهرب من أيدي هؤلاء.

تساءلت:

- كيف؟

ولكن قاطعني وهو يرحل عن المكان.

- لا مزيد من الحديث يا فتى، أنا راحل..

أمام السيارة وقف ونظر لي مضيفًا:

- طالما كنت من أشد المتابعين لك يا فتى، كنت أحسبك مخادعًا أفّاق تختلق حكاياتك، ولكن من الواضح هنا أنك أعمق بكثير من ذلك، لا تخسر علاقاتك مع هؤلاء.. أنا مدين لك بروحي.

أخذ السجين يجري ويشق الصحراء مبتعدًا عن منطقة الصدام، وقفت أنظر إلى فجر فتحركت نحوي، تأملت بروز عظامها بكامل جسدها، كانت ترتدي قميصًا من اللون الأبيض ملطخًا بالكامل بالدماء، تلاشى منظر عينيها الغريب وعادت طبيعية أكثر وقالت بصوت هادئ:

- العظيم يرى أن لا أحد يمكنه إثبات براءتك سواك!

صحت فيها صارخًا:

- ذلك الحقير هو من تسبَّب في تلك المعضلة من البداية، لولا همساته داخل أذني ما كان حدث كل هذا.

نظرت بعيدًا تراقب الحركة الخارجية فقالت وهي تنهي الحديث:

- لا يهم الآن تلك التفاصيل..

قُلت لها وأنا أشير نحو السجين قبل أن يتوارى تمامًا عن الأنظار:

- حسنًا، لم يكن عليك السماح لذلك الإرهابي بالهروب.

لم تنظر ناحيته وقالت:

- لا بُدَّ من كبش فداء يتحمَّل على عاتقه تلك الجثث في الخارج.

سألتها:

- لا أفهم، ماذا تقصدين؟

أجابتني فجر:

- سينقل الإعلام اليوم أن الجماعات الإرهابية هي من تسببت في هروبه وهذا سيسهل الأمر عليك كثيرًا حينما تقوم بتسليم نفسك.

سألتها مرة أخرى:

- وهل سأفعل؟!

أجابتني ساخرة:

- بالتأكيد، بعدما تجد دليل براءتك.

أومأت، بالرغم من كل حدث الآن إلا أنها كانت تملك منطقًا وأفكارًا مُرتَّبة للخروج من ذلك المأزق.

- أنتِ مُحقة.. أنتِ محقة.

قالت فجر:

- 'إها ليست أفكاري.

ضحكت بألم قائلاً:

- أعلم، إنها أفكار..

قاطعتني حتى لا أسبه، وقالت بصوت تحذرني به:

- العظيم.. أفكار العظيم.

أومأت.. رحلنا عن المكان، تركتني فجر عند نقطة ما في الطريق وتلاشت في الهواء سألتها إن كنا سنتقابل من جديد وأجابتني أن تطلب الأمر ذلك، ثم طلبت

مني البحث عن مصدر للثقة والتواري عدة أيام بعيدًا عن الأنظار حتى تهدأ الأمور وأبدأ في التحرك لإثبات البراءة، وأخبرتني أن حل المعضلة كله سيكون عند سُلاف، لم أكن أحتاج للفت الانتباه ذلك، لم يعد لدي أي شك في أن سُلاف هي من قتلت هؤلاء وعلقتهم على مفاتيح الحياة وحاولت تلفيق القضية لي بالكامل ولكن أين يمكنني أن أجد تلك المجنونة الآن؟!

إلهي، أعلم أنك غاضب مني، ولكن أرجوك ساعدني!

- 23 -

المختار

بدأت مؤخرًا الشعور بنبرة شامية تحيط بي من كل الجوانب، كنت أشعر أن القاتل قيس عاد من جديد يدبر لي مكيدة ما، بالتأكيد لن أصبر حتى يقوم بتعذيبي كما فعل مع عيسى المصري قبل أن يقتله، فذلك الشامي لم يقترب من أحدهم إلا وأسقطه قتيلاً بطريقة ما، ما زلت لا أفهم إلى أي جانب يلعب قيس فذلك الملعون لا محرك له سوى الأموال ولا أعلم إلى الآن من يدفع له أكثر من بعد مازن الحسيني، ساعدني الرب كثيرًا في الإيقاع به داخل مصيدة وبالفعل أصبح القاتل مقيدًا أمامي، في البداية فكرت في صلبه ولكنني لم أرد أي طريقة قتل أو تعذيب نبيلة تغفر من ذنوبه، خُلِقَت جهنم من أجل هؤلاء القتلة المجرمين، أشعلت بعضًا من الفحم في جانب الغرفة ثم ألقيت بدلوِ ماءٍ حتى يعود القاتل إلى وعيه، فتح عينيه

ولكنه ما زال متأثرًا بالضربة التي تلقاها على مؤخرة رأسه، قال وهو يتدارك الموقف من حوله:

- أنت ملعون!

ابتسمت ساخرًا منه فقال قيس بصوته المتألم اليائس

- فك وثاقي يا أخي، لا تدع الشيطان يتحكم بك بتلك الصورة..

أمسكته من شعره بعنف وهمست في أذنه:

- أنت تعلم أين خاتمي، أنا متأكد من ذلك، أنت من يحاول تشتيت أفكاري وقيادتي إلى الجنون.

قال قيس مستهزئًا مني:

- أخبرتك أنني لا أعلم مكانه، كيف يضع الرب سره العظيم في أيدي قاتل مأجور!

- للرب حسابات أخرى..

قال قيس:

- إذًا تلك هي مشكلتك معه، فك وثاقي أرجوك يجب ألا يغفل آدم عن نظري طويلاً، أشعر أن ذلك الهاكر صار يقترب كثيرًا من الكتاب.

في تلك اللحظة تذكرت كلمات مازن الحسيني في آخر زيارة جمعتنا سويًّا.

**

- صدقًا لا أعلم تحديدًا أين خاتمك!

**

- مازن، أرجوك أين الخاتم؟!، أرجوك.. هذا الخاتم يعود لما هو أقوى منّي ومنك، أنت لن تستطيع تحمُّل ما فيه من قوى وطاقة، أرجوك يا مازن فقط امنحني إياه.

- محتمل أن تجد إجابتك في كتاب الموتى!

**

قُلت:

- نعم نعم.. ذلك الكتاب أخبرني مازن أنه بشكل أو بآخر سأعلم عن طريقة مكان الخاتم.

قال قيس بلهفة:

- حسنًا، إذًا طريقنا واحد يا أخي، دعنا نأخذ هدنة ونلحق بالهاكر في سلام.

تعجبت من إصرار قيس للحصول على الكتاب، فتساءلت بفضول:

- لماذا تريد الكتاب؟!

أجابني:

- إنخ مستعدين لدفع الكثير والكثير.. أتعلم أن بإمكاني إخبارهم أنك ساعدتني كثيرًا وحينها قد تنال قسطًا من العظمة الحقيقية التي تريدها.

أغضبني حديثه وكلماته وإشارته أن الخاتم وهمٌ كما يفعل الجميع ولكن حالته المقيدة البائسة كانت فرصة للانتقام منه ومن جميع الساخرين المكذبين.

- ماذا تقصد بالعظمة الحقيقية، أتظن أن ما أنا عليه الآن أوهامٌ؟!

قال متراجعًا بسرعة وخوف:

- لا، لم أقصد ذلك على الإطلاق ولكنك كما قلت؛ للرب حسابات أخرى، حسابات معقدة لا نفهمها، ترهقنا كثيرًا وتشتت طريقنا، أما طريق أنخ واضح، إنه طريق العظمة.

قُلت له:

- لم أكن أعلم أنك تسعى للتميُّز في حياتك.

قال قيس بخبث:

- لا افعل، أنا لا يهمني سوى أموالهم وهم يدفعون كثيرًا جدًّا.

صمتُّ لحظات أفكر في كلماته فشعر القاتل أنني بدأت أقتنع بحديثه فقال بإصرار وهو يحاول تحرير نفسه..

- كفى يا أخي أنت في الطريق الخاطئ ودعنا نذهب إلى طاحب، دعنا نأتي بالكتاب ونسلمه إلى أنخ وننهي الأمر..

قُلت له..

- أنا فقط من سيذهب إلى هناك، أما عنك ستُترك هنا لتتعفن حتى الموت.

أمسكت بالفحم المشتعل بيدي وتذكرت حاملة الخاتم وقد فعلت ذلك من قبل وألقيت ناحية وجهه صارخًا:

- وتلك الندبة هي النفحة الأولى من الجحيم..

تشوه القاتل وذابت إحدى عينيه فصرخ:

- أنت قاتلٌ مَلعونٌ!، سأدمرك يا ريتشارد..

وقفت في نهاية الغرفة أنظر له ولحالته المتألمه ثم رمق قيس أناملي وهي تقترب من جهاز كمبيوتر وبسرعة فهم الأمر:

- ماذا تنوي أن تفعل؟!

أجبته بسخرية:

- هل سمعت الشيطان يغني؟!

قال قيس بتوسُّل:

- أرجوك لا تفعل..

لم أنصت له وضغط ذرَّ التشغيل لتبدأ ألحان الشيطان في الخروج وشرعت في إغلاق الباب عليه، ولكنني لا أعلم كيف تمكَّن القاتل من تحرير نفسه رغم أنني تأكدت مرات عديدة من إحكام تقييده، تحرَّر وانقضَّ عليّ، أخذ بلكمي بشكل متتابع وأنغام الشيطان تخترق

أجسادنا، أتلقى الضربات منه ولا أتألم بل أشعر أن السعادة تغمرني، أنزف دماء ولكنني أرد ضاحكًا ساخرًا، أشعر أنه سيقتلني قريبًا ولكنني لست بخائف، بدأت أنغام الشيطان تسيطر عليه هو الآخر فتراخت ضرباته بالتدريج فدفعته في الحائط وتحركت مسرعًا لإيقاف أنغام الشيطان ولكنني لم أتمكن من ذلك وسقطت أرضًا وغُصت داخل نوبة صرع تمزق عضلاتي، بسرعة قام قيس بإيقاف الموسيقى واقترب مني قائلاً:

- لم يحن وقتك بعد!

رحل قيس عن المكان، وسكَنَتْ تدريجيًا تشنجات جسدي وبقيت أنا أرضًا أعاني من سكون هادئ ومظلم.

**

لم أتردد هذه المرة وشرعت أتنقل في البيت أجمع ملابسي وكل ما يهمني أمره عازم على الرحيل من هنا فورًا إلى قرية طاحب، أقسمت على الرحيل وعدم

العودة إلا وأنا حامل خاتمي معي، أو ربما عدم العودة إلى هنا نهائيًا مرة اخرى، طُرق الباب فتجاهلت الأمر ظنًا مني أنه أحد عمال جمع القمامة ولكنه لم يتجاهل تجاهلي وأخذ يضرب الجرس بجنون فاستسلمت للأمر في النهاية وفتحت الباب فوجدت نور الدين يقف أمامي يرتدي سترة سوداء وكثير التلفت إلى الخلف حتى يتأكد أنه غير مِراقب قُلت ساخرًا بالرغم من الألم الذي يعصرني عصرًا

- نورالدين؟!.. وهل للقتلة إفراج؟!

دفعني برفق نحو الداخل ودلف هو أيضًا مغلقًا الباب خلفه وقال:

- أولاً أنا لست بقاتل، ثانيًا ليس إفراجًا بل هروبًا.

أومأت له قائلاً:

- حسنًا، فهمت.. ماذا تريد مني؟!

قال نور الدين بيأسٍ شديدٍ:

- حاولت التواصل من داخل السجن مع كل مَن عرفتهم ذات يوم، أخشى أنني لا أثق بأي أحد على الإطلاق لهذا جئت لك!

صحت ساخرًا..

- أتثق في؟!

أجابني بصوت متألم:

- لا، ولكن ليس لدي أي حل آخر..

أومأت له مهمهمًا:

- حسنًا..

صمت كلانا فأردفت متسائلاً:

- وماذا تريد مني أن أفعله من أجلك؟!

أجابني نور الدين:

- أريدك أن تجد مكانًا آمنًا لي، حتى أبدأ العمل من خلاله لإثبات براءتي.

- أنت لن تفعل أي شيء على الإطلاق، سأجد لك مكانًا بعيدًا عن الجميع وستترك البراءة لي.

قال نور الدين غير مبالٍ بكلماتي:

- حسنًا، لا يهم.. المهم أن نبتعد عن القاهرة والإسكندرية وأي مكان مثلهم.

ربَّت على كتفه قائلاً:

- لا تقلق، أنا أستعد للرحيل وأنت ستأتي معي.

تساءل نور الدين:

- إلي أين سنذهب؟!

- قرية طاحب المنسية.

تساءل من جديد:

- ماذا؟!

تركته.. أخذت أجمع باقي ملابسي وأنا أجيبه:

- لا عليك.. إنه مكان بعيد لن يتعرف عليك أحدٌ هناك.

أومأ موافقًا:

- حسنًا، هذا جيد.

**

داخل الدرجة الأولى من القطار المميز، جلست جوار نور الدين، كنت أحاول اصطناع التركيز في حاسوبي المحمول حتى لا أفتح المجال للحديث بيننا، أخرجت هاتفي وحاولت الاتصال بآدم من جديد ولكن الأحمق ما زال يتجاهل الرد على مكالمتي، تنهدت بملل وتركت حاسوبي وأسندت رأسي إلى المسند فأفزعني نور متسائلاً بفضول شديد:

- ولماذا سنذهب إلى تلك القرية تحديدًا؟!

صمتُّ.. لا أعلم ما الكلمات المفترض قولها حتى أُصمِت ذلك الإنسان طوال العشر ساعات القادمة، فقُلت باختصار لا ينم عن رغبتني في الاستطراد:

- إنها حكاية طويلة جدًا..

بالفضول ذاته قاله نور الدين:

- أخشى أنني مستعد سماعها.

حاولت الهروب من جديد..

- ولكنها معقدة.

قال بإصرار:

- أشعر أيضًا أنني يمكنني الفهم.

أخرجت زفيرًا طويلاً وهمهمت:

- لا أعلم..

قال نور الدين وهو ينظر إلى الأراضي الزراعية من النافذة.

- حسنًا على راحتك..

لن أنكر أن فضول نور الدين، محتمل أنه فرصة لن تتعوض في سرد حكايتي مع إنسانٍ قد يمتلك نوعًا ما عقلية قادرة على تقبُّل الأحداث القادمة من خلف الطبيعة، نور الدين رغم أنه لص قديم للمقالات وباحث عن الشهرة مهما كلفته من ثمن إلا أنه يتمتع بروح خيالية ونظرة متميزة للأمور، فقُلت

- أتعلم إنك ليس الوحيد الذي يمتلك ماضيًا غريبًا متعلقًا بأمور غير مفهومة.

قال نور الدين ساخرًا، كأنني ذكَّرته بحدث قديم..

- حسنًا أنت أيضًا بعت روحك للشيطان مثلي!

لم أفهم دعابته ولم أحاول التركيز في سخريته، فقُلت:

- ليس بالضبط، ولكنَّ الرب اصطفاني للعدالة.

أومأ نور الدين باصطناع الفهم..

- حسنًا هذا مثير، وماذا تقصد بكلامك؟!

فوجدت نفسي أسرد له لمحاتٍ عن الماضي القديم..

- ذات يوم وجدت مذكرات أحد الكهنة وفيها تعرَّفت للمرة الأولى عن معنى اختيار الله لأحد البشر، كانت المرة الأولى التي أقرأ فيها عن خاتم يسوع العظيم.

تساءل نور الدين:

- وماذا يكون خاتم يسوع؟!

أجبته ولكنه لم يفهم كلماتي.

- إنه خاتم الاصطفاء.. خاتم العدالة.. خاتم القصاص، خاتم قرر الرب منحه لي حتى أنتقم به من كل ظالم قاتل مخادع شرير..

صمت نور الدين منتظرًا المزيد وقد كان، أخذت قرابة الساعة أحكي له كل تفاصيل حكايتي منذ خروجي من القرية القديمة ورحيلي إلى القاهرة ثم الإسكندرية، أخبرته عن علاقتي بالخاتم والكاهن وحاملة الخاتم، أخبرته عن الفتاة المغتصبة والأربعة قتلى كما أخبرته عن آدم ومقتل رمضان عبد الواحد والأخوين عيسى المصري وعماد المصري وأخيرًا عازف الشيطان وألحان تارتيني الملعونة، أخبرته عن التفاصيل المتداخلة في حكاية رمضان عبد الواحد وكيف أنه مات بمعزوفة الشيطان رغم أن قيس لم يرسلها أبدًا وكيف علمنا فيما بعد أنه قد انتحر هربًا من قدره المحتوم المدوَّن في صفحات كتاب الموتى ثم تشعبت أكثر في حكاية كتاب الموتى والشخصيات التاريخية التي انتقل بينها الكتاب حتى وصل إلى رمضان واختفى من بعدها وصار الجميع يبحث عنه بجنونٍ، إما بحثًا عن أمجاد شخصية أو مادية أو تحالفات مع كيانات مظلمة، كنت أحكي كأنني ألقي من على عاتقي ذلك القدر من الذكريات الكبيرة المتداخلة المتشعبة، قال نور الدين:

- يا إلهي ما كل تلك التفاصيل، كنت أظنني أعلم الكثير بشأن رمضان عبد الواحد وغيره ولكن واضح أن للأمر أبعادًا كثيرة، كيف لك أن تعيش كل تلك الأمور في عامٍ واحدٍ!

ضحكت متألمًا ورددت على سؤاله بآخر:

- ألم أخبرك أنك لست الوحيد الذي عاش تجربة غير معتادة؟!

تساءل نورالدين:

- أنت محق، وهل ما زلت تتبع مينا وتريد القضاء عليه؟!، وأين تظن ذلك الكتاب الآن؟!

قُلت له:

- لا أعلم إن كان يحق لي ذلك أم لا، الخاتم ما زال ضائعًا منِّي.. أما عن كتاب الموتى فلا أعلم ولكنني أتمنى من كل قلبي أن يظل ضائعًا هكذا إلى الأبد، لم

يذكر في التاريخ ذلك الكتاب إلا وتبعه انتشار الدماء والجثث في كل مكان.

تجاهَل نور الدين حديثي عن الكتاب وعاد بي مرة أخرى إلى قصة مينا ومحمد والفتاة المغتصبة بسؤال جديد:

- ولكنك قتلت محمد والخاتم ضائع!

صمت لحظات أفكر في الأمر، بعدها أجبته:

- كنت أحسب أن بذلك سيمنحني الله فرصةً جديدة لاسترداد الخاتم ولكن بعدها الوضع ازداد سوءًا.

تساءل من جديد:

- والآن ماذا تنوي أن تفعل؟!

أخرجت من جيبي الورقة ذاتها ومنحتها له.

- خذ.

أمسكها نور الدين بفضول وشرع في قراءتها في الحال.

- ما تلك الورقة؟

قُلت له ولكنه كان قد سبقني بالفعل.

- اقرأ ما فيها.

"إن كنت تريد الخاتم.. عد إلى نقطة البداية؛ القرية!"

رمق نور الدين ما فيها ثم نظر لي:

- حسنًا.. أنت ذاهب إلى القرية لعله يكون محقًا وتجد السر هناك.

أومأت له بدون إجابة فأضاف:

- وكيف وصلت لك تلك الورقة؟

- حينما قُمت بخطف قيس وجدتها داخل شقتي!

- ولكن من هذا؟!، مَن يعلم كل شيء عنك بتلك الصورة ويتلاعب بك..

- أظنه أحد رُسل الرب الآخرين، يريد أن يتأكد أنني جدير بالخاتم مرة أخرى.

قال لي نورالدين:

- حسنًا.. أتمنى أن تكون محقًا.

- 24 -

ابن الظلام

بعدما قضينا قرابة الساعة في المشي المتواصل، بدا لي ريتشارد غير ثابت الخطى كأنه لا يتذكر جيدًا وجهته، سألته في طريقنا عدة مرات إن كان تائهًا ولكنه كان يصر على النفي ويؤكد أننا نقترب كثيرًا من المكان، كان يدور داخل الدوائر نفسها بشكل مستمر ولكننا وصلنا على أي حال، أخرج مفاتيحه وفتح لنا أحد الأبواب لبيتٍ مَهجورٍ، دلف إلى الداخل وأنا أتبعه، أضاء الأنوار وكانت الأتربة في كل مكان، صار يتحرك ريتشارد في المكان كأنه يسترجع شيئًا من ذكريات قديمة مخزنة داخل رأسه، نظر لي حينذاك وقال بقلق:

- أتعلم؟ هذا بدون شك هو بيتي القديم..

أومات له متفائلاً وغير فاهم إلام يرمي بحديثه:

- حسنًا، هذا جيد.. أظن!

شرد ذهن ريتشارد أكثر ورمق الصليب المعلق على الحائط.

- ولكن الغريب يا نور أنني لا أتذكر تفاصيل كثيرة عن الحقبة الأخيرة التي عشت فيها هنا، لا أتذكر سوى ومضات بسيطة جدًّا..

قُلت له:

- محتمل لأنك كنت طفلاً حينذاك.

هز رأسه نافيًا:

- لا، لم أكن طفلاً أنا رحلت من هناك قبل عامٍ واحدٍ فقط!

أومات له مصدومًا من كلماته:

- حسنًا هذا غريب يا ريتشارد، أنت تبدو كفاقد للذاكرة.

جابني ريتشارد:

- ليس بالضبط، أنا أتذكر القليل.. ولكنني أنسى الكثير، حسنًا لا عليك انسَ ذلك الأمر

قُلت له:

- محتمل أنه يجب عليك التحدث مع طبيب ما في ذلك الأمر.

أومأ وقال مغيرًا دفة الحديث:

- سنبقى سويًا هنا حتى نجد حلاً لقضيتك.. المكان سيحتاج للتنظيف

تجاهلت كلماته وسألته بشكل مباشر:

- لماذا تساعدني يا ريتشارد؟!

أجابني ريتشارد:

- محتمل لأنك طلبت ذلك!

أخرجت سيجارة من جيب سترتي وأشعلتها قائلاً:

- أعلم، ولكن لماذا توافق.. طالما لم نكن على وفاقٍ سويًا.

استدار ريتشارد وقام بفتح إحدى نوافذ البيت..

- لم أفعل ذلك لأنني أحبك..

سحبت نَفَسًا من سيجارتي..

- إذًا؟!

تردَّد ريتشارد لحظات ولكنه قال في النهاية باستفاضة:

- أفعل ذلك لأنني أعلم أنك مظلوم هذه المرة، أعلم أن الشيطان خدعك وورطك بكل ما يحدث وطالما هناك تلميذ للشيطان سيكون هناك دومًا خادمٌ للرب، وطالما أراد تلميذ الشيطان التوبة والإنقاذ لا بُدَّ أن يساعده ابن الرب وخادمه.

فهمت أنه يقصد أنني ابن الشيطان وانه ابن الرب، كم أنت مغرور أيها الأحمق، قُلت له:

- هذا جيد..

قال ريتشارد بصوتٍ حادٍّ:

- ستبقى هنا ولا تغادر أبدًا، هل تسمعني؟!

أومأت له مهمهمًا:

- بالتأكيد..

قال ريتشارد وهو يتحرك ناحية الباب:

- سأحدث مع آدم لاحقًا وهو بإمكانه مساعدتنا بكل تأكيد أن أراد.

تساءلت:

- هل محتمل ألا يريد ذلك؟!

أجابني:

- لا أعلم، شهد الكثير مؤخرًا في حياته..

أومأت هامسًا:

- حسنًا..

قال ريتشارد وهو يغادر المكان..

- أنا راحل الآن وسأعود ليلاً.

لم أتمكن من تنفيذ كلمات ريتشارد، بعدما مرت أيام عدة على هروبي والمكوث وحدي في تلك الغرفة البائسة الحقيرة، كنت أكاد افقد عقلي من وحدتي، كان ريتشارد يأتي ما بين اليوم والآخر ليطلعني على آخر المستجدات، ولكنه كان مشغولاً جدًّا بالكثير من الأمور، وكلما جاءته الفرصة يحدثني فيها عن خاتمه المقدس، كان ريتشارد يعلم بكون حياتي تداخلت فيها الأمور الطبيعية وما وراءها أنني سأتقبل كل كلمات ينطقها حتى لو خالفت أي عقل ومنطق، في المرة الأخيرة قال لي بيأس:

- من خلال تلك الحكاية، في أي مكان تظنه يقبع الخاتم؟!

ترددت قليلاً في الإجابة ولكنه أصرَّ على أن يسمع مني، فقُلت:

- في داخل رأسك فقط.

أومأ ريتشارد وانسحب من المكان في الحال، فكانت فرصة مناسبة جدًّا أن يحضر الملعون من جديد لي؛ فهمس داخلي:

- أخبرتك أن ترحل من أمام بيت سلاف، ولكن ما زلت تستنكر حديثي.

قُلت له:

- سُلاف تعرف كل شيء عننا، كيف لها ذلك؟!

انتظرت إجابة الصوت ولكنه لم يجِبني فقُلت ساخرًا:

- ألا تعلم الاجابة؟!

همس في أذني:

- أخشى أنك غير مستعد لتعلم..

- ماذا تريد مني الآن؟!

- أريد أن نعود كما كنا في الماضي..

- أنت نصبت لي مكيدة حتى أسقط داخلها، أنت من ورطتني في تلك القضية من البداية، لولا همساتك على الطريق لما رأيت الجثث المصلوبة.

- أتذكر ما حدث قبل أن تقرر الذهاب يومها؟!

- ماذا تقصد؟!

- أنا لم أخدعك!، أنت من أراد الذهاب.. جاءتك رسالة من شخص مجهول يخبرك فيها أن طليقتك تنزف في دمائها على الطريق بالقرب من مدينة طاحب..

- أنت من أرسلت الرسالة!

- لا يا عزيزي لا.. سلاف هي من أرسلتها وكلانا يعلم ذلك.. سلاف هي من كانت تريد الانتقام منك.

- أرادت أن أكون أنا الجثة الرابعة على مفتاح الحياة، أرادت أن تقتلني كما قتلتهم!

- ولكنك وجدتها مقيدة على مفتاح الحياة الرابع!

- ماذا تقصد؟!

- لا عليك الآن..

- حسنًا ماذا تريد مني؟!

- أخبرني، أنت ماذا فعلت أنا يومها؟!

- لا أعلم.

- بل تعلم، أخبرتك ألا تذهب إلى هناك، أخبرتك أن تحركك إلى هناك معناه أنك تشتاق إلى الماضي.. أخبرتك أنها مكيدة!

- بالتأكيد اشتاق إلى بسنت.. أنت تعلم ذلك!

- لا، لم أكن أقصد ذلك الماضي.. بل ماضينا نحن.

- أنت كنت تعلم كل شيء..

- وحاولت إخبارك عدة مرات ولكنك لا تنصت لي رغم أنني طوال عهدنا سويًا كنت خيرَ حليفٍ لك.. هل تريدني تخليصك من كل شيء؟!

- لا أريد!

- حسنًا سأكلف أحدَ جنودي بالإبلاغ عنك.. وأنت تعلم أن جنودي كثر.

- انتظر..

- ماذا تريد؟!

- كيف يمكنك تخليصي من تلك الأزمة؟!

- لا تسأل.. فقط شاهد!

على الطاولة ظهرت رقعة شطرنج قديمة، هي نفسها التي كانت في بيتي واصطفَّت القطع بجانب بعضها البعض في انتظام ثم ترك أحد الجنود من الجيش الأسود خطوتين إلى الأمام تعبيرًا عن بداية لعبة جديدة بيني وبين ذلك الكائن المتطفل على رأسي فهمست داخلي:

"أهذا ما تصفينه بالعظيم يا فجرا.. أنتِ ملعونة"

استيقظت بعدما انتصف الليل فتداخلت الحقيقة بالخيال فصرت على عدم يقين أن تلك المحادثة السابقة بيني وبين همسات عقلي كانت حقيقة أو أحلامًا، ولكن لم أقف عن ذلك طويلاً خاصة عندما تحسسَتْ أذني لمسات خفيفة تحاول فتح بابي، تحركت بهدوء ناحية الباب محاولاً التعرف على ذلك المتسلل وأنا لا أتوقع أن تكون الشرطة قد تمكنت من العثور على مكاني، نظرت خلال العين السحرية فوجدتها سُلاف، تحركت ناحية فراشي وأحضرت القلم ذا الكاميرا الذي طالما استخدمته قديمًا للتصوير الخفي، وضعته داخل جيبي وفتحت الباب قائلاً:

- أنتِ مرة أخرى!

دفعتني سُلاف إلى الداخل وأغلقت الباب قائلة:

- أنتِ مهمة غير تامة لي، لا بُدَّ أن أكمل الأمر.. أنتِ من تسببت في كل هذا، أنت دمرت حياتي كلها.

عدلت من وضعيتي حتى تكون ظاهرة أمام عدسة الكامير بشكل واضح، فأنا أعلم أن الدنيا لن تمنحي فرصةً أفضل من تلك حتى أثبت بها براءتي، كان كل ما يدور داخل رأسي حينذاكٍ هو استرسال الحديث معها حتى تقول كل شيء..

- أنا لم أفعل، أنا حتى لا أعلم مَن تكونين بحق الجحيم؟!

قالت سُلاف بغضبٍ:

- أنت من أخبرتني بكيفية التواصل مع الكتاب، أنت من أخبرتني بكيفية إقامة عهد معه ولم تخبرني أن كلمة يخبرني بها الكتاب سيكون عليّ دفع ثمنها.

قُلت مدافعًا عن نفسي:

- أقسم لكِ إنني لم أعلم كل التلك التفاصيل، لم أكن أقصد أن يلحق بك كل تلك الأذية، بإمكاننا إصلاح الأمر.

تساءلت سُلاف:

- إصلاح ماذا؟!، أتعلم ماذا طلب مني الكتاب بعدما تركتني وحيدة ورفض مساعدتي؟!، أتعلم كم روحًا أخذت أرسمها وهي تتعذب وتفارق الحياة؟!، أنت صنعت مني شيطانًا..

تجاهلت الإجابة حتى لا اطرح مزيدًا من الأسئلة غير المهمة الآن..

- أنا لم أقصد..

قالت سُلاف وهي تُخرِج سكينًا من جانب ملابسها وتعتزم على الهجوم:

- لا يهمني الآن.. أنا سأقتلك، إنها العدالة ثمن رحيل ابنتي، سأعلقك على المفتاح كما فعلت مثل الباقين، أنت المهمة الوحيدة التي لم يطلبها خدَّام مني، انتقم منك بكل ذَرة داخلي..

قُلت لها وأنا أتراجع:

- أرجوكِ لا تدعي الأمور تتفاقم أكثر من ذلك.

قالت لي وهي تقترب أكثر:

- كان لا يجب عليك أن تهرب من السجن، كان يجب تعليق جثتك بجانبهم على مفاتيح الحياة.

قُلت لها:

- أقسم لكِ لم أحاول الهرب، أنا ما زلت لا أفهم أيَّ شيءٍ على الإطلاق.

قالت وهي تجري ناحيتي صارخة:

- سأقتلك.

- 25 -

الهاكر

لقد كان محقًا، ليس لأخي ذنبٌ فيما يحدث حوله، حتى إنه كان لا يعلم ما هي حقيقة ذلك الكتاب، أخي أخفاه كما طلب والدنا منه فقط، تعاقبت كؤوس الخمر خلفها بعضها البعض فانغمست فيها وتسايرت مع الأمر، ظهر ريتشارد من العدم، نظرت له باحثًا عن أي أحاديث ولكنه سبقني:

- ما أشبه اليوم بالبارحة!

نظرت له ساخرًا:

- يا ليتك ما فعلت أي شيء..

شرد ذهن ريتشارد يفكر وقال بدون أن ينظر لي:

- كنت أحاول تحقيق العدل ومعرفة القاتل..

قُلت له بنفس النبرة الساخرة:

- قاتل يبحث عن قاتل..

صاح ريتشارد بعصبية ولكن الضوضاء لم تلفت انتباهَ أحدٍ.

- أنا لست قاتلًا:

أومأت له كاتمًا الضحكات داخلي.

- نعم، نعم أنت المختار!.. أنت العظيم.. أكنت تعلم أن والدي انتحر؟!، وأن أختي كانت تعلم كل شيء بل وأصبح لنا أخٌ ثالث لا أعلم كيف ولا متى حدث ذلك؟!، لا عليك لم يعد يهم الأمر الآن

ألقيت بكأس خمرٍ داخل جوفي قائلاً:

- انسَ الامر، لم أعد أهتم..

قال ريتشارد وهو يشرع في الرحيل:

- أنت لست في وعيك الآن، أنا راحل:

قُلت له ساخرًا:

- لا تقل ذلك، عيسى المصري حينما قال إنه راحل. رحل إلى الأبد.

قال ريتشارد بألم:

- يا ليت الله يضع كلمة النهاية لرحلتي بهذا العالم..

قُلت له قبل أن يرحل:

- اذهب للاعتراف يا ريتشارد، اذهب وأخبِر كاهنك أنك دمرت حياتنا كلها، يا ليتك تركت أبي يرحل في سلام..

رحل ريتشارد ولم أكن أعلم أنها المرة الأخيرة التي سأراه فيها!، رحل المختار ورحلت أنا أيضًا إلى بيت أخي، تجولت في الشوارع ومررت بالساقية المهجورة التي سبق وشهدت جرائم القرية من قتلى وغرقى وغيرهم، تأملت عيون المارة في كل مكان وكأنني كنت أود التحدث معهم فردًا فردًا أسألهم عن والدي،

كنت أود أن يخبروني أكثر عنه، أصبحت أنا الأقل معرفة بأبي، حتى ريتشارد المختل كان يعلم عن أبي أكثر مني، وصلت البيت وجدت الباب مفتوحًا اندفع الأدرينالين في دمائي وتسارعت دقات قلبي وأخذت كل أعضائي تتحفز لهجوم قادم، رمقت أخي ساقطًا أرضًا والدماء تنسال من رقبته شهقت بفزع وهرولت ناحيته صارخًا:

- حمزة، حمزة ما بك.. حمزة هل أنت بخير؟!

على اليمين وجدته بوجه مشوه، كان قيس يقف أمام خزينة كانت تواريه خلف صورة تجمع كل أموات العائلة وقد نجح في اختراقها، أخرج الكتاب منها وظلَّ يتطلع فيه بتجاهل، صحت فيه:

- قيس، ما الذي فعلته؟!

قال قيس بدون أن ينظر لي:

- أخي، أقسم لك إنني لم أكن أقصد!

نظر لي قيس وأكمل:

- كان لا بُدَّ أن احصل على ذلك الكتاب مهما كلَّفَني الأمر، إنها حياتي يا أخي.

ارتعش جسد حمزة متألمًا فتجاهلت كلمات قيس الآن وأخذت أرى أخي وروحه تغادر جسده ببطءٍ وألمٍ شديدين، انسالت الدموع من مقلتيّ وصرت عاجزًا عن كتم البكاء داخلي فانهرت بقوة صارخًا..

- حمزة!، حمزة هل أنت بخير؟!، أرجوك لا تفعل.. أرجوك يا أخي..

رفع حمزة يده ومسح إحدى دمعاتي وقال بصوت متحشرج يداعبه الموت:

- آدم.. آدم ليس فاشلاً.

سقطت يده وتخشبت جثته وفارقت روحه الطاهرة جسده..

- حمزة.. حمزة أرجوك لا ترحل عنا، أرجوك يا أخي.

نظرت إلى قيس الذي كان ما زال يقف يتطلع في صفحات الكتاب لا يبالي بما يحدث حوله وتساءلت بغضب:

- ماذا فعلت؟!

نظر لي قيس قائلاً:

- لم يكن هناك حلٌّ آخر، كان يجب أن أحصل على الكتاب..

قُلت له وأنا أنهض من مكانه مستعدًا للانقضاض عليه:

- أنا سأقتلك، سأقتلك.

تراجع خطوتين إلى الخلف وقال:

- يجب أن تهدأ الآن وتسمعني..

لم أتحمل سخف حديثه وأخذت أنهال عليه باللكمات على وجهه المشوه بغضب شديد وأسنانه تطايرت من فمه والدماء تنسال من كل مكان بوجهه.

- سأقتلك أقسم لك!، أقسم لك إنني سأقتلك..

بخفة ورشاقة تمكن قيس من بث الخلل في توازني فحرَّر نفسه من بين قبضتي وركلني بقوة في معدتي فسقطت أرضًا، أمسك رأسي وبقوة قام بإصدامها بالأرض مرتين متتابعتين فانقلبت الدنيا حولي رأسًا على عقب فاقدًا الإحساس بالمكان والزمان، فأردف القاتل وهو يرحل عن المكان..

- خادم الشيطان أمرني ألا أقتلك يا أخي!، ولكن لم يكن هناك سبيلٌ لحياتي سوى بمقتل حمزة وريتشارد، كلاهما خطرٌ على حياتي، آسف يا أخي ولكن لا حياة لي بدون إزهاقٍ لتلكما الروحين..

رفعت رأسي بصعوبة عن الأرض فسقطت قطرات دمائي داخل فمي، حاولت التركيز في حديثه قليلاً لم

أفهم أغلبه، ولكنني شعرت بالسوء تجاه ريتشارد..

- ماذا تقصد؟!

أجابني قبل أن يرحل:

- ريتشارد سيواجه نفسه بعد قليل، ستنتهي رحلته عند نقطة بدايتها، آن الأوان للعظيم أن يعلم أنه ليس بعظيم، آن الأوان لأن يدرك المختار أنه مجرد أحمَق سخيف!.. أتعلم أن الأحمق حاول قتلي، شوَّه وجهي وأفقدني إحدى عينيّ، أخبرته أنني سأدمره ولكنه لم يصدقني.. كان يمكن أن أقتله ولكن يجب أن يعلم الحقيقة أولاً، كان يجب أن أجرده من كل شيء أولاً.

توارى قيس في الظلام وبقيت أنا غارقًا في دمائي، زحفت ناحية حمزة من جديد ونظرت إلى ملامحه المتخشبة للمرة الأخيرة قبل أن أفقد وعيي وأسقط على صدره.

- 26 -

ابن الظلام

تفاديت هجوم سُلاف وأسقطتها أرضًا فلمعت عيناها بشكل خاطف كأنها بثت داخلي نوعًا من السموم، كنت لا أعلم أيَّ نوعٍ من السحر مارسته تلك الملعونة جعل الرؤية تتشوش أمام عيوني، طعنتني بقوة في جانبي الأيسر، صرخت وأنا أحاول الابتعاد عنها ولكن انعدمت الرؤية تمامًا في عينيّ فصرت أتحرك بلا هدف، أحاول الحديث لتهدئة تلك الملعونة ولكنها هبطت على كتفي بطعنة أخرى أكثر قوة صرخت بصوت مرتفع أكثر هذه المرة وأخذت أفقد توازني وسرعان ما سقطت أرضًا وأنا أتوقع الطعنة القادمة التي حتمًا ستمزق قلبي إربًا إربًا داخل صدري ولكنها تأخرت كثيرًا بدأت الرؤية تعود إلى عينيّ من جديد ولكنها مشوشة بعض الشيء أخذت أحاول التركيز باحثًا عن سُلاف فوجدتها ساقطة أرضًا في نهاية الغرفة وفجر تغرس بأسنانها في رقبتها، رغم ما شاهدته من ماضٍ كبير مع كيانات

مظلمة وكائنات من عوالم أخرى ذلك المشهد كان الأكثر رعبًا في حياتي كلها.

- فجر؟!، فجر توقفي..

بعدما تأكدت فجر من مقتل سُلاف نظرت لي والدماء تحيط بكل جوانب شفتيها وقالت:

- العظيم يصر على إنقاذك، العظيم يريدك ولن يسمح لك بأن تموت الآن!

وقفت فجر وقد عادت حدقتاها إلى الشكل المعتاد وأشارت إلى القلم:

- أنت الآن معك دليلُ براءتك، سُلاف اعترفت أنها مَن فعلت كل شيء.

حملت فجر جثة سُلاف على كتفها وقالت قبل أن ترحل:

- يمكن مسح الجزء الأخير من التسجيل وقل إنك دافعت عن نفسك من هجومها وفور فشلها أسرعت مغادرة المكان..

تحركت بألمٍ شديدٍ والدماء تنزف من جسدي، كنت أخشى أن أبقى داخل البيت على الحالة نفسها فأموت وحدي ولا يشعر بي أحدٌ، فاستجمعت ما بداخلي من بقايا قوى وألقيت بجسدي خارج البيت لعلَّ يلاحظني أي إنسان ويحاول إسعافي..

وآخر ما أذكر همساته في أذني:

"أرأيت؟!.. أخبرتك أنني سأنقذك، مرحبًا بعودتك يا ابن الظلام سنبدأ رحلة طويلة جدًّا معًا.. لا تقلق سيأتي أحدهم لإنقاذك، إلى اللقاء الآن".

- 27 -

فتح مازن الحسيني عينه ليجد نفسه مقيدًا بأحد المقاعد الخشبية، ينظر حوله ولكن عقله لا يترجم أي شيء عما يحدث، تنعدم الرؤية أمامه بسبب الظلام الشديد، يحاول الصراخ ولكن الشريط اللاصق على فمه يمنعه من ذلك فيظن أنه سيبقى أسيرًا على تلك الحالة إلى الأبد، ينقبض قلبه متألمًا ويعتصر حلقه يحاول التحرر، ولكنه يفشل عدة مرات في ذلك، يحاول الصراخ من جديد ولكن صوته يخرج مكتومًا لا يسمعه أحد، يحاول تذكُّر اللمحات الأخيرة قبل وصوله لذلك المكان ولكنه لا يذكر سوى نجاح خطته في الهروب من داخل سجن العقرب بمساعدة جماعة أنخ فور أن يصل إلى الكتاب ولكنه لم يصل للكتاب أبدًا، يتساءل عقله بخوفٍ عن الكيفية التي غادَر بها السجن ولكنه لا يتذكرها، كان لا يتذكر سوى ذلك الطعام الذي تناول وغادر بعدها وعيه متألمًا بشدة من معدته، كان مندهشًا كيف آلت به الحياة إلى ذلك المأزق الغريب، كان يتمنى لو هناك أي وسيلة لجلب قيس إلى هنا،

فذلك المعلون رغم حماقته وطمعه إلا أنه كان يجيد التصرف في أشد المواقف ظلامًا وصعوبة ولكن فجأة جاءته خاطرة، إن كان محظوظًا يمكنه التحرر من تلك القيود.

**

على الجانب الآخر من القرية وقف ريتشارد أمام تمثال العذراء باكيًا متضرعًا وقد ضاقت به السبل من كل الجوانب وأدرك يقينًا أنه لن يجد الخاتم مرة أخرى، كان يعلم أنه فشل في الاصطفاء الإلهي، وأنه لم يعد مميزًا كما كان بل يخشى أنه أصبح ملعونًا الآن، هبط ريتشارد على ركبتيه وأخذ يبكي بحرقة أكثر، اقترب الكاهن من ريتشارد المسكين وربت على كتفه فمسح ريتشارد دموعه في الحال ونهض من مكانه وكاد أن ينطق ولكن قال الكاهن:

- أظنك تحتاج إلى الاعتراف يا بني!

نظر ريتشارد إلى الكاهن لحظات وفجأة شهق بذعر وهو يتأمل ملامحه:

- أنت؟!

تساءل الكاهن..

- ماذا تقصد؟!

قال ريتشارد:

- أنت الكاهن إسحق يعقوب!.. ولكن كيف؟!

رد الكاهنك

- أخشى أنك مريض يا ريتشارد!

هز ريتشارد رأسه نافيًا بشكل غير إرادي وقال:

- كيف لك أن تعلم اسمي؟!

قال الكاهن:

- أتحسبني سأنساك أبدًا؟!، أنت أحد أبناء القرية وكنت أكثر سكانها إيمانًا وزيارة للكنسية.

من بعيدٍ رمقَ ريتشارد أختًا ترتدي زِيَّ الراهبات، بدت له مؤلفة في اللحظة الأولى وبعد ثوانٍ أدرك أنها الفتاة نفسها التي لطالما رآها في أحلامه، كان يعلم أنها حاملة الخاتم، الفتاة التي تم اختيارُها من قِبَل الرب حتى تقتص من مغتصبين الفتاة المجهولة..

- تلك هي حاملة الخاتم؟!، أليس من المفترض أنها ماتت!

اقتربت الراهبة من ريتشارد والكاهن باسمة فردَّ الكاهن إسحق:

- أي خاتم تحمله؟!.. يا الله ما بك يا بني؟

قالت الراهبة:

- ما بك يا ريتشارد؟!، ألا تتذكرني؟!

صمت ريتشارد عاجزًا عن الرد فأردفت الفتاة بغضبٍ:

- كيف لك أن تنساني؟!، لقد تركت كل شيء من بعدك، تركت الدنيا كلها بعدما رحلت عنَّا..

ظلَّ ريتشارد ينظر إلى الكاهن إسحق يعقوب تارة وإلى الراهبة تارة أخرى وفجأة شهق بفزع شديد وهو يتذكر كل شيء قد نسيه ذات يوم، لحظة أخذ كل شيء يترتب أمام عينيه، ريتشارد يعيش سيناريو حياته كلها للمرة الأولى بدون أي فجواتٍ في المنتصف، تذكَّر ريتشارد تلك الفتاة التي أحبها ذات يوم ولكنه قرر ترك القرية والابتعاد عنها والبحث عن أمجادٍ في العاصمة، اعتصر ريتشارد أفكاره أكثر وتذكَّر جانبًا أكثر إظلامًا من تلك الأحداث، جانب كان يرى نفسه بجانب الساقية المظلمة المهجورة وهو يدفع بأحدهم في المياه وأخذ ينظر له حتى توارى أسفل الماء بالكامل وانقطعت أنفاسه، تذكَّر أيضًا المستلقي على فراش الموت في المستشفى يومها قال له ريتشارد:

- لن أدعك ترحل بسلام أبدًا.. يجب أن تعاني.

أزال عنه غطاء وجهه وأخرج حقنة ضخمة وبث الهواء في أوردة رقبته حتى توقفت دورته الدموية ومات في الحال، تذكر آخر أحرقه ريتشارد وصلب جثته أمام الجميع حتى يكون عبرة لكل خطاء مجرم بالقرية، ولكنه لا يتذكر جريمته الرابعة.

- لا عليك يا بني، سيكون كل شيء على ما يرام.

- أبونا، أنت لا تفهم أي شيء على الإطلاق..

نظر ريتشارد إلى الكاهن وأردف:

- أبونا، إليك اعترافي الأخير!

**

اعتلى آدم درجاته البخارية وأخذ يشق بها طرقات القرية، يحاول الثبات والتوزان بصعوبة، فحاول جاهدًا أكثر التركيز في الأمر والبحث عن ريتشارد ويتمنى أن يكون بالكنسية كما قال مؤخرًا وألا يتحرك بها، يتفادى المارة برشاقة وهو يتذكر كلمات قيس الأخيرة:

"صديقك مجنون يا أخي!، صديقك هو من قتل مغتصبين القرية.. صديقك مجنون يا أخي."

زاد آدم من سرعة درجاته محاولاً الوصول لريتشارد قبل أن يتذكر الأخير كل شيء، قبل أن يتذكر أنه المجرم الأول في تلك الأسطورة.

**

حاول مازن الحسيني النهوض ثم هبط بالكرسي على الأرض بقوة حتى يتهشم، لم تفلح خطته في المرات الأولى ولكن المقعد انصاع له في النهاية وتهشم بالكامل، أخذ الرجل يزيل عنه القيود والشريط اللاصق لفمه، كان ينظر حوله محاولاً التعرف على المكان ولكنه الظلام يمنعه من أخذ معلومات ترشده، في نهاية الغرفة وجد شريط مضيئًا من أسفل فعَلِمَ أنه مكانُ الباب فانطلق لكي يهرب ولكن لا يعلم من أين ظهر قيس وأخذ ينهال عليه باللكمات على وجهه، لم تكن لكمات قيس قوية بقدر ما كانت مبالغة ومفاجأة فكلما حاول مازن تفادي لكمة سقط متألمًا في الأخرى،

تطايرت أسنانه وسقط خيط دموي على إحدى جوانب فمه ولم يكتفِ الشامي بذلك الأمر بل أخذ يضرب رأسه بقوة في الحوائط كلها حتى انشقت جبهته، أصبحت الدماء تغطي وجهه بالكامل، أعاد قيس مازن على أحد المقاعد الأخرى وأخذ يقيده من جديد ولكن بإحكام أكثر هذه المرة، قال مازن بصوت متألم متقطع:

- قيس، أرجوك، دعنا نتفق من جديد..

اقترب قيس منه ولكمة مرة أخرى فكانت قاضية صمت بعدها مازن لا يقوى على النطق بأي كلمات أخرى، أشار قيس إلى كتاب الموتى قائلاً:

- سامية دفعت الكثير حتى تأتي بك إلى هنا وأصور لها فيديو خاصًا حصريًّا وأعضاؤك الداخلية تنفجر من صوت الشيطان، لا تنصدم، أنت تنوي قتلي، أنا متأكد من ذلك، كلانا يعلم أنك لن تنال أي حرية طالما هناك رجل مثلي على قيد الحياة، أنا مصدر المعلومات الأول والأصدق في مسيرتك الحالية، أنت مَن علمتني ألا

نلعب بشرف أبدًا، كان لا بُدَّ ألا أمنحك فرصة أن أكون عشاءك الأخير..

رفع مازن رأسه بتألم شديد وقالٍ:

- أنت خائن!، أتتعاون مع العاهرة للتخلص مني؟!

أومأ قيس في تفهُّم وتحرك ناحية الطاولة الموضوع عليها الكتاب وأمسك بآلة الكمان الموضوعة بجانبه، فتساءل مازن بقلق:

- ماذا تظن نفسك فاعلاً؟!

ردَّ قيس:

- سنستحضر الشيطان يا أخي!.

أخرج من جيبه سدادة ووضعها على أذنيه حتى تحجب أي أصوات خارجية ووضع الكمان على كتفه وبدأ في استخدام أوتارها لعزف ألحان تارتيني القاتلة.. بدأ في عزف لحن الشيطان.

**

بعدما قام ريتشارد بسرد جانبٍ كبيرٍ من طفولته مراهقته، نظر له الكاهن وقال:

- حكايتك مثيرة يا فتى، ولكنني لا أجد فيها أيَّ خطايا، لا أراك سوى شخص مميز يبحث عن العدالة، لا أرى في كلماتك سوى أنك عظيم، ما رأيك أن تحكي لي اعترافك وخطاياك..

ردَّ ريتشارد:

- أنا قاتل!، ظننت أن الرب أراد الانتقام لمقتل تلك البريئة، ولكن لم يكن هناك سواي!.

بدأ ريتشارد في قص حكايته بالكامل من أول لحظة شاهد الفتاة تتعرض إلى الاغتصاب وسرعان ما أعدَّ خطة الانتقام وأخذ القتلى يتساقطون في طاحب هنا وهناك ثم شعر بالخوف فانتقل للعيش في القاهرة وبداية حياة جديدة في الصحافة، ولكنَّ شعورَه بالذنب جعله يتناسى ما حدث له بل داخل شقة عزيز

قام بتأليف قصة الكاهن وحاملة الخاتم مستغلاً إشاعات متعلقة بتلك الشقة عن فتاة قام أبوها باغتصابها وتطلع إلى نشرها ولكنه توقف متراجعًا عن الفكرة حتى لا يُفتح باب القضية من جديد، تردد ريتشارد قليلاً في محاولة أخيرة لإنكار ما يحدث:

- ولكننا تقابلنا في المستشفى يا أبونا ومنحتي الخاتم، أليس كذلك؟!

صمت الكاهن فعلم ريتشارد أن تلك المقابلة بينهما لم تكن سوى اختلاق من عقله المريض، وفجأة خاطره مشهد الفتاة وهي تتعرض للاغتصاب داخل القرية وسقوط خاتم من حقيبتها على الأرض.

- لا عليك يا أبونا، إنه لم يكن خاتم الرب.. إنه خاتم الفتاة.

نهض ريتشارد من مقعده وأخذ يبتعد عن الكاهن فقال الأخير:

- ماذا تنوي أن تفعل بعدما علمت كل شيء؟!

لم يرد ريتشارد واستمر في طريقه..

**

- انتظر، أرجوك لا تفعل!

قالها مازن وتجاهلها قيس وانطلقت نغمات الشيطان تخرج من الكمان، كان مازن يحاول تهشيم المقعد من جديدٍ، ولكن أدرك أنه لا مفر من الهروب هذه المرة فتوقف متستسلمًا لمعزوفة الشيطان وهي تغمره بفيضان من هرمونات السعادة، كانت شفتاه تبتسم تدريجيًّا وهو يرى أمامه عشراتٍ من الذكريات السعيدة له، قلبه يخفق باضطراب شديد يحسبه هو تراقص لعضلته، يشرع في الضحك ولكن تأتيه ومضة تخبره بحقيقة ما يحدث حوله فيدرك أنه على أعتاب خطوات قليلة من الموت فتتحول ضحكاته إلى صرخات فزعة، يحاول التحرر ولكنه يفشل، يبدأ جسده بالكامل في الانتفاض وتنتصب شعيراته بالكامل وسرعان ما يخرج الزبد من فمه ويتخشب جثمانه ويلفظ زفيره الأخير!

**

جلس ريتشارد في آخر صفوف الكنسية في حالة من اليأس التام بعدما تحطمت أسطورته أمام عينيه، بعدما أدرك أن حياته لا شيء سوى وهمٍ كبيرٍ، اقتربت الراهبة منه وجلست جواره قائلة:

- لم أكن أظن أنني سأراك مرة أخرى يا أخي!

ردَّ ريتشارد ساخرًا:

- لطالما اقتنعت أنكِ ميتة!.. أختي

كادت أن ترد عليه ولكنه قاطعها مضيفًا:

- داخل عقلي المريض طالما كنت أراكِ مميزة، مختارة من قبل الرب..

قالت له وهي لا تفهم كلماته:

- أظن أن هذا جيد!

هزَّ رأسه نافيًا:

- لا، أنت لا تفهمين أي شيء على الإطلاق..

علمت الراهبة أن محبوبها القديم لم يعد كما كان، كانت حالته شديدة الازدراء، ملامح الإعياء واضحة عليه؛ فقد كانت حالته لا تحتاج إلى طبيب نفسي ليؤكد مدى سوء حالته، نهضت الراهبة وشرعت في الرحيل قائلة:

- أتمنى أن تكون بخير يا أخي..

رحلت الراهبة، رحلت من كان يلقبها ريتشارد دومًا بحاملة الخاتم المقدس، تلاشت الهمهمات من رأس ريتشارد، فلم يعد يسمع كلمات نشيد الإنشاد من جديد كأن كل شيء حوله يريد إخباره كم هو كان أحمق مريضًا، انتفض هاتفه فأخرجه من جيبه ونظر للمتصل كان آدم ورمق عشرات الاتصالات جاءته من الأخير ذاته، تجاهل الأمر ورفض الاستجابة، قام بإزالة جميع التطبيقات من خلفية الهاتف فوجد شاشة برنامج

الواتس آب ما زالت معلَّقة على رسالة تحمل نصًا موسيقيًّا لمعزوفة الشيطان القاتلة، تذكر يوم أرسلها من هاتف عماد إلى هاتفه وسمعها للمرة الأولى فتناول جرعة مخففة من سحر السعادة كان كفيلاً لإدخاله في نوبة من الصرع، وضع السماعات الخارجية داخل أذنيه، اتصل آدم من جديد فرفض المكالمة مجدَّدًا وقام بتشغيل معزوفة الشيطان وشفتاه تهمهمان بدون أن تصدرا أيَّ صوتٍ:

- ارحم روحي أرجوك.

انسالت ألحان الشيطان إلى أذن ريتشارد فتدفقت هرمونات السعادة بأنحاء جسده، تذكر كل وهلة كان يشعر فيها أنه المختار العظيم، تذكر كل مخطئ ومذنب قام بتطهير الأرض منه غرقًا أو صلبًا أو شنقًا، تذكر صرخات فتاة القرية المجهولة وامتزجت بصرخات ماريا جارته كأن التاريخ دومًا يبدأ من جديد من النقطة ذاتها، والآن بعدما علم أنه لم يكن أكثر من منتقمٍ قرَّر تخليص الأرض من مجرم آخر وهو نفسه، استسلم أكثر بالتركيز في نغمات المعزوفة فتعالت

هرموناته إلى الحدود القصوى وتحولت السعادة إلى قلقٍ ثم خوف، فذعر.. انتفض ريتشارد وتشوشت الصورة أمامه وهمس بذعرٍ شديدٍ:

- الفتاة كانت مسلمة!، الفتاة كانت مسلمة..

ولم تمر إلا لحظات وسقط المختار على جنبه مفارقًا الحياة، وصل آدم للمشهد باحثًا عن ريتشارد فوجده جثة هامدة آخر يهزه بقوة وأزال عن أذنيه السماعات فرمق المعزوفة على شاشة هاتفه فعلم ما فعلَه صديقه، أخذ يحاول إنعاش قلبه ولكن هيهات أن تستجيب روحه، التفت كُلُّ مَن في الكنسية للمشهد وصار يتجمهر الجميع حول الهاكر وهو يحاول إنعاش قلب القاتل، ولكن الأمر لم يمتد طويلاً يئس آدم من استعادة ريتشارد وقرر التوقف وعينه تغرغر بالدموع لكمّ الخسائر التي أحلت عليه مؤخرًا من فقدان والده ثم أخيه حمزة.. والآن ريتشارد، حتى كتاب الموتى صار في أيدي أشد الأناس شرًا.

رحل ريتشارد وانتهت أسطورته..

- 28 -

تقدمت سامية وبجانبها قيس حاملاً للكتاب، منحوه للرجل الأشيب وسط رجاله داخل قاعة بها طاولة بيضاوية ضخمة، ثم جلس كُلٌّ منهم على مقعدٍ، قال الأشيب:

- أخيرًا كتاب العربي المجنون أصبح بين أيدينا، بفضل ابنة الأسرة سامية وابننا الغالي قيس الشامي، والآن لنبدأ عصرًا جديدًا.. عصر القوة، القوة المطلقة، قيس أنت لم تعد مُطارَد من قِبَل الحكومة المصرية بعد الآن، الأمر انتهى برحيل مازن.

وهنا تذكرت سامية المشهد الأخير الذي جمعهما سويًّا.

**

وقفت سامية أمام مازن الحسيني والقضبان تفصل بينهما، تبادل كلا الزوجين النظرات الحادة ذاتها، قبض مازن قضبان قفصه وقال بصوت غاضب متوعدك

- أنتِ مَن فعلت كل هذا بي!

تجاهلت سامية كلماته الغاضبة وقالت بصوت ساخر:

- كيف حالك يا زوجي الغالي؟!

استشاط مازن غضبًا من سخرية زوجته وقال بنبرة يمتزج فيها التوعد والعتاب:

- كيف لكِ أن تقومي بتسليم رقبتي بتلك الصورة؟!، أتحسبين أنها النهاية؟ أنخ لن يتركوني خلفهم بتلك الصورة، أنا عائدٌ وسأدمرك، كما رفعت من شأنك سأهبط بكِ إلى سابع أرض كما فعلت سابقًا مع زوجك..

صمت يراقب تغيُّر ملامحها من الثقة والثبات إلى القلق والغضب فأردف..

- لطفي لطفي يا صوت وقلب اليمام.

كتمت سامية مشاعرها الغاضبة وإشارته لها بكونها العاهرة التي طالما خانت زوجها لطفي الفلاح الفقير، فتساءلت بسخرية مصطنعة:

- اليمام.. أما زلت تذكر كل تلك التفاصيل؟!

لم تتمكن سامية من كتم غضبها بردِّ مازن بالسخرية ذاتها

- ومَن ينسى؟!

علمت سامية أنها فشلت في الانتقام المعنوي من مازن الحسيني، وأن الأخير بالرغم من مصيبته إلا أنه ما زال قادرًا على التحدي والتلاعب بالألفاظ والأعصاب، قررت سامية الرحيل فأوقفها مازن بكلمات أخيرة:

- أنا عائد، ووقتها لن أرحمك أبدًا.

قالت سامية:

- سأقتلك قبل أن تفعلها..

**

عادت سامية لحاضرها وتبادلت النظرات والابتسامات مع شريكها قيس لنجاحهما أخيرًا في السيطرة على الأوضاع الراهنة وتوصيل الكتاب إلى من كانوا يبحثون عنه بالإضافة للتخلص من مازن الحسيني إلى الأبد، تشعر سامية من حينٍ لآخر ببعض القلق لهيبة مشهد أخوية أنخ ولكنها سرعان ما تحاول بث الاطمئنان داخلها بكونها صارت جزءًا من منتهى العلم والقوة والتطلُّع إلى الحياة الجديدة التي ستحياها بجانب تلك الأسرة.

النهاية

نور الدين

بعد أسبوعين من الأحداث الأخيرة قمت بنشر التسجيل المرئي على شاشات الإنترنت كلها وأعلنت أنني سأقوم بتسليم نفسي كما اعتذرت عن هروبي ولكنني أعلنت أنه لم يكن هناك أي سبيل لتحقيق العدالة سوى بتلك الطريقة وأنني كنت مذعورًا من أن أرتدي البدلة الحمراء قريبًا، وأمام النيابة تم الإفراج عني على ذمة القضية فعدت إلى بيتي أخيرًا بعد رحلة دموية شاقة، كنت لم أستعِد عافيتي بالكامل إثر الجروح في كتفي وجانبي، حتى نوبات السعال صارت لا تطاق، أخذ يتهافت عليّ الجيران من كل مكان للمباركة وتقديم الخدمات ولكنني اعتذرت عن البقاء معهم حتى أرتاح قليلاً، انسحب الجميع من المشهد وبقيت وحدي داخل الشقة وجدتها على الحالة نفسها ولكن تفشَّى التراب بها في كل مكان، تحركت مسلوب الإرادة ناحية الفراش وعقلي دائم التساؤل عن تلك

الرحلة التي سأخوضها يومًا ما مع همهمات العوالم المظلمة وإلي أين ستأخذني يا ترى المرة القادمة وتمنيت لو كانت كل تلك الهمهمات مجرد أوهامٍ داخل رأسي فأنا على أتم الاستعداد لتقبُّل حقيقة جنوني على ألا تعود تلك الكائنات في حياتي من جديد وهنا جاءت خاطرة إلى عقلي لا أعلم كيف لم أفكِّر فيها من قبل ويبدو أن الصوت قد سمعها داخله فقال:

- بماذا تفكر يا نور؟!

- ارحل عني..

- فقط أخبرني بماذا تفكر؟!

- لا أعلم، هناك شيءٌ ما غير مفهوم، سلاف كانت تقتل في البداية لأنها كانت تنفذ القرابيين لكتاب الموتى ثم آدم أخذ الكتاب ومن بعده رمضان وأخيرًا حمزة.. إذًا سلاف لم تكن تملك أي كتب أو عقود دموية في وقت حدوث الجريمة الأخيرة بالقرب من القرية، بالفعل هي أرادت الإيقاع بي داخل تلك الدائرة ولكنها كيف لها

تقتل ثلاثة من المشاهير حتى تلفق القضية بي، كان بإمكانها قتلي بأي وسيلة أخرى غير تلك الطريقة المعقدة!.. ودعنا لا ننسى أنها كانت مقيدة على المفتاح الرابع، وأيضًا لا ننسى الضربة التي تلقيتها على مؤخرة رأسي في تلك اللحظات..

- حاولت إبلاغك أكثر من مرة ولكنك لم تبصر الحقائق!

- ماذا تقصد؟!

وهنا تذكرت كلمات سامية قبل أيام..

**

- نور.. أتمنى ألا تظهر على الشاشات قريبًا، أنت لا تعلم أي شيء عما تتعامل معه.. أنا الورقة الرابحة الوحيدة في تلك اللعبة، أنا البداية والنهاية لتلك الأحداث أرجو أن تنصت لي قبل فوات الأوان!

**

- ما هذا بحق الجحيم كيف كنت لا أرى ذلك؟!.. سامية شريكة سلاف!

- ما رأيك أن نذهب في رحلة سويًّا لنرى ما حدث يومها؟!

حاولت رفض عرضه، ولكنني لم أتحمل فضولي، فهمهمت:

- حسنًا..

أغمضت عيني فأخذت الحقيقة تتشكل أمامي، رأيت مازن الحسيني يقف أمام رمضان عب دالواحد صارخًا:

- أخبر ابنك أن يأتي لي بالكتاب حالاً.. أقسم لك سأدمركم جميعًا.

قال رمضان:

- اهدأ فقط، لا تقلق.. كل شيء سيكون على ما يرام، أنت تعلم جموح الشباب..

تلاشت اللحظة من أمامي وانتقلنا سويًّا إلى مشهد آخر، رأيت فيه رمضان عبد الواحد يبحث في غرفة آدم حتى حصل على الكتاب، وسرعان بعدها ما أقام العهد مع الكتاب، ولكنه صُعِق بعد ذلك فاقتربت أكثر من المشهد أقرأ ما ظهر في صفحات الكتاب فقرأت:

"آدم سيموت!.. معزوفة الشيطان"

رأيت رمضان يهرول مرة أخرى ناحية غرفة ابنه، أخذ يبحث فيها عن أي مصدر للموسيقى، ولكنه لم يجد، ثم انتفض هاتف آدم فتحرك رمضان تلقائيًا ناحيته فوجد رسالة تحمل تسجيلاً موسيقيًا ومكتوب تحتها:

"هل سمعت الشيطان يغني؟"

قام بإرسال الرسالة إلى هاتفه الخاص ثم مسحها في الحال من على هاتف آدم، تبدل المشهد وجاء آخر رأيت فيه رمضان عبد الواحد مكتئبًا حزينًا وسلاف تقف بجانبه قائلة:

- لا سبيل للهروب من العهد سوى بتنفيذ المطلوب منك!

- لن أستطيع قتل أي إنسان على الإطلاق..

- ستنفذ عن وقتٍ ما.. ستنفذ الأمر حينما يسلب روح أحد أبنائك.

تبدل المشهد بآخر يجمع رمضان عبد الواحد وسلاف مرة أخرى ولكن الإعلامي كان أشد شرًا هذه المرة، صرخت سلاف:

- اتركني لحالي!

- لن أفعل.. أنت فعلتِ ذلك من قبل وبإمكانك فعله من جديد..

- لن أتحمل تنفيذ قرابينك، أنا عهدي انتهى..

- ستفعلي حتى لا ألقي بك في السجن إلى الأبد، أنا جمعت كل الأدلة التي تثبت أنكِ قتلتِ كل مصلوب

ظهر في تلك البلد مؤخرًا.

قالت سلاف باكية:

- أرجوك اتركني..

- مقتل المحامي حامد منصور ورجل الأعمال مدحت عبد العاطي الشويري والفنان يوسف بكر وأخيرًا مازن الحسيني.. أريدهم مُعلَّقين جميعًا على مفاتيح الحياة!

- هل تمزح معي؟!.. وماذا سيضمن لي أنك لن تبلِّغ عني فيما بعد؟!

- لا أعلم.. لا ضمانات!

- سأجعل نور الدين هو القاتل!، وسأكون أنا إحدى الضحايا وبذلك أغسل يدي من كل تلك الجرائم..

- حسنًا.. أظن أن هذا جيد!

صعقني الحديث، ما هذا الهراء؟!، أكان رمضان عبد الواحد هو من قام بالتحريض ضد قتل هؤلاء حتى

ينفذ قرابين الكتاب؟! قُلت مخاطبًا ذلك الصوت داخلي:

- حسنًا، ما تم صلبهم مؤخرًا كان ذلك بعد موت رمضان عبد الواحد بعدة أشهر طويلة.

أجابني الملعون:

- كانت سلاف تعلم أنه سيأتي من يتعاهد مع الكتاب من بعده ومحتمل أن يجبرها مرة أخرى على قتل آخرين، فقررت غسل يدها من الدماء وإعلانك قاتلاً ملعونًا أمام الجميع.

- يا الله!

- هل أنت مستعد لترى الفصل الأخير في رحلتنا؟

- ألم تنتهِ رحلتنا بعد؟!

- فقط راقب عن كثب.

رأيت سامية ترتدي ملابس رديئة، واضح أن ذلك المشهد يعود إلى حياتها الأولية في القرية قبل انتقالها إلى العاصمة، وجدتها تجلس على طاولة وكتاب الموتى أمامها وهي تمتم ببعض الكلمات ثم قالت بصوت واضح:

"المجد.. أخبِرني على طريق المجد وأنا مستعدة لتقديم كافة القرابين اللازمة!.. ولكن قبل ذلك خلصني من لطفي الحقير واحمِني من كل أعدائي في المستقبل."

اقتربت أكثر من المشهد حتى أرمق ما سوف يظهر في صفحات الكتاب فقرأت:

"يجب أن ترحلٍ من هنا إلى العاصمة! وهناك ستتزوجين مازن الحسيني ورويدًا رويدًا ستتحرك سويًّا حتى تكوني السيدة الأولى لأخوية مفتاح الحياة!، حيث منتهى المجد والمعرفة!"

فتذكرت حديثها عجت مرات وهي تشير إلى أنها المحركة الرئيسية لكل شيء..

**

- يا الله.. لو كان معهم مازن الحسيني لكانت أعظم قربان يُقدَّم للبشرية من هؤلاء الشياطين.. كل تلك الشخصيات حاولَتْ تدمير كياني ذات يومٍ خاصة حامد منصور حاول جاهدًا أن يطيح مقعدي في مجلس الشعب.. ياللسخرية!

**

تغيَّرت المشاهد أمام عيني ورأيتها تجلس جوار لطفي أمام أحد العرافين ولطفي توسل للعراف أن يجد لهم حلاً حتى يحصلوا على طفلٍ في أقرب فرصة ممكنة، فنهرض العراف متحركًا ناحية خزينة ملابسه في نهاية الغرفة وعاد حاملاً في يده كتاب الموتى وقال لهم:

- لا سبيل للمجد سوى ذلك الكتاب!.. كتاب شيخنا الحظرد..

فتذكرت حديث سامية عن زياراتها للعرافين بحثًا عن المجد!

**

- أتعلم أنني يومًا ما طرقت أبواب العرافين بحثًا عن طرق صناعة المجد!، طرقت كل الأبواب، كيف ستواجه متابعينك بتلك المعلومات التافهة، أخبرني أتلك هي المعلومات فقط التي تمتلكها؟!

**

رأيت في المشهد الأخير سامية تصرخ داخل إحدى المستشفيات بالقرية وهي تتألم وإحدى الممرضات تخبرها أنها فقدت حملها مرة أخرى وسامية تصرخ قائلة:

- سأدمر حياتك يا وجه الشؤم.

تغيَّر المشهد في الحال وكانت سامية تمسك خاتمًا منحوتًا عليه صليب وتلقي به بجوار الساقية المهجورة وفور سماعها لاقتراب خطوات أحدهم فرت هاربة بينما انتظرت أنا ذلك القادم وكان ريتشارد، أمسك الأخير الخاتم وتأمله بسعادة بالغة ناظرًا إلى الفتاة التي يتم اغتصابها على أيدي بعض الشباب القرية ثم سمع صوتًا على الجانب الأخير فرمق اثنين يقومون بتصوير واقعة الاغتصاب بقبض على الخاتم بقوة هامسًا:

- لبيك ربي!

**

- كأن الكتاب ينفذ أوامرك أنت فقط، يا لها من صدفة!

- أخشى أنها ليست صدفة يا ابن الظلام!

**

- كان من المفترض أن يموت مازن الحسيني في ذلك اليوم، ولكنه كان سجينًا؛ فعجزت سلاف عن تنفيذ

الأمر؛ لذلك قام قيس بتنفيذ ما عجزت عنه سلاف تلبيته لسيدتهم سامية.. يا اللّٰه أي عهد أقامته تلك الملعونة مع كتاب الموتى، كأت الكتاب كان يخدم أوامرها وأحلامها..

تلاشت المَشاهد من أمامي عينيّ وعُدت مرة أخرى إلى فراشي أتأمل السقف في حالة من ذهول مما رأيته وعقلي يتساءل عن معنى كل هذا، هل فعلاً كل شيء تم كان من تدبير سامية أم ذلك الملعون يتلاعب بعقلي ولكنه طالما كان محقًا.. أغلقت عيني معلنًا النهاية في تلك القضية، فلن أبحث فيها أكثر من ذلك، فليحترق العالم كله!

تمت

أحمد شوقي مبارك

أعمال المؤلف

كش ملك- لعنة جسام

كش ملك- الثالوث

كش ملك- السامري

نبي رهن الاعتقال

اعترافات كاهن

معزوفة الشيطان


دارك
للنشر والتوزيع


0224832669 - 01027251915
info@darak-egy.com
https://www.facebook.com/darak.publishing